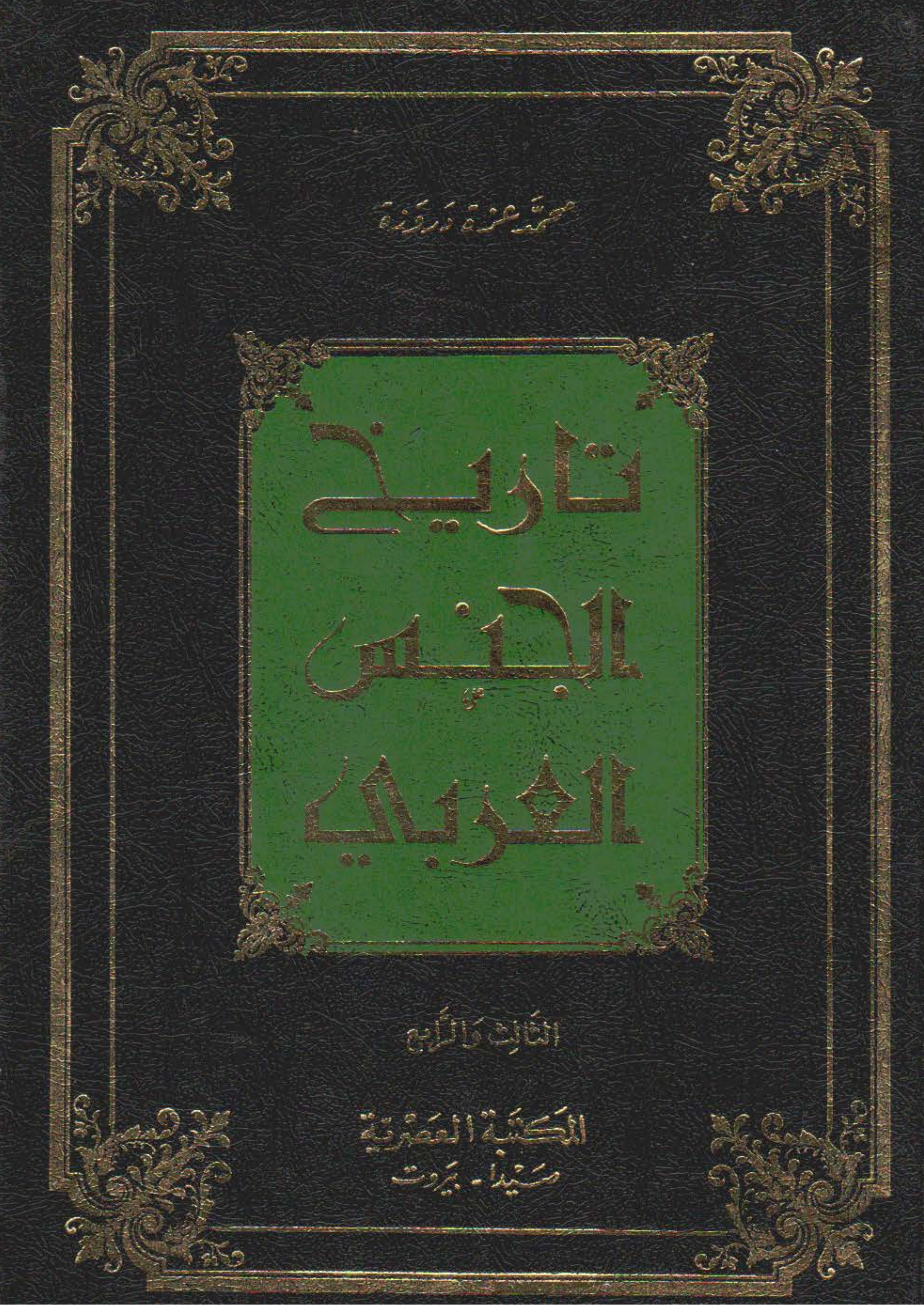

محمد عزة دروزة
تاريخ الجنس العربي
الثالث والرابع
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

تاريخ الجنس العربي

في

مختلف الأطوار والأدوار والأقطار

تأليف

محمد عزة دروزة

الجزء الثالث

تاريخ موجات الجنس العربي

ودولها ومآثرها

في العراق قبل العروبة الصريحة

منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت

موجز مشتمل الجزء

تاريخ موجات الجنس العربي

ودولها ومآثرها

في العراق قبل العروبة الصريحة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

في صلة العراق بجزيرة العرب وموجاتها اليه ومصادر تاريخ هذه الموجات فيه

- ١ -

ليس هناك من يماري في طروء جماعات أو موجات متلاحقة الى العراق في مختلف أدوار التاريخ القديم ما يسمى « ساميين » وسميناهم « الجنس العربي »وغلبة طابعهم على هذا القطر وعلى من كان فيه قبل طروئهم المعروف من غير جنسهم أوجاؤوا اليه بعد ان أخذو يطرأون عليه وعدّوه بذلك مهجراً من مهاجر جنسهم وموطناً مـــن مواطنهم الثابتة .

وإذا كان هناك من يتوقف في التسليم بأن جزيرة العرب هي موطن ما يسمى ساميين أو يتردد في القول ان الموجات السامية أي العربية الجنس حسب اصطلاحنا التي طرأت على العراق قد جاءت من جزيرة العرب فان من هؤلاء من يقول إن جرثومةالساميينالتي قد يكون موطنها الأصلي غير جزيرة العرب قد زحت إلى هذه الجزيرة ونمت فيهـــا ثم أخذت تهاجر منها إلى العراق وغيره لأسباب اجتماعية وجغرافية مختلفة . هذا إلى ان اكثرية الباحثين يقررون أن جزيرة العربهي موطنهم وان الجماعات اوالموجات المتلاحقة التي جاءت الى العراق قد جاءت منها حيث نزح بعضها من جنوب الجزيرةإلىشواطئها الشرقية على بحر الهنـــد فالخليج العربي فالعراق وبعضها مـــن شمالها أي بـــلاد الشام فالعراق [٢] وكانت وظلت متشاركة في اللغة والتقاليد والعادات تشاركاً يدل على انتمائها

---

١) في الجزء الاول من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ص ١٤٨ وما بعدها فصل قيم استعرض المؤلف فيه وناقش اقوال ونظريات الباحثين في موضوع وحدة الارومة بين الشعوب « السامية » العربية » وصلتها بجزيرة العرب ويبدو منه ان القائلين بوحدة الارومة وكون جزيرة العرب هي موطنها هم الاكثر والاقوى حجة .

إلى جنس واحد هو الذي سميناه الجنس العربي دون الاسم الحديث « الساميين » [1] لأن ذلك التشارك كان وظل قائماً بينهم وبين أشقائهم الذين بقوا في جزيرة العرب والذين تطورت عروبتهم غير الصريحة الى العروبة الصريحة وغدوا يتسمون بسمتها ويُسمون باسمها على ما شرحناه في مقدمة الكتاب في الجزء الأول [1] وذكرنا دلائله ومصادره ، وعلى ما نعتقد أن فيه المقنع لمن لا يريد المكابرة والتزمت باسم العلم وعلى ما سوف نزيده توكيداً في ثنايا هذا الجزء .

ولقد جاء في كتاب القرون القديمة لبريستيد [2] في فصل بلاد بابل ان حركة الهجرة من البادية إلى الهلال الخصيب بدأت من الوف السنين واستمرت وتمكن القائمون بها من فرض سيادتهم الجنسية عليه برغم ما كان فيه أو جاء اليه من عناصر ليست سامية الأصل ، وكانت هذه الهجرة تزداد احياناً وتعظم حتى تصبح تياراً جارفاً يحمل القبائل الرحل من القفر البلقع الى هذا الهلال فتغشى المدن والقرى كما تغشى المياه الأرض . وكان الطرف الشرقي من الهلال الخصيب مقابل الضفاف السفلى لدجلة والفرات من أهداف هجرة هذه القبائل ومستقرها .

ولقد جاء في القسم الأول المخصص لتاريخ العراق القديم من كتاب مقدمة في الحضارات القديمة لطه باقر [3] إن اكثر العلماء والباحثين يقررون أن جزيرة العرب هي مهد الأقوام السامية (أي العربية حسب اصطلاحنا) وان موجات متعاقبة في ازمان مختلفة كانت تنزح منها إلى بقاع الهلال الخصيب ثم تستقر فيها وتكون حضارات ذات شأن كبير في تاريخ العالم . وان مما لا شك فيه ان هذه الهجرات بدأت منذ اقدم الأزمان في عصور ما قبل التاريخ وكان العراق مفتوحاً أمامها فاستوطنته وطغت على حياة العراق ومعظم الشرق الأدنى (!)

ولقد تكون دماء الموجات العربيه التي طرأت على العراق اختلطت بدماء من كان قبلها فيه من غير جنسها او جاؤوا اليه بعد أن اخذوا يطرأون عليه ، ولقد تكون اكتسبت شخصية خاصة نوعاً ما في الارض الجديدة التي حلت فيها وتأثرت بأولئك

---

١) ص ٨ – ١٠

٢) ترجمة قربان ص ٧٦ – ٧٩

٣) ص ١١٥

الذين هم من غير جنسها في اكتساب هذه الشخصية . غير أن هـــذا لا يغير من الأمر شيئاً كبيراً في اعتقادنا ما دامت هذه الموجات قد جاءت من جزيرة العرب وظل طابعها هو الغالب على العراق وعلى من فيه من غير جنسها ، وظلت كذلك تحتفظ بكثير مـــن خصائص جنسها ولغته وتقاليده على ما ذكرناه في مقدمة الكتاب ايضاً .

ولقد كان من تلاحق موجات الجزيرة العربية المعروفة يقيناً إلى بلاد العراق في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام وبعده ، وما قام وظل يقوم من صلات وثيقة من هـــذه البلاد وجزيرة العرب ، وما كان من استمرار التشارك في اللغة والخصائص والتقاليـــد والعقلية بين هذه الموجات الصريحـــة والموجات الـــتي قبلها ممـــا أكّـــد وقـــوّى وخـّلد ذلك الطابع على العراق ، وجعل دعوى انتماء تلك الموجات الى العروبة وجزيرة العرب محكمة حاسمة .

ويكفي ان يدقق المرء في اسماء الأعلام العراقية ونعني قرى العراق وقصباته وانهاره التي تحمل لمحةالعروبة المتقدمة على دورها الصريح . ويكفي كذلك ان يقارن بين مفردات لغات تلك الموجات وبين مفردات اللغة العربية الفصحى ليرى مصداق ذلك قويـــاً لا يتحمل مراء .

ففي معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى في القرن الهجري السابع اسماء مئات مـــن القرى والقصبات والاعلام التي تحمل لمحة العروبة المتقدمة على دور العروبـــة الصريح والتي لا شك في انها تسمية تلك الموجات التي حلت في العراق وانشأتها قبل هذا الدور كما سترى في القائمة التالية :

آلوسه ــ أبلّه ــ ايوآ ــ ابيسات ــ إتل ــ انور ــ أثير ــ آجر ــ اخا ــ اخلاء ــ اربك ــ اربيل ــ ارحاء ــ اروخ ــ افاقه ــ اقور ــ الوس ــ امغيشيا ــ استينيا ــ انبار ــ اوانا ــ باايوب ــ بابرتي ــ بابسير ــ بابل ــ بايونيا ــ باجباره ــ باجرا ــ باجريق ــ باجرمق ــ باجروان ــ باجسرا ــ باجيرا ــ باجوآ ــ باخديدا ــ باخرا ــ باخوخا ــ بادرايا ــ بادوريا ــ بارما ــ بارسما ــ باسورين ــ باشزي ــ باشمنايا ــ باصفرا ــ باصلوخا ــ باعربايا ــ باعذرا ــ باعشيقا ــ باعقوبا ــ باعيناثا ــ بافخارا ــ بافكى ــ باقداري ــ باقدار ــ باقرحا ــ باقسيانا ــ بامردى ــ باقطايا ــ باقطنايا ــ باكسايا ــ باكلبا ــ بانتيا ــ بادشنايا ــ بنتي ــ بامرديّ ــ بشيلة ــ براثا ــ برجلات ــ

برجونيه ــ برجايا ــ برطوبه ــ بردرايا ــ برملاحا ــ بازدغا ــ بزيقيا ــ بصره ــ باحيدا ــ بعتوبا ــ باقابوس ــ بتّه ــ بتيتا ــ بلمحان ــ بشّار ــ بهاطيه ــ بنارق ــ بنورا ــ بورکی ــ بوصلابا ــ يوق ــ يونا ــ بيان ــ بتا ــ بتان ــ تامرا ــ تبل ــ ترجلة ــ تل اعفر ــ تل بونا ــ تل عقرفوف ــ تبنوك ــ تل ثوبه ــ توماثا ــ جاذر ــ جبانا ــ جبّل ــ جدال ــ جرجايا ــ جطا ــ جلاب ــ جلولاء ــ جُنّب ــ جنبلاء ــ جنده ــ جوبرة ــ جوخا ــ جويث ــ جيذا ــ جيران ــ جانيه ــ مرتي ــ مروراء ــ حضوض ــ حلوان ــ مريش ــ حله ــ حورتي ــ حولايا ــ حيرة ــ خرجاء ــ خيرين ــ خلبتا ــ خوسر ــ دامان ــ دّبا ــ دباها ــ ذبثا ــ درقيط ــ ربيثا ــ دبيرا ــ دُربا ــ درباشيا ــ درتا ــ دنبسر ــ دقوقاء ــ دمّا ــ دوران ــ ديالى ــ دندنه ــ دوغات ــ دنّ ــ ديرقوطا ــ دير باعربا ــ دير ملوبا ــ دير ساير ــ دير عاقول ــ رامسه ــ رجمان ــ رحبه ــ رصافة ــ زبارا زوابي ــ زوزى ــ سامراء ــ سدير ــ سريا ــ سنينيا ــ سوراء ــ سونايا ــ شالها ــ شافيا ــ شانيا ــ شرتى ــ شوميا ــ شيطب ــ صابرينيثا ــ صافيا ــ صريفون ــ عقرقوفا ــ عاقولا ــ عبدان ــ عدآن ــ عراده ــ عربايا ــ عانه ــ عكبرا ــ عيزتا عقرباء ــ غما ــ غرسا ــ فلوجا ــ قادسية ــ قاطول ــ قاروث ــ قرّتا ــ قردتي ــ عقر ــ قرقيسيا ــ قريه ــ قُسياثا ــ فراشا ــ قصرزرتي ــ قطربل ــ قورين ــ قبراثا ــ قبين ــ قلوتي ــ قره ــ قصو ــ خبرين ــ قورا ــ كيسه ــ كراثا ــ كربلا ــ كرما ــ كرخايا ــ كرنبا ــ كفر«١» جديا كفر زمار ــ كلواذا ــ كوثى ــ كوفه ــ كافل ــ كفرعزا ــ كوكبا ــ ماذرايا ــ معلثايا ــ ميسان ــ ميمون ــ ماكسين ــ نابت ــ ناووسه ــ نجف ــ نخلا ــ نخيله ــ نصيبين ــ نغوبا ــ لغيا ــ نقيا ــ نهر ازّى ــ نهر بطاطيا ــ نهر بوق ــ نهر يبل ــ نهر جطى ــ نهرجوبره ــ نهر رفيل ــ نهر نيربا ــ سايس ــ نهر سورا ــ نهر قلا ــ نهر ناب ــ نهر وان ــ نيروه ــ نينوى ــ هيث ــ هاروت ــ هاطرتي ــ هُرت ــ رهقّه ــ هكة ــ ينسوع ــ ينبونه .

ولم ننقل من المعجم الأسماء التي غلبت عليها اللمحة الاعجمية ولا التي جاءت بصيغة عربية فصحى ، وهذه وتلك مع ذلك قليلة فيه ، والمعجم لم يحتو جميع الاعلام والقرى والقصبات العراقية بدليل وجود اسماء كثيرة تطلق على اعيان موجودة الى اليوم لم ترد فيه وعليها لمحة القدم .

«١» كفر تعني قرية وفي بلاد الشام قرى قديمة مبدوءة بهذه الكلمة كما هي هنا .

وعلى كل حال فان كون جل ما أورده مما تبدو عليه المسحة العربية القديمة المتقدمة على العروبة الصريحة يدل على أن الموجات العربية القديمة طبعت العراق بطابعهـــا الذي ظل غالباً إلى زمن مؤلف المعجم .

ولقد ظل كثير من اسماء القرى والمدن والمواقع العراقية يحمل لمحة العروبة القديمـــة برغم ما طرأ عليها من تحوير وتبديل . وفيما يلي جملة من ذلك ننقلها عن خريطة العراق الادارية والطبيعية التي رسمها طعمه السعدي . ومنها ما ورد في معجم ياقوت ومنها ما لم يرد كما ان جملة مما ورد في هذا المعجم لم ترد في الخريطة مما فيه مصداقه لمـــا طرأ على الأسماء من تبديل وتغيير . «١» وفيها على كل حال الدلالة التي أردناها . والخريطة الى هذا لم تذكر إلا المهم من القرى والقصبات :

ام الذيبان ـ ام الشبابيط ـ ابو نشكه ـ ابو سيده ـابو بويد ـ ابو عراجي ـ ابو قير ـ ابشان ـ ابو شلدره ـ ام صبيجاب ـالابيلي ـ ام قطيه ـ ابوانعاق ـ ابو جسره ـ ابوحساث ـ بعيشتفا ـ باقل ـ بجبيل ـ باطاس ـ بلاوا ـ بني بات ـ بنجوين ـ بكاس ـ بلد ـ بسايا ـ بعقوبا ـ بجمى ـ بريت ـ بطيه تل اسقف ـ تل ابطخ ـ تل اذات ـ تل عفر ـ تل اصقع ـ تل العاكول ـ تل لهين ـ تل دهر ـ تنيه ـ ثميل ـ جلبارات ـ جديده ـ جلابا ـ جلدره ـ جوزلى ـ جيليب ـ جصان ـ حزاره ـ جشا ـ جبا ـ جديدة عرعر ـ جريبانه ـ جبيمه ـ جليبه ـ جليده ـ جبايش ـ حصه ـ حرا ـ حصيان ـ حمدين ـ حسوم ـ حلوات ـ حبانيه ـ حله ـ خليسا ـ خان سوره ـ خناق ـ خاروم ـ خبازا ـ ديرى ـ دهل ـ دركله ـ دلالاف ـ دبيكه ـ دور ـ دوره ـ ديما ـ دوغاره ـ درمان ـ دقوقا ـ دوايا ـ ديناويه ـ ذويساف ـ رمانه ـ زايات ـ رميله ـ ربيض ـ راوا ـ مادي ـ طبه ـ رادي ـ زيبا ـ زاوره ـ زمار ـ زرقا ـ زارين ـ زرفيه ـ زعلات ـ سيده ـ سنوني ـ سنيسله ـ سخيله ـ سويسنه ـ سهقاف ـ سماق ـ سيران ـ سماك ـ سحيل ـ سنيه ـ سحل ـ سميث ـ سحر ـ ساقا ـ سقاف ـ سويب ـ سيبه ـ شامانا ـ شيخات ـ شراقيه ـ شيخات ـ شراقيه ـ شورا ـ شرقـــاط شاشا ـ شبيحا ـ . شوكا ـ شاعورا ـ شفتا ـ شوكان ـ شفافيه ـ شثاثا ـ شاوا ـ شنانه ـ شراف ـ شبيحه ـ شاوية ـ شكره ـ شطره ـ صفاوا ـ صويره ـ صبحه ـ طرطـــان ـ طرفا ـ

«١» اتصلنا بالمراسلة مع بعض المقامات الحكومية والعلمية الـ ... لأجل الحصول على مزيد من الاعلام العراقية التي تحمل طابع العروبة القديم المتخلف عن الكلدانيين والاغوريين والسوريين والبابليين فاجابتنا ان اكثر الاسماء القديمة للقرى والمواقع العراقية قد استبدلت باسماء عربية فصحى .

طقطق ـ طره ـ عقره ـ عطوش ـ عديه ـ عين دبس ـ عين جهرات ـ عونيه ـ عربت ـ عيادى ـ عين شنينه ـ عقيح ـ عين حيمر ـ عفك عزير ـ عطاق ـ عنه ـ عين عبيره ـ عين وزه ـ عانه ـ عكيكه ـ عشا ـ غماشه ـ فج ـ فلوجه ـ فنجا ـ قنطرا ـ قيارا ـ قطارا ـ قطس ـ قصر تامر ـ قبيبه ـ قرنه ـ كربي ـ كوير ـ كلاله ـ كسفان ـ كوفه ـ كبده ـ لاما ـ لصف ـ ليا ـ لهامه ـ نجف ـ نوها ـ ندين ـ نخيب ـ نشوه ـ محارين ـ ملحا ـ مرانا ـ مطيره ـ مله ـ مزلاق ـ ملحات ـ ملصه ـ مشمي ـ معانيه ـ مغيشا ـ المبرد ـ هيسي ـ هورين ـ هور ـ هيين ـ هنث ـ هواينه ـ هبوه ـ هارثه ـ وادي ملصه ـ وادي سويب ـ وادي عجج ـ وادي غدف ـ وجاجه ـ وادي عكاش ـ وادي رنكه .

ولقد اثبت مؤلف تاريخ اللغات السامية جدولا فيه جملة كبيرة من المفردات الأشورية البابلية الآرامية التي كان يتكلم بهـا سكان العراق في ظل دولهـا الآراميه والاشورية والكلدانية والعمورية مع مايقابلها من المفردات العربية التي كان يتكلم بها اهل جنوب جزيرة العرب قبل العروبة الصريحة ثم ما يقابلها كذلك من المفردات العربية الفصحى ننقله فيما يلي كدليل حي آخر على اتحاد الأرومة بين أهل جزيرة العرب القدمـاء ، على اختلاف اروماتهم وبالتالي على صحة الجنسية العربية بالنسبة لهذه الأرومات :

عربي فصيح	اشورى بابلي	آرامي	لغة جنوب الجزيرة العربية القديمة
اب	ابو	ابا	اب
ابن	بنو	برا	ابن
اخ	اخو	احا	اخو
اخذ	إخوز	احد	اخز
أحد	ادو	حد	احد
أذن	أزنو	أودنا	أزن
اثنتان	شنا	ترين	صنيت
ارض	ارضو	ارعاارقا	ارض
اربع	اربعو	اربع	اربع
اسم	شومو	شما	سم
ام	أمو	اما	ام

«١» تأليف اسرائيل ولفنسون ص ٢٨٣ – ٢٩٤

عربي فصيح	اشوري بابلي	آرامي	لغة جنوب الجزيرة العربية القديمة
امــه	أمتو	أمتا	امــة
انسان	نشو	ناشا	انش
دبس	دشبو	دبشا	دبس
دم	دمــو	دما	دم
ذئب	زيبو	دابا	زاب
ذنب	زباتو	دونبا	زناب
راس	رشو	ريشا	راس
ركب	ركب	ركب	ركب
زرع	زو	زرعا	زرع
سبع	سبو	شبع	شبعو
ست	ششو	شتا	سسو
سلام	شلمو	شلما	سلم
سن	شنو	شنا	سن
سنبلة	شوبلتو	شبلتا	سبل
سماء	شمو	شماويا	سماي
شمس	شمشو	شمشا	شمس
شعر	شرتو	سعرا	سعرت
طحن	إطن	طحن	طحن
طيب	طبو	طبا	طيب
ظفر	ميرو	ظفرا	ظفر
ظل	صلّو	طلا	صلوت
عشر	عشرو	عسر	عشرو
عظم	عصمتو	عطما	عضم
عقرب	عقربو	عقربا	عقرب
عمود	إمدو	عمودا	عمد
عنب	انبو	عنبتا	عنب
عين	أنو	عينا	عين

عربي فصيح	اشوري بابلي	آرامي	لغة جنوب الجزيرة العربية القديمة
فتح	ابت	فتح	فتح
فم	بو	بوما	أف
قرن	قربو	قرنا	قرن
قمح	قو	قمحا	قمح
كبد	كبتو	كبدا	كبد
كرش	كرشو	كرسا	كرش
كلب	كلبو	كلبا	كلب
كوكب	كاكبو	كوكبا	كوكب
لب (بمعنى قلب)	لبو	لبا	لب
لسان	لشانو	لشنا	لسان
لهب	لابو	شلهب	لهب
ليل	ليلتو	ليليا	ليله
ماء	مو	مايا	ماي
مائة	مأتو	ما	مائت
مثل	مشل	متلا	مسل
مر	مرو	مرغو	مرا
ملك	ملكو	ملكا	ملكي
موت	موتو	موتا	موت
نسر	نشرو	نشرا	نشر
نفخ	نفح	نفح	نفخ
نفس	نبشتو	نفشا	نفس
نمر	نمرو	نمرا	نمر
ود	وّد	يد	وُدّ
ورق	ورقو	يرقا	ورق
وفر	وفرو	ابقر	وقر
ولد	وُلد	ايلد	ولد
يد	إدو	ايدا	أد
يمين (ناحية)	إمنو	يمينا	يمن
يوم	أمنو	يوما	يوم

على اننا ونحن نثبت اسماء الاعلام العراقية التي تبدو عليها اللمحة والصيغة العربية القديمة ثم جملة من المفردات المتماثلة من اللغات العراقية القديمة واللهجات العربية القديمة الأخرى التي لها اشباه تعد بالالوف لا تقدمها كدليل وحيد على الجنسية الوثقى بين معظم سكان العراق القدماء والجنس العربي وجزيرة العرب وانما كدليل مضاف الى تقريرات العلماء والباحثين . على انتماء هؤلاء السكان الذين عمروا العراق وطبعوه بطابعهم المستمر منذ ستة آلاف سنة على الاقل بقطع النظر عما قبل ذلك من احتمالات الى الجنس «السامي» حسب اصطلاحهم والعربي حسب اصطلاحنا ولا سيما ان جمهرة الباحثين يعتبرون التشارك اللغوي من مظاهر الوحدة الجنسية بين الأقوام «السامية» على ما شرحناه في المقدمة : وهذا فضلا عن ما هناك من التشارك في العقائد والأفكار والتقاليد أيضاً وهو ما سوف تأتي الشواهد عليه في ثنايا هذا الفصل «١» .

فكل هذا يسوغ فيما نعتقد الجزم بالجنسية العربية للموجات التي طرأت على العراق من جزيرة العرب مما سماهم كتاب الأفرنج خطأ باسم «ساميين» كما يسوغ القول إن هذه الموجات قد طبعت العراق بطابعها الغالب ، ويبرر سلكها في سلك تاريخ الجنس العربي خلافاً لما سار عليه المؤرخون .

ولقد سلك جرجي زيدان دوراً من أدوار تاريخ هذه الموجات في سلك التاريخ ونعني به دور ما سماه العمالقة الذين منهم حمورابي «٢» بسبب ما رآه من التشارك بينهم وبين الجنس العربي . وقد فعل صواباً . وكان الأولى ان يشمل بعمله بقية الموجات والدول العربية الجنس في العراق من آرامية وأشورية وكلدانية لانها هي والارومة التي ينتمي اليها حمورابي من موطن واحد هو جزيرة العرب ، ومتشاركة في اللغة والعقائد والتقاليد .

ولقد قال الدكتور جواد علي «٣» ان تسمية الساميين مصطنعة وان تسمية «العرب» هي الأقرب إلى العلم والأدق والأصح والاصدق على كل حال من تلك التسمية ، وانه ليس غريباً ولا بعيداً عن العلم والمنطق أن تسمي الشعوب التي أدخلها العلماء تحت مصطلح

«١» انظر ايضاً العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها و ج ٢ ص ٢٨٧ وما بعدها والاساس في اللغات والامم السامية ص ١٥ — ٣٧ وتاريخ اللغات السامية ص ١ — ١٦

«٢» العرب قبل الاسلام ص ٤٠ — ٥٢

«٣» العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ص ٢٨٧

« السامية » « عربية » لما بينها من صلات ومشاركات وتقارب . ولقد كان هذا يقتضي ان يسلك هذا المؤرخ تاريخ هذه الشعوب في سلك تاريخه العرب قبل الاسلام .

فنحن اذ نفعل ذلك انما نفعل أمراً لا غبـــار عليه تقريراً للحقيقة التاريخية المتصلة بالواقع المستمر منذ عشرات القرون قبل الميلاد المسيحي وتصحيحاً للتوجيه التاريخي ، وتدليلا على أن عروبة العراق الصريحة الحاضرة هي امتداد لما كان من عروبته الصريحة وغير الصريحة التي سبقت الاسلام بعشرات من القرون ؛ وذلك بالاضافة إلى ما في ذلك من ابراز سعة نطاق نشاط الجنس العربي وحيويته في مختلف المجـــالات الفكرية والأدبيـــة والحضارية والسياسية والعسكرية حينما برز على مسرح العراق الذي كان مصدراً رئيسياً من مصادر الحضارة البشرية الـــتي شعت على العـــالم وكانت من مشاعل هدايـــة البشر وحضارتهم الاولى من جهة وتكون من جهة اخرى قد وصلتنا بهم حيويـــة العروبة في دورها الصريح على مسرح العراق وبين حيويتها عليه قبل هذا الدور فيظهر من ذلك سلسلة متصلة الحلقات يمد بعضها بعضاً من جهة اخرى .

— ٣ —

ولقد انشأت الموجات العربية في العراق دولاً عديدة متلاحقة لم تكد سلسلتها تنقطع بسلطان غير عربي الجنس طيلة خمسة وثلاثين أو اربعين قرناً قبل الميلاد ؛ منها ما ظـــل محلي السلطان والنطاق ، ومنها ما اتسع سلطانه حتى شمل جميع العراق ثم تجاوزه إلى اقطار شاسعة في شمال العراق وشرقه وغربه ووصل إلى البحر الأسود شمالاً وبحر قزوين شرقاً والبحر الأبيض والقطر المصري غرباً .

ولقد انشأت هذه الدول منشآت عمرانية عظيمة خرب كثير منهـــا وانطمر تحت التراب ؛ ولقد كتب كثير مـــن ملوكها سيرتهم الحربية وغـــير الحربية على الأحجار والمنشآت التي انطمرت بدورها . ولقد جرت تنقيبات كثيرة منذ أواسط القرن السابق في أماكن كثيرة من العراق وخاصة في مواقع عواصم دوله القديمة مثل اور وارك وبابل ونينوي ودار صرغون وبارسيب وكلح ؛ كانت تجري على نطاق ضيق وعلى غير اسلوب علمي ثم تقدمت منذ أواخر القرن السابق واتسعت وساهمت مصلحة الآثار العراقية فيها الى جانب بعثات الجامعات الاميركية فعثر على كثير من الآثار والكتابات والنقوش .

ولقد كانت النقوش التي دونوها بالخط المسماري فظلت غامضة بل وظنها الناس انها زخرفة إلى ان اكتشف في أواخر القرن الثامن عشر في برسيبوليس آثار عليها كتابة بهذا

النوع الثاني : (١)

Vowels	(a)	(i)	(u)
		(e)	(u)
Diph-thongs	(ai)	(ia)	
		(ia)	
B	(ba)	(bi)	(bu)
		(be)	
	(ab)	(ib)	(ub)
G	(ga)	(gi)	(gu)
	(ag)	(ig)	(ug)
D	(da)	(di)	(du)
	(ad)	(id)	(ud)
Z	(za)	(zi)	(zu)
	(az)	(iz)	(uz)
H	(ḫa)	(ḫi)	(ḫu)
	(aḫ)	(iḫ)	(uḫ)
T	(ṭa)	(ṭi)	(ṭu)
		(ṭi)	
		(ṭe)	
	(aṭ)	(iṭ)	(uṭ)
K	(ka)	(ki)	(ku)
	(ak)	(ik)	(uk)

نماذج من الخط المسماري في طوره الثاني الذي كانت العلامة فيه حرفاً

	Meaning		Outline Character, B. C. 4500	Archaic Cuneiform, B. C. 2500	Assyrian, B. C. 700	Late Babylonian, B. C. 500
الشمس	1.	The sun				
الله . سماء	2.	God, heaven				
جبل	3.	Mountain				
انسان	4.	Man				
ثور	5.	Ox				
سمكة	6.	Fish				
قلب	7.	Heart				
يد	8.	Hand				
يد وذراع	9.	Hand and arm				
رجل	10.	Foot				
سنبلة	11.	Grain				
قطعة من الخشب	12.	Piece of wood				
شبكة	13.	Net				
سياج	14.	Enclosure				

نماذج من الخط المسماري في طوره الاول الذي كانت العلامة فيه تمثل كلمة

الخط ثم كتابات باللغة الفارسية واللغة البابلية واللغةالعيلامية فكان ذلك مفتاح ذلك الخط كما كانشأن حجر رشيد المصري بالنسبة للخط المصري القديم فعكف على دراستها استاذ الماني اسمه كروتنند واستطاع أن يحل بعض رموزها بالمقارنة مع اللغة الفارسيةوأن يقرأ بعض الاسماء والمفردات البابلية ، ثم اكتشف في بهستون بالقرب من كرمنشاه آثار مثل آثار برسيبوليس عليها كتابة بالخط المسماري وكتابات باللغات الثلاث فعكف على دراستها استاذ انكليزي اسمه رولنصن واستعان بما كان من جهود كروتنند وشاركه في عمله استاذ ايرلندي اسمه هكنس فاستطاع بدوره حل بعض رموزها بالمقارنة كذلك مع اللغة الفارسية وأنيقرأ بعض الاسماء والمفردات البابلية : ثم تتابعت بحوث العلماء وازدادت المعرفة باللغتين البابلية والاشورية حتى غدا موضوع قراءتهما اعتباراً من سنة ١٨٥٧ علماً مضبوطاً ، وحتى أمكن قراءة ما خلفه الآشوريون والبابليون من نقوش كثيرة متنوعة فساعد ذلك على جلاء تاريخ الموجات العربية ومآثرها في العراق منذ أقدم الأزمنة التاريخية بمقياس غير ضيق وخاصة منذ القرن الخامس والعشرين قبل المسيح .«١»

ولقد زار هيرودوت اليوناني من رجال القرن الخامس قبل المسيح العراق ووصف في كتابه مشاهداته وذكر مسموعاته عن أخبار العراق القديمة كما كتب عن ذلك استرابون وديودور وبطليموس وغيرهم من مؤرخي قبل الميلاد وبعده وجغرافييهم فكان ذلك أيضاً مما ساعد على ذلك الجلاء .

ومما ساعد عليه أيضاً **أولاً** ما عثر عليه من مدونات دونها كتاب عراقيون في بداية الألف الثاني قبل الميلاد احتوت كثيراً من اسماء ملوك السلالات العراقية الحاكمة وشيئاً من أخبارهم ، **وثانيا** الفصول الكثيرة التي احتوتها أسفار العهد القديم مثل أخبار الأيام والملوك عن صلات ملوك العراق باليهود ودولتهم ، **وثالثاً** المدونات والنقوش المصرية التي احتوت بيانات عما كان يحدث بين مصر والعراق من صلات وأحداث سياسية وعسكرية . **ورابعاً** ما استند اليه الكتاب اليونان والرومان القدماء من تاريخ معزو الى مؤرخ بابلي اسمه بروسوس اوبرشوحا «٢» من أهل القرن الرابع قبل الميلاد ذكر انه

«١» مقدمة في الحضارات القديمة لطه باقر ج١ ص٣١٦-٣١٩

«٢» ان تسمية بروسوس يونانية جاءت من كون المدونات القديمة اليونانية هي التي ذكرت هذا المؤرخ واقتبست من كتابه ، والراجح أن الاسم البابلي أو الكلداني هو برشوحا الذي ورد في كتاب تاريخ كلدو وأشور لاسقف سعرد ج١ ص د المقدمة ، ولحنه العربية القديمة بادية ويرهن ابن في الارامية على ما مر بيانه .

دون فيه اخبار ملوك بابل كافة نقلاً عن سجلات قديمة كانت في عهدته حيث كان كاهن معبد بل في بابل وقد اشار برحوشا الى ذلك يقوله ان كاهناً قديماً اسمه اكسيسوتروشن خبأ في بعض مخابيء المعبد السجلات المسطر عليها تاريخ الخليقة وأخبـــار الأيام الاولى وقد فقد هذا الكتاب ولكن يوسينوس اليهودي واوساسيوس وكليمنسوس وشنسليون اليونانيين نقلوا عنه فصولا عديدة . وخامساً ما استند اليه ديودور الصقلي من كتاب معزو الى اكتازياس طبيب الملك ارتخشستا الثاني (٤٠٥ ـ ٣٥٩ ق م) نقلا عن الكتب الفارسية في القصر الملكي . وقد فقد هذا الكتاب ايضاً ولكن ديودور نقل عنه فصولاً عديدة أيضاً .

وهكذا غدا بالامكان عرض فصول قد يصبح التعويل عليها في تاريخ الدول العراقية القديمة التي تمت إلى الجنس العربي استناداً إلى وثائق تاريخية وأثرية قديمة وخاصة بالنسبة للحقب التي تلت القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد مهما كان فيها من ثغرات واقتضاب ومهما تحولت المقتبسات من المدونات القديمة المستندة الى جداول الملوك وروايات برشوحا واكتازياس والمسموعات التي لا تؤيدها النقوش من تحفظ . أما ما قبل القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد فان في تاريخ الدول العراقية العربية الجنس ثغرات واسعة تجعل من المتعذر عرض فصول متسلسلة ، كل ما يمكن هو عرض صور منفردة .

ولقد خصص طه باقر معاون مدير الآثار القديمة العراقية المجلد الأول من كتابه مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة للعراق احتوى دراسات أثرية وتاريخية قيمة له ولغيره مـــن الباحثين في تاريخ العراق القديم ومآثره الحضارية طبع طبعته الثانية سنة ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥ والقسم المخصص للمآثر الحضارية فيه قيم واف ولعله اوفى ما كتب بالعربية في ذلك . اما القسم المخصص للتاريخ السياسي فهو على قيمته العلمية واستناده الى النقوش والمدونات القديمة ودراسات الباحثين لا يحتوي فصولا متسلسلة لتاريخ الدول العراقية واحداثها وقوائم باسماء ملوكها كما فعل بربستيد وان كان فيه الماما غير يسيرة من ذلك وخاصة بالنسبة لتاريخ الأشوريين .

ولرئيس أساقفة سعرد ادي شير الكلداني الأشوري كما نعت نفسه كتاب في جزئين سماه تاريخ كلود وأشور مطبوع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٢ احدهما ديني والآخر سياسي . وفي الاخر وهو الاول فصول مسهبة نوعاً في تاريخ الدول العراقية

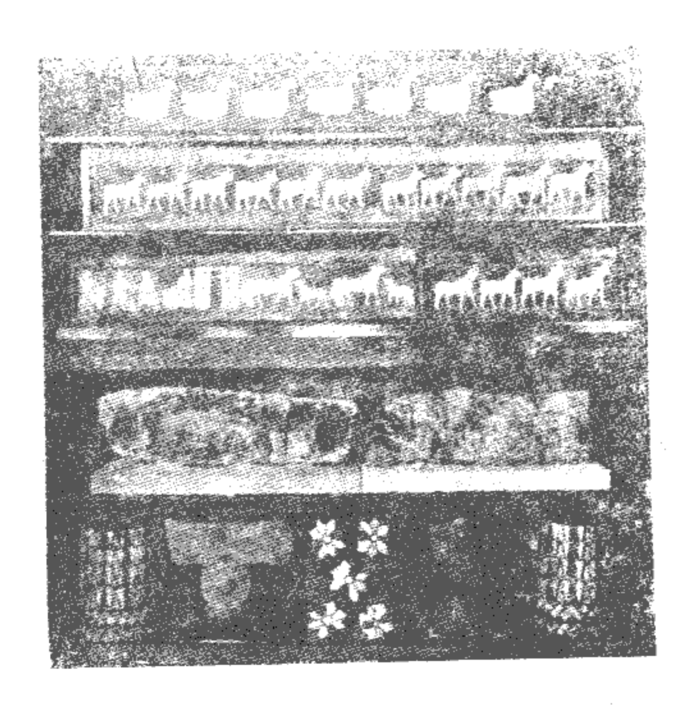




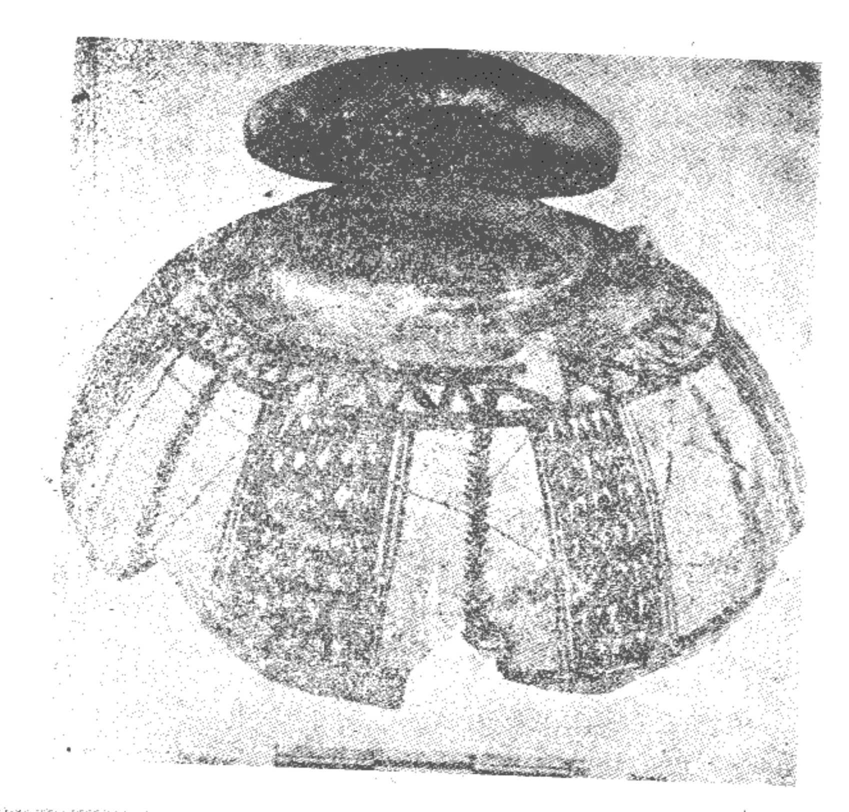




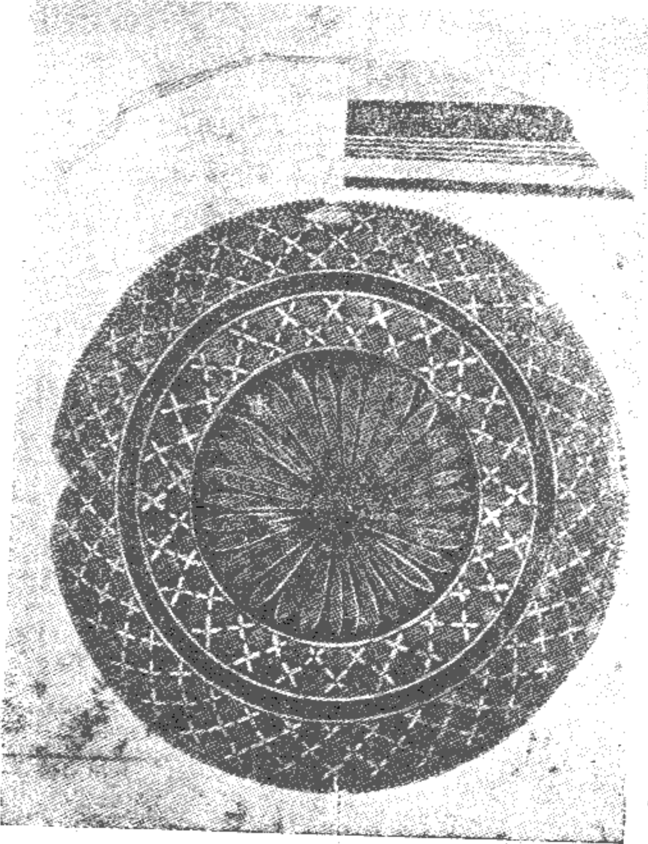
نماذج من الأختام الاسطوانية في عصر السلالات الأولى



تزيينات معبدية من عصر فجر السلالات



↑
نموذج فخاري
ملون



←
نموذج فخاري
متعدد الألوان من
العصر الأول

واسماء ملوكها منذ القرن الخامس والعشرين إلى القرن الخامس قبل الميلاد مع نتف مقتضبة عن ما قبل ذلك استناداً إلى التنقيبات الاثرية والمدونات القديمة المقتبسة من كتاب واثريين غربيين مثل تاريخ ماسبرو المطول المعنون بتاريخ الشعوب القديمة في الشرق في ثلاثة مجلدات وتاريخ ما سبرو المختصر بالعنوان نفسه ومجلة الكتاب المقدس وتاريخ سني ملوك ثور لميثان وتاريخ دول الكلدان والاثوريين لاوبير وتاريخ هيرودوت ومجلة المشرق وكتاب ميزوبوتاميه وأثور لبيلي فراسير وتاريخ الشعوب الشرقية لنورمان وتاريخ ملوك بابل لبيشينش وغيرهم .

وللجميل المدور كتاب عنوانه تاريخ بابل وآثور مطبوع في مطبعة الفوائد في بيروت سنة ١٨٩٣ فيه فصول عن دول بابل وآشور ومدنها وآثارها وحضارتهـا إستناداً الى روايات القدماء والتنقيبات الاثرية كذلك .

وقد كتب جرجي زيدان فصلا في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام في تاريخ اسرة من الاسر العربية الجنس قامت لها دولة كبرى في بابل منها حمورابي الشهير استناداً كذلك الى الكتابات الاثرية والروايات والمدونات القديمة . وفي الجزء الاول من التاريخ العام لاحمـد رفيق التركي الـذي يستند إلى كتب شبامر وموردتار وده ليج وماقس دونكر وهومل الالمانيين وماسبرو وسينوس الافرنسيين فصول في تاريخ البابليين والكلدانيين والاشوريين ؛ وفي كتاب العصور القديمة لبريستيد الذي ترجمه إلى العربية داود قربان فصول كذلك في هذا التاريخ . وستكون هذه الكتب من المراجع الرئيسية لما سوف ندونـه في الفصول التالية عن تاريخ الموجات العربية في العراق ومآثرها المتنوعة التي سوف تكون تامة الحلقات ــ بقدر ما يمكن ــ لتاريخ العراق القـديم كما فعلنا في الجزء السابق وخاصة لتاريخ الجنس العربي فيه قبل العروبة الصريحة ؛ مـا نرجوا أن يكون مفيداً القارىء العربي وخاصة للناشيء العربي الذي يجب ان يكون ملماً بهذا التاريخ الذي هو جزء من تاريخ امته العظيمة . ومع أن من المحتمل أن يكون هناك كتب في تاريخ العراق القديم فان فائدة الكتاب تظل قائمـة لانـه يدور بنوع خاص على تاريخ الجنس العربي في العراق القديم ويبرز قوة الصلة بين العراق وبين هذا الجنس مما لم نطلع على ما فيه الغناء من ذلك في حجم الكتاب واسلوبه وترتيبه . ولسوف يرى القارىء العربي فيه صوراً غير يسيرة سياسية وغير سياسية مشابهة لما نرى اليوم من صور على مسرح البلاد العربية يمكن ان يكون فيها تعليل للاحداث الجارية .

هذا ؛ ولما كان موضوعنا هو تاريخ ومآثر الجنس العربي في العراق وليس تاريخ العراق اطلاقاً ولما كان انسياح موجات عربية الجنس قبل الأزمنة التاريخية هـــو من المحتملات التي لا يقوم عليها دليل وثيق فان ما سوف يتناوله بحثنا هو ما عرف من تاريخ ومآثر الجنس العربي في العصور التاريخية فقط ؛ ولن نتطرق إلى ما قبل ذلك كما اننا لن نتطرق الى تاريخ غير الجنس العربي في العراق الا مـــن قبل الالمام المتصل بتاريخ الجنس العربي وحسب .

الكلدانيون
ودولهم الاولى

الكلدانيون او الكلديون

- ١ -

إن اقدم موجة عرف انسياحها من جزيرة العرب إلى العراق هي الموجة التي يطلق عليها المؤرخون اسم « الكلدانيين [١] اقتباساً من كلمة «كلدو » الـتي كانت تطلق على المنطقة الجنوبية من العراق والتي نزلت فيها هذه الموجة ؛ ويقرر هذا كثير من الباحثين والمظنون ان اسم كلدو في الأصل هو اسم الموجة التي حلت في المنطقة . وقد يدعم هذا الظن كون الكلمة تحمل اللمحة العربية القديمة ؛ ومن المحتمل أن تكون نواة خلــدو أو خالد أو كندة . وقد قرىء من بين اسماء ملوك الانباط اسم « خلدو » . وكندة اسم قبيلة يمنية معروفة قبل الاسلام بقرون عديدة ؛ بل لقد اطلق العرب قبل الاسلام كلمة «كلدة» على بعض اسمائهم منها « الحارث بن كلدة » . والمظنون أن الموجة جاءت من جنوب الجزيرة إلى شواطىء الخليج العربي ــ الفارسي اولا ثم اخذت تتسرب الى العراق الجنوبي وتنتشر في السهل الذي عرف بسهل شنعار .

ويختلف المؤرخون في تعيين زمن طروء هذه الموجة . فاحمد رفيق [٢] يسجل بداية قيام الدول الكلدانية بالقرن الخامس والاربعين قبــل الميلاد ويسجل ظهور سرجون الذي يعتبره ابرز نجومها بالقرن الاربعين . وادي شير يسجل بداية قيام الدول الكلدانية المستند إلي الأخبار الصحيحة بالقرن الاربعين وظهور سرجون منها بتاريخ ٣٧٨٠ ق م ومعنى هذا أن الموجة قد طرأت على العراق قبل القرن الاربعين بقرن او اكثر حتى تسنى لها أن تتمكن وتتغلب وتنشيء دولها الصغرى ثم الكبرى على ما سوف نشرحه بعد «٣»

«١» احمد رفيق ج١ ص١٥٩ وما بعدها وبريستيد القرون القديمة ص ٩٠ وما بعدها ، وهـؤلاء المؤرخون وغيرهم يقررون أن الكلدانيين ساميون أي من الجنس العربي حسب نظريتنا . انظر ايضاً كتاب لبنـــان ص ١٨٩ .

«٢» التاريخ العام ج١ ص ١٦٣-١٦٦ وتاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ٢٢ .

«٣» سنشرح بعد قليل ما جاء في كتابي طه باقر وبريستد في عصر سرجون وتاريخه ومنشأه لان المؤلفين لا يذكران كلده والكلدانيين كموجة اولى .

وقد قلنا ان اقدم موجة عرف انسياحها هي هذه الموجة لانه ليس هناك ما يمنع ان تكون موجة قبلها بزمن طويل او قصير قد تسللت إلى العراق ؛ لان انسياح القبائل من جزيرة العرب قد وقع قبل خمسة وأربعين عاماً إلى مصر من جنوب الجزيرة وشمالها على ما ذكرناه في الفصل السابق .

وقد كان العراق الجنوبي حينما جاءت هذه الموجة تحت سلطان شعب عرف بالسومريين الذين يرجح انهم من الأريين وقد ضربوا بحظ وافر من الحضارة والعمران بالنسبة لذلك الزمن المتقدم ، وهم من تاريخ العراق الوثيق :«١»

وكان القادمون رماة ماهرين رشيقي الحركات. فاخذ السومريون يستخدمونهم في الجيش «٢» فكان ذلك وسيلة من وسائل تمكنهم في العراق الجنوبي وحلولهم في مدنه وقراه وانشائهم إلى جانبها مدناً وقرى اخرى ، واحلال سلطانهم تدريجياً محل السلطان السومري في شكل امارات ودويلات منفردة حيناً وفي شكل دول شاملة السلطان حيناً .

ومن المدن التي حلوا فيها او ابتنوها في القسم الجنوبي من العراق الجنوبي الذي عرف بسومير اور واريدو واوروك ولارسام ويبار اونو التي تعرف ايضاً باسم كيشحو ولاكاش التي تعرف ايضاً باسم زيربورلا ؛ وفي القسم الشمالي من العراق الجنوبي نيبوروبارسيب وكوتا وسبارا واكاد ودور وبغداد وزباو ايريكا واركارسال وكيش واوبى وشوباك وهيث «٣»

ويستفاد من الآثار والمدونات القديمة انه كان في كل مدينة من هذه المدن امارة او مملكة حوالي القرن الاربعين قبل الميلاد وبعده ، وانه كان يقع منافسات بين هذه الممالك بقصد التوسع في الحدود وبسط السيطرة والسلطان .

ولقد عثر في خرائب بعض المدن المذكورة على آثار ونقوش عديدة . غير انها لا تساعد على عرض فصول مسهبة ومتسلسلة في تاريخ دول وأمارات ومدن الموجة ومآثرها وبسبب ذلك سيكون الكلام عنها مقتضباً . وفي ما يلي مقتبسات عنها من كتاب تاريخ كلدو واثور لأدي شير «٤» وكتاب تاريخ بابل وأشور لجميل المدور «٥» .

«١» القرون القديمة لبريستيد ص ٨١ — ٩٤ واحمد رفيق التاريخ العام ج ١ ص ١٦٢ ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لطه باقر القسم الاول تاريخ العراق القديم ص ٧٥ وما بعدها .

«٢» القرون القديمة بريستيد ص ٩٠ «٣» تاريخ كلده وآثور لادي شير ج ١ ص ٣ — ٤ .

«٤» ج ١ ص ٢٢ — ٢٧ «٥» ١٢ — ٤٢

(١) كان في مدينة كيش حوالي عام ٤٠٠٠ ق م «١» ملك اسمه مانيشتوسو وكان ذا ثروة واملاك واسعة . ولما مات خلفه على ملكه وثروته ابن له اسمه مصيلم . وفي ايام هذا كانت امارتان اخريان اسم احداهما زيربورلا وتسمى ايضاً باسم لاكاش — ولعل الاسم الثاني نسبة إلى أحد ملوكها — واسم ثانيتها كيشحو ، وكانتا في نزاع شديد على الحدود فاصلح مصيلم بينهما وحفر قناة بين حدود هاتين الامارتين مما يدل على ان الجميع كانوا من ارومة واحدة تقاسموا المناطق فيما بينهم .

(٢) وقد قويت امارة زيربورلا في عهد ملكها آنادو الـذي كان حكمه في القرن التاسع والثلاثين قبل الميلاد فاستطاع أن يبسط سيطرته على جميع منطقة كلدو ثم على قسم من بلاد عيلام الواقعة في شرق العراق وشمال خليج البصرة . ويبدو من هذا ان السلطان السومري قد زال من هذه البقاع وحل محله السلطان العربي الجنس .

(٣) وبعد وفاة آنادو جلس مكانه اخوه انتادو الاول فنشبت الحرب بينه وبـين ملك كيشحو اورلوما ثانية ودارت الدائرة على هذا فيها فخضعت هي الاخرى لسيادة مملكة زيربورلا مدة من الزمن ثم استردت استقلالها في عهد امير من امرائها اسمه لوكازكيزي وقد اتخذ هذا الامير مدينة اوروك «٢» قاعدة لمملكته ثم قوي اكثر فاستطاع ان يبسط سلطانه على البلاد الواقعة حول خليج البصرة .

(٤) وفي القرن الثامن والثلاثين قبـل الميلاد برز صرغون كملك على أكـاد «٣»

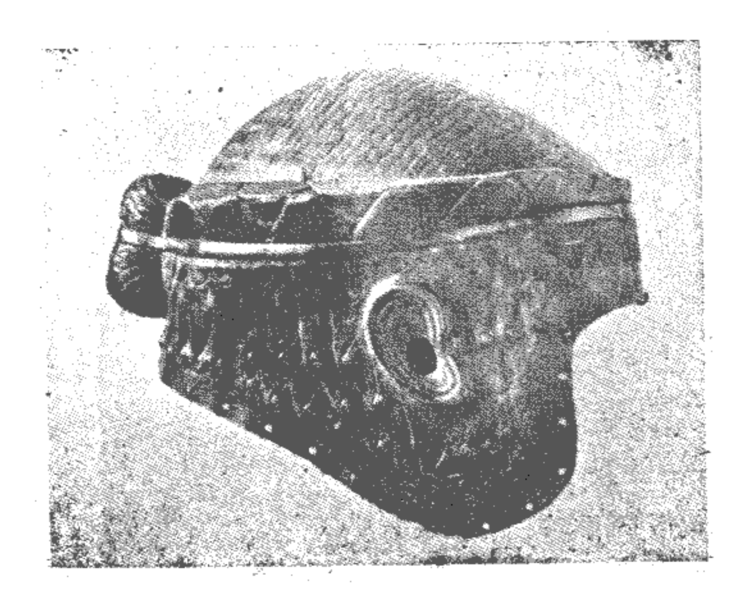
«١» يذكر احمد رفيق في كتابه التاريخ العام بالتركي ج١ ص ١٦٦ اسم اورخاننا كاول حاكم عرف اسمه لمدينة سيرتللا عام ٤٥٠٠ ويصفه بانه مـن الساميين أي الجنس العربي حسب اصطلاحنا . وادي شير لا يقول ان مانيشيو هو اول حاكم كلدي بل وفحوى كلامه يدل على انه كان قبل سنة ٤٠٠٠ ق م مدن وملوك كلديون عديدون . على انه يذكر اسم اوروكاغنيا كملك من ملوك لاكاش في سنة ٣٢٠٠ ق م ولا ندري هل هو اورخاننا الذى ذكره احمد رفيق ام غيره .

«٢» يقول ادى شير ان هذه المدينة هي التي سميت في سفر التكوين باسم ارك وهي التي عرفت خرائبها القديمة باسم وركه اليوم ج ١ ص ٤ .

«٣» يقول المؤلف المذكور ان صرغون الذى يسميه شركينا هو اول ملك من اسرته وان اسم ابيه ايثيبل ولم يكن ملكاً واللمحة العربية القديمة بادية على اسم هذا الاب فان بيل مـن الكلمات المتشاركة في اللهجات العربية القديمة وعلى الارجح نواة بعل ومعناه اى الرب او السيد وقـد تسمى بعض ملوك صور الكنعانيين بمثل هذا الاسم « ايثو بعل » في القرن العاشر قبل الميلاد ايثوابو زوجة النبي سليمان على ماجاء في سفر اخبار اليـوم .



تمثال رأس نحاسي
لأحـــد الملـــوك
الاكديين



قبعة ذهبية لأحد ملوك اور

واستطاع ان يبسط سلطانه على بابل وسبارا ركيش ونيبور وغيرهامن امارات كالدو وعلى خليج البصرة ثم اتجه نحو الشمال واستطاع أن يبسط سلطانه على العراق الشمالي ثم على ما بين النهرين ثم على بلاد الشام الداخلية والساحلية .

ومنذئذ صارت هذه خطة عامة سار عليها ملوك العراق الاقوياء فيما بعد حيث كانوا يرون وحدة السلطان في العراق اولا ومد سلطان العراق حول خليج البصرة من الجنوب والى بلاد الشام والبحر الابيض من الغرب والشمال من الأمور الحيوية لسلامة المملكة وعظمتها .

ويعد الباحثون هذا الملك من اعظم ملوك التاريخ القديم وقد انشأ امبراطورية عظيمة تمتد من جبال عيلام شرقاً إلى البحر الابيض غرباً والى مدى بعيـــد على مجرى النهرين بالاضافة إلى جميع العراق ومناطق واسعة من تخوم جزيرة العرب . ولقـــد غلب اسم كلدو فترة من الوقت بسبب هذا البروز .

وقد كان هـــذا الملك الى مهارته الحربيـــة وانهماكه في انشاء امبراطوريته العظيمة نشيطاً في مجال العلوم والفنون والعمران والتنظيم على ما عرف من النقوش التي ذكر فيها اعماله وفتوحاته والتي كشف عنها التنقيب .

ومما عرف من هذه النقوش انه انشأ في مدينة اور مكتبة سماها مدينة الكتب ووضع عدداً من القوانين التنظيمية لشؤون الدولة وحفر بعض اقنية للري وبنى هيكلين فاخرين في آكاد ونيبور تكريماً للاله بيل وشيد قصراً في بابل صار فيما بعد مقبرة للملوك «١»

ومؤلف كتاب تاريخ كلده وآثور يسمى صرغون شركينا ولكن جمهور المؤرخين الذين ذكروه ذكروه باسم صرغون . وقد تولى عرش المملكة الآشورية حينما قامت وعظمت ملوك تسموا بهذا الاسم تقليداً لاسمه على الاغلب .

ولقد ذكر صرغون احمد رفيق «٢» وقال انه ظهر قبل سنة ٤٠٠٠ ق م وانه كان حاكم مدينة اكاد ومن الاقوام السامية . ولقد ذكره بريستيد «٣» وأرخ بروزه في سنة ٢٧٥٠ ق م ووصف بروزه كاول انتصار للساميين وإنه كان ماهراً في الفنون الحربية ففاز على السومريين ومزق شمل رماحتهم وكسر ملوكهم شر كسرة فاستتبت له السيادة في جميع سهل شنعار ودانت له المدن السومرية حتى مصب الرافـــدين وزحف برجاله

«١» تاريخ كلده وآثور ج ١ ص ٢٤

«٢» التاريخ العام ج ١ ص ١٦٦

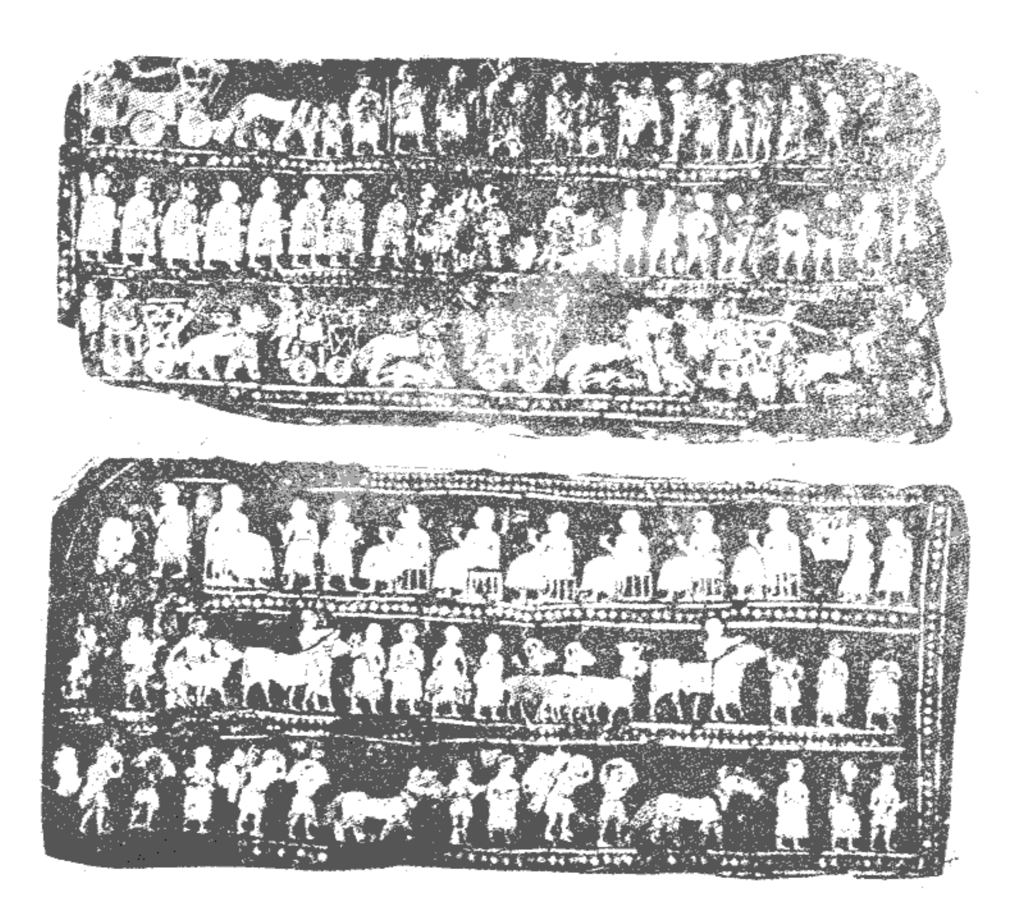
«٣» القرون القديمة ص ٩٠

الاكاديين الرماة المشهورين برشاقة الحركات من جبال عيلام الشرقية إلى جهة الغرب تابعين مجرى الفرات صعداً إلى سواحل البحر الابيض ومنها إلى آسية الصغرى ، وهو قائد عظيم في تاريخ الجنس السامي وأول ملك أنشأ امة عظيمة في آسية الغربية تمتد من عيلام إلى البحر الابيض ومن ثم شمالا الى امد بعيد على محاذاة الرافدين وكان لفتوحاته الباهرة تأثير شديد في نفوس سكان ما بين النهرين لم يمحـــه مر السنين . وخلفه ابناؤه واستولوا على ما كان فتحه من البلدان وأضاف اليها أحدهم المسمى تاوام سين فتوحات جديدة .

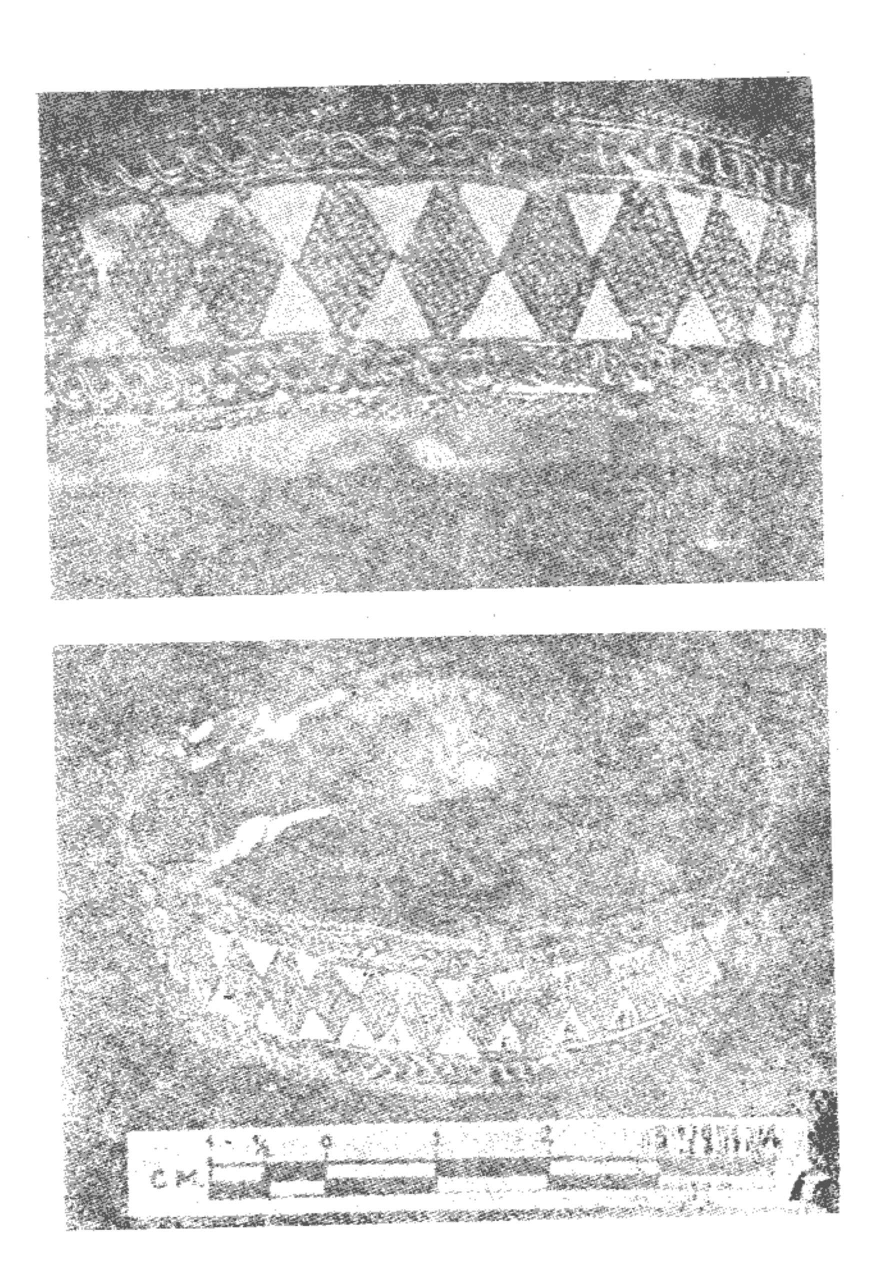
وقد قال فيما قال ان اكاد اسم قبيلة سامية . ومن المحتمل ان يكون هذا الاسم اسم فرع من موجة كلدة فاطلق على المدينة التي حل فيها او انشأها وصارت عاصمة لملوكه . وكلام بريستيد لا يفيد ان صرغون هو أول ملك ولكنه يعني أنه أول ملك سامي عظيم برز وبسط سلطانه على العراق ومده إلى البحر الأبيض . ويقول هذا المؤرخ ان السومريين الذين انتصر عليهم صرغون رضخوا وامتزجوا بالاكاديين الـــذين أخذوا كثيراً مـــن حضارة السومريين واستخدموهم في الشؤون الفنية وان السومريين يتميزون عن الساميين الاكاديين بانهم حليقو الشعر خلافاً للساميين ، وفي كتاب احمد رفيق صورة تمثال قديم موجود في المتحف البريطاني لرجل وصف بانه مثال للسمة الساميه يبـــدو كثيف الشعر فعلاً .

ونارام سين الذي مر ذكره هو ابن صرغون على مـــا يقوله ادي شير الذي يؤرخ عهده بعام ٣٧٥٠ ؛ وقد استولى على مدينة اسمها بيراق على شاطىء الفرات واغار على ما كان اوحجان التي يرجح الباحثون انها منطقة عُمان وانتصر على ملكهـــا الذي كان يدعى مانوم . وعرف من آثاره ومنقوشاته انـــه استطاع أن يوسع حدود امبراطوريته إلى حدود مصر وان يخضع جميع ما يقع في هذه الدائرة إلى حدود مصر وان يخضع جميع ما يقع في هذه الدائرة لسلطانه . وما كشف عنه من آثار هذا الملك معبد عظيم للشمس أنشأه في مدينة سيبار أو زيبار على نهر الفرات في شمال بابل وهيا كل اخرى في أكاد ونيبور . وما بقي من آثاره يدل على ان صناعـــة النقش والحفر وهندسة البنـــاء كانت متقدمة تقدماً غير يسير . ومـــن آثاره حجر موجود في متحف الاستانة عليـــه اخبار حروبه مع سكان جبال ذكرا ، وعليه صورته وهو منقض على ملكهم وجيوشه وهي تتسلق الجبال كاسحة ما يقف امامها [١] .

«١» التاريخ العام احمد رفيق ج١ص١٦٦ وبريستيد ص٩١



مشهد تزييني في احد قصور اور

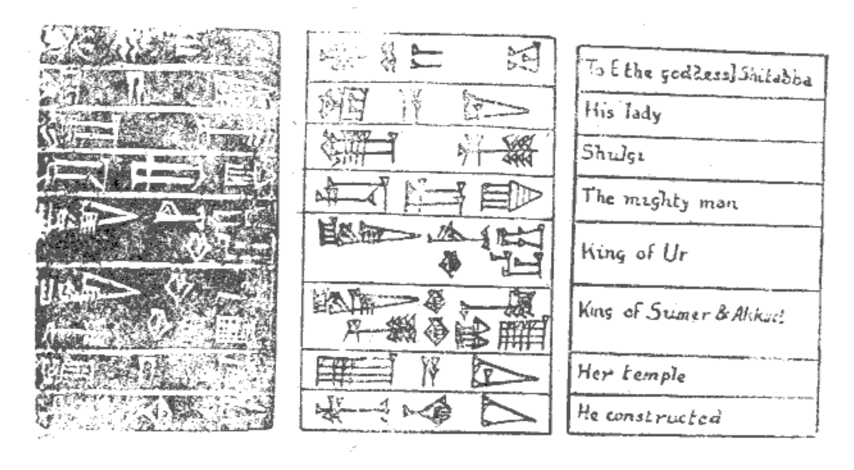


سوار ذهبي مرصع بالاحجار الكريمة

من آثار العراق القديمة



تمثال الملك الاكدي نارام سين



كتابة مسمارية ذكر فيها اسم الملك شلجى اودني احد ملوك اور

وسين هو اسم الاله القمر ؛ وقد اطلق هذا الاسم على الاله القمر في جنوب الجزيرة على ما مر بيانه في الجزء الاول ؛ حيث يبدو من هذا شيء من الصلة اللغوية والعقيدية بين الاكاديين الكلديين وبين جنوب الجزيرة قد تكون قرينة على الصلة الجنسية ايضاً .

(٥)ويظهر أن سلطات هذه الدولة لم يستمر قوياً وشاملا مدة طويلة . حيث يستفاد من الآثار ان مملكة دير بولا التي تعرف ايضاً باسم لا كاش عـادت فانتعشت وقويت واستمرت تمارس سلطانها الى نحو القرن الثلاثين قبل المسيح . وقد عرف مـن اسماء ملوكها اوروكاخيا وكان حكمه في تاريخ ٣٢٠٠ ق م وما اثر عنه أنه بنى ورمم هيا كل عديدة وحفر قناة في نينا . وملك بعده ملك اسم « اورشار » ثم « نيني كلـدو » ثم « اورينا » واثر عن هذا الاخير انه بنى هيا كل عديدة وزينهـا بزينات بديعة وجلب خشبها من بلاد ما كان التي يرجح انها المنطقة التي تعرف اليوم باسم عُمان . وقد عثر على صورته وصورة أولاده منقوشة على حجر . وخلفه على العرش ابنه اقورايل فحذا حذو أبيه في انشاء الهيا كل وتزيينها . وجاء بعد هذا ابنه ايدين غراغين وكان مولعـاً بالحرب فغزا بلاد عيلام وانتصرعلى جيوشها . وقد عـثر على نقش فيـه خبر حربه وانتصاره .

ثم انحط شأن الدولة بعد هذا وخضع ملوكها لملوك اور . وممن عرفت اسماؤهم من ملوكها في هذا الدور « اتنا توما الاول»وابنه « إنتينا » ثم « انناتوما الثاني » و «اورباو» وابنه « كدعا » واشتهر هذا بالابنية الكثيرة الرائعة التي شيدها . وكثير من آثار كالتماثيل والعمد والآجر والاحجار المنقوشة موجودة الان في متحف باريس حيث تولت بعثة افرنسية التنقيب في خرائب زيربولا ونقلت ما عثرت عليه الى عاصمة دولتها، ومما روى من احداثه انه غزا بلاد عيلام بامر ملك اور وافتتح مدينة اسمها انشان .

واللمحة العربية بادية على اسماء الملوك . واور بمعنى الضوء أو النور على مـا ذكره مؤلف كتاب كلده وأثور ولعلها نواتهـا ، ويلفت النظر خاصة الى اسم «كـدعا » الذى يحتمل كثيراً ان يكون نواة «جدعا»وهو صرح العروبة وكذلك إلى كلمة ايـل اللاحقة باسم اثور والتي كانت تعني في اللهجات العربية القديمة الاله ولعلها نواة هـذه الكلمة ، وكانت تلحق بالأسماء على ما مرت امثلة كثيرة في الجزء السابق .

(٦) واور التي مر ذكرها آنفاً والتي تقع على شاطىء الفرات في المكان الذي يعرف اليوم بالمكير قرب ملتقى النهرين عاصمة دولة من دول هذه الموجة . وقـد عظمت على

عهد ملكها اورشمشا [1] واللمحة العربية بادية على هذا الموسم فان شمشا هي الشمس في اللهجة العربية القديمة الكلدية واور هي النور وقد كان عهد هذا الملك حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد . ويستفاد من الآثار انه هو الذي بنى المدينة او وسعها واتخذها عاصمة فغدت من اعظم المدن الكلدية وصارت مقام الكهنة . وقد انشىء فيها من الهياكل ما لا نظير له سعة واتقاناً .

ويستفاد من بقايا المدينة ان اورشمشاهو الذي شيدفيها البرج العظيم الذي يظن البعض أنه برج البلبلة ، وبنى لسكناه قصراً جليلاً لا تزال جدرانه ماثلة لهذا اليوم وعلى احدها صورة لشخصه وليس من ذلك العهد صورة ابدع منها . وقد شيد ايضاً ابراجاً وتسمى في العراق « زقرات » في مدن لارسام واوروك ونيبور وسبارا وغيرها . واعظمها برج اوروك الذي لا تزال اطلاله قائمة إلى اليوم في شكل تل سمكه سبعون متراً وعلوه خمسة وثلاثون .

وقد كان سلطان هذا الملك منبسطاً على اعظم قسم من عيلام . ولقد كشف في خرائب اور عن هيكل من آثار هذا الملك يظن انه الهيكل القديم الذي ذكره بيروسوس المؤرخ البابلي وقال إنه مبني في نفس الموضع الذي خبأ فيه اكسبوتروس احد الكهان القدماء السجلات المسطر عليها تاريخ الخليقة والطوفان وأخبار الأيام الاولى واسرار التنجيم والكهانة وغير ذلك .

وقد خلفه على الملك ابنه (دونغي او ايل غي) وكان هو الآخر مغرماً بالبناء ، وقد عرف من الآثار انه اتم بناء هيكل في اوركان ابوه شرع في بنائه .

ومن ملوك هذه الدوله (ساغر كيتاس) وقد اتخذ مدينة صغيرة عاصمة له بدلا من اور لاسباب غير واضحة . وقد كشف المنقبون في خرائب هذة المدينة عن بقايا هيكل عظيم انشأه هذا الملك فيها ووجدوا فيها وجدوه آنية من المرمر الابيض مزخرفة غاية الزخرفة وعليها اسم نارام سين الذي يحتمل ان يكون من اعقاب ساغير كيتاس هذا . وقد قال الباحثون إن الكتابةالتي على الآنية تشبه الكتابة التى على ابنية وآثار اورخاموس واستدلوا بذلك على ان هؤلاء الملوك من اسرة او ارومة واحدة .

ومن ملوك هذه الدولة الذين ذكرهم جميل المدور منفرداً ملكاً اسمه اسمى داجون

«١»يسمي جميل المدور هذا الملك اور خامس تارة واور خاموس تارة اخرى تاريخ بابل واشور ص ٤١ و ٦٦

قال عنه ان اور بلغت في عهده ذروة العز والشهرة حتى صارت فريدة المدن .

(٧) ثم ضعفت هذه الدولة فانقسمت الى امارات عديدة :

آ ــ منها امارة (مانو) ؛ وكانت عاصمتها مدينة (اوووك)
وعرف من اسماء ملوكها :
(سين كشيد) و (سين كم ايل) و (بيل بوخي) .

ب ــ ومنها امارة (تيشين) وقد عرف من اسماء ملوكها :
(ليت نيت) و (كم ايل دار) و (اين دين) و (بوسين) و (اشميدا كان) .

ت ــ ومنها امارة (نيبور) وقد عرف من اسماء ملوكها :
(كنكو نوم) و (بورسين) و (اين سين) و (كم ايل سين) .
وكانت هذه قوية السلطان في بعض الظروف حتى ان سلطانها امتد الى انحاء بلاد الشام فضلا عن جميع جنوب العراق .

ث ــ ومنها امارة (لارسام) وقد عرف من اسماء ملوكها :
(نوراداد) وابنه (سين دينام) .
وقد بنى هذا الاخير ورمم هيا كل كثيرة ونظّف وحفر قنوات عديدة ايضاً .
واللمحة العربية القديمة بادية على الاسماء كما هو ظاهر ايضاً .

ولقد كان البروز بعد اسرة اورشمشا لملوك نيشين في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ثم صار لملوك نيبور الذين استولوا على اور في القرن الرابع والعشرين واتسع نطاق سلطانهم على ما ذكرناه آنفاً . ثم صار البروز في القرن الثالث والعشرين لامراء لارسام .

ولقد كانت اور مقام الكهنة الكبار وفيها من الهيا كل ما لا نظير له . وكانت مدينة مقدسة في نظر الكلدانيين وظلت تحتفظ بمكانتها هذه بعد انحطاط سلطان دولتها وغدوها تابعة لغيرها حيث كان كل ملك جديد في بلاد كلده يأتي اليها ويلبس تاجه فيها . وحين بسط كدرلا غوسر ملك عيلام سلطانه على بلاد العراق في القرن الثالث والعشرين على ما سوف يرد بعد جعلها عاصمة له .

ومن المدن الكلدية التي وصفها جميل المدور وصفاً قوياً مدينة بورسيبا ــ ولعلها بار سيب المذكورة في عداد المدن سابقاً . وتعرف خرائبها اليوم ببرج نمرود وتبعد اربعة كيلو مترات عن نهر الفرات . وفي هذه الخرائب آثار برج عظيم شاخص في السماء على

شكل هرم ارتفاعه واحد وستون ذراعاً ومحيطه تسعمئة وثلاثون ذراعاً وفي غربه قصعة من حائط عظيم تعاصت على كرور الحوادث يبلغ ارتفاعها سبعة عشر ذراعاً وطولها اثنتا عشرة وثخنها مثل ذلك . ويتصل اعلى هذا الحائط بسطح طوله مئة واربعة اذرع ويظن انه من بقايا الهرم الاصلي . ومن التقاليد القديمة ان هذا البرج هو الذي تبلبلت فيه الالسنة ، وان بانيه ملك من ملوك الكلدانيين عقب الطوفان العظيم . ثم جـدد بناءه بختنصر على وسمه القديم كما اتضح ذلك من نقش وجد لهذا الملك على ما سوف يرد ذكره في سيرته .

ويقول جميل المدور ان اكد ونيبور اسم لمدينة واحدة وان معنى نيبور الاله الكبير وانها كانت تسمى ايضاً سنيغار أي مدينة اله الأرض وذلك حينما صار لملوكها التقدم على سائر الملوك . وقد عثر فيها على بقايا هيكلين من انشاء اورخاس احدهما لاله الجاسد والآخر لبيليت تاؤوت ام الآلهة . وهناك آثار اخرى فيها يرجعها بعض الباحثين إلى القرن الاربعين ومن جملة ما وجد فيها حلى معدنية ضخمة الاشكال تدل على قدم العهد.

— ٤ —

ولقد عرف من المقارنة ان الكلدانيين اقتبسوا كثيراً من وسائل مدنية السومريين الذين كانوا قبلهم في العراق ومظاهرها ، ولكنهم ادخلوا على ما اقتبسوه تعديلات متنوعة حتى كاد يصبح شيئاً جديداً عليه طابعهم .

ومما اقتبسوه الخط المعروف بالخط الاسفيني أو المسماري ، والاسم ليس اصيلا وانما هو اصطلاح مستمد من اشكال الخط التي كانت أشبه بالأسافين أو المسامير . وكان لهذا الخط ثلثمائة وخمسون علامة تدل على مقطع او كلمة ؛ فأدخل عليه الكلدانيون تعديلات جديدة جعلته اكثر مرونة وشمولا بل غدا بها خطاً حديداً ليس بينه وبين القديم الا التشابه الشكلي . وقد اخذوا من السومريين تقويم السنين والأشهر والاوزان والمقاييس والمكاييل والنظام العددي وصناعات الالات الحربية والنحت والنقش ولم يلبثوا ان جودوا في كثير مما اخذوه وخاصة في النحت والاختام حتى فاقوا اساتذتهم على ما دلت عليه الآثار المكتشفة .

وفي كتاب طه باقر الذي نوهنا به في مطلع الفصل بيانات قيمة عن الدور الذي نحن في صدده والذي سماه دور فجر السلالات منها ما يتطابق مع ما اوردناه في الصحف

السابقة اقتباساً عن كتاب ادي شير ومنها ما يتخالف معه ، وفيها زيادات مهمة عليه .

وطه باقر يؤرخ هذاالدور بما بين القرن الثلاثين والقرن الرابع والعشرين قبل الميلاد [١] خلافاً لادي شير واحمد رفيق اللذين يؤرخانه بالقرن الاربعين او قبله على ما تقدم بيانه ويبدو من كلام باقران تاريخه تخميني واستنتاجي ويلوح لنا ان فيه غلواً ولقد ارخ عهد سرجون ملك اكاد بتاريخ ٢٣٥٠ ق م في مكان [٢] ثم قال في مكان آخر [٣] في سياق نتائج فتوحات هذا الملك وخلفائه وامتدادها الى ساحل البحر المتوسط ان النفوذ الاكادي في عهدهم التقى بالنفوذ المصري في عصر الاهرام ؛ وعصر الاهرام بدأ في القرن الثلاثين وامتد إلى القرن الخامس والعشرين في اقل التقديرات بقطع النظر عن التقديرات الـــتي تؤرخ بدء هذا العصر بالقرن الأربعين أو قبله على ما مرشرحه في الجزء السابق ، ومن الجدير بالذكر ان هذه التقديرات تتفق مع التاريخ الذي يؤرخه ادي شير وأحمد رفيق لعصر سرجون اكثر حيث يؤرخ الاول هذا العصر بتاريخ ٣٧٥٠ ق م [٣] والثاني بتاريخ ٤٠٠٠ ق م «٤» ولقد ارخه بريستيد في القرون القديمة بتاريخ ٢٧٥٠ ق م «٥» .

ومما جاء في كتابه [٦] ان جداول الملوك التي دونها الكتاب العراقيون منذ الالف الثاني قبل الميلاد والتي نقلوها عن اصول قديمة ترجع الى الالف الثالث تذكر ان اول مدينة قامت فيها الملوكية هي مدينة كيش [٧] وان ملوكها كانوا يعدون آلهة او ابناء آلهة هبطوا من السماء ، وكانوا ملوكاً وكهاناً معاً . ونبه المؤلف على ان معظمهم من الساميين اي من الجنس العربي حسب اصطلاحنا على ما تدل عليه اسماؤهم . وقد ذكر منهم خمسة وهم اورزبابا ومسيلم واجا ومانشتوسو وايتانا . والثلاثة الآخرون ذكرهم في القسم الحضاري من كتابه [٨] وقد وصف رابعها بالاكدي . وما ذكره عن هذا انه كان له مسلة نقلها العيلاميون الى بلادهم حينما غزوا العراق في حدود القرن الثاني مع مسلة حمورابي المنقوش عليها شرائعه . ومانشتوسو ومسيلم ذكرهمـــا ادي شير في عداد ملوك كيش والارومة الكلدية .

«١» ص ٣٦

«٢» ص ١١٥

«٣» ص ١٢٦

«٤» تاريخ كلدو واشور ج ١ ص ٢٤ والتاريخ العام ج ١ ص ١٦٦

«٥» ص ٩٠

«٦» ص ١٠٥

«٧» آثار المؤلف الى اثار حضارية في كيش اقدم ملوكها المعروفين نتيجة للتنقيبات الـــتي اجريت قرب التل المعروف باسم جمدة نصر .

«٨» ص ٢٩٢و٣٧٩و ٤٧٣

وذكر باقر بعد كيش الوركاء التي قال ان اسمها القديم آرك او اوروك وقال إن جداول الملوك تذكر ان الملكية انتقلت من كيش الى هذه المدينة «١» ثم ذكر باقر مدينة اور وقال إن من ملوكها جلجامش صاحب الملحمة او القصة المشهورة باسمه التي ورد فيها ذكر الطوفان والتي سنشير اليها في لمحة المآثر الحضارية في آخر الفصل .

ومما ذكره من القصص عن جلجامش ان العلاقات ساءت بينه وبين اجا ملك كيش الذي آنس من نفسه القوة فاراد بسط حمايته عليه ، وانه ارسل وفداً اليـــه يحمل انذاراً بالاستسلام والخضوع ؛ وان جلجامش استدعى اولا مجلس الشورى المكون من اعيان المملكة وشيوخها وعرض مطالب ملك كيش وحثهم على رفضها فلم يوافقوا على رأيه ، فاستدعى مجلس الشورى الثاني المؤلف من جميع الرجال القادرين عـــلى السلاح فرفض مطالب ملك كيش فنشبت الحرب بين قوات الملكين وانتهت بغلبـــة كيش وطلب جلجامش للصلح ..

وقد قال عن تاريخ اور ان سلالتها الاولى احسن حظا من سابقاتهـــا بفضل التنقيبات التي جرت في خرائبها المعروفة اليوم بالمكير ، وان مما عرف عنها ان اسم مؤسسها أني بيدا وقد وجدت له آثار مكتوبة في اور وفي مدينة اخرى كشف عنها في المكان المعروف اليوم بتل العبيد على مقربة من الناصرية وابى شهرين التي قامت على انقاض مدينة اريدو القديمة .

وقد عرف من هذه الآثار ان هذا الملك هو الذي شيد المعبد المشهور الذي كشف عنه في تل العبيد وان سني حكمة في جداول الملوك ثمانون ، وانه خلفه على العرش ابن له اسمه آني بيدا الذي عرف من الآثار انه جدد معبد تل العبيد وزين جبهاته وجدرانه بتماثيل من النحاس واعمدة من الفسيفساء المطعّمة بالاحجار الملونة الجميلة ؛ وقد عثر فيما عثر عليه في اور على مقبرة ملوكها ووجد فيها آثار ذهبية نفيسة .

ولم يذكر طه باقر كذلك صفة ملوك هذه السلالة ولكن يستفاد من كلامه بصورة اجمالية انها سومرية مع ان اسم الملكين اللذين ذكرهما يحمل لمحة العروبة القديمة .

وذكر المؤلف بعد اور مدينة لجش المعروفة خرائبها باسم تلو قرب الشطرة والتي هي على الاغلب لا كاش التي ذكرها اديشير على ما تفيده الاخبار المتماثلة الـــتي ساقها

«١» اشار المؤلف كذلك الى اثار حضارية في ارك اقدم من ملوكها المعروفين لنتيجة التنقيبات .

المؤلفان عنها . ويقول باقر ان من المحتمل ان يكون ملوكها حكاماً حربيين وزمنيين فقط لان اسماءهم لم ترد في جداول الملوك التي كان يدون فيها الملوك الذين يجمعون بين صفتي الملك والكهانة ولكن التنقيبات التي جرت في خرائبها كشفت عن ملوكها واخبارها وقد عرف عن ملوكها فيما عرف ان حكمهم بدأ في الطور الاخير من عصر فجر السلالات في حدود عام ٢٦٠٠ ق م وانهم كانوا يتلقبون بلقب « اشاكو » وان اولهم هو « اور- نانشه » وانه وجد له ولخلفائه آثار مكتوبة وتماثيل ومنحوتات وآثار فنية اخرى . منها لوحة فريدة نحت عليها صورته وصورة وزيره واولاده . وعليها كتابة تفيد انه شيد معابد مهمة للالهة الخاصة بمدينة لجش مثل الاله ننجر سو والالاهة نانشة وبنى سوراً للمدينة وحفر انهاراً للري . ومنها نصب اقامه احد ملوك هذه السلالة المسمى اياناتم يعرف باسم سلة النسور وهي محفوظة في متحف اللوفر بباريس يشاهد عليها رسوم الجند مصطفين صفوفاً على غرار ما عرف من نظام التبعية في زمن الاغريق وسلاحهم الرماح والتروس وعليهم الخوذات النحاسية . وقد عرف من النقوش التى على المسلة انه كان بين مدينة لجش ومدينة اخرى قريبة منها اسمها اوما نزاع مستمر على الحدود ومياه الري وان الملك اياناتم قد انتصر عليها . وفي قفا المسلة صور للملك في عدته الحربية على رأس جيشه وقربه جثث الاعداء تأكلها العقبان او النسور . ومما عرف من اخبار هذه المملكة او المدينة ان احد ملوكها انتيما قد جر ماء دجلة اليه حسماً للنزاع وان ملك كيش قد تدخل في هذا النزاع وحدد حدود الامارتين واقام نصباً عندها . وقد ذكر ادي شير شيئاً من ذلك وارخ تاريخها بالقرن الثاني والثلاثين قبل الميلاد على ما مر بيانه . ومما ذكره باقر انه حكم انتمينا ابنه اناتايم الثاني الذي بموته انقرضت السلالة . وحينئذ تدخل الكهان فعينوا احدهم حاكماً واسمه اينتارزي ثم اعقبه كاهن آخر وكلاهما من كهان معبد اله المدينة ننجرسو . ثم تولى الحكم اوركاجينا الذي تلقب بلقب الملك واشتهر بشريعة اجتماعية اصلاحية تعد اقدم محاولة من بابها في تاريخ البشر . ولم يعثر على نصوص هذه الشريعة ولكن الآثار ذكرت خبرها . وقد عرف انها كانت تهدف الى ازالة الظلم ونشر العدل بين طبقات المجتمع ومنع الكهنة والموظفين من ابتزاز اموال الناس والفقراء خاصة . وهو آخر ملوك لجش لان ملك اوما المعادية قد اغار عليها وفرض حكمه عليها .

وهذا الملك يدعى لوكال زاكيزي ، وقد نعته المؤلف بانه من مشاهير الامراء السومريين وانه بعد انتصاره على لجش انتصر على مدن اخرى وكون دولة واحدة شملت

اكثر العراق واتخذ الوركاء عاصمة له وتلقب بلقب لوكال كلاما اي العظيم ثم مد فتوحه خارج العراق حتى ساحل البحر المتوسط . ولكنه لم يستمتع بهذا السلطان طويلا اذبرز مرجون الاكدي مؤسس السلالة الاكدية وزعيم الساميين واشتبك معه في حرب طاحنة تغلب فيها عليه .

ولا يذكر باقر صفة ملوك لجش . ويبدو على اسمائهم اللمحة العربية القديمة التي تسوغ الظن انهم همالآخرون منالجنس العربي حسب اصطلاحنا . وقد ذكر ادي شير لا كاش وملوكها في سلسلة الامارات الكلدية الاولى .

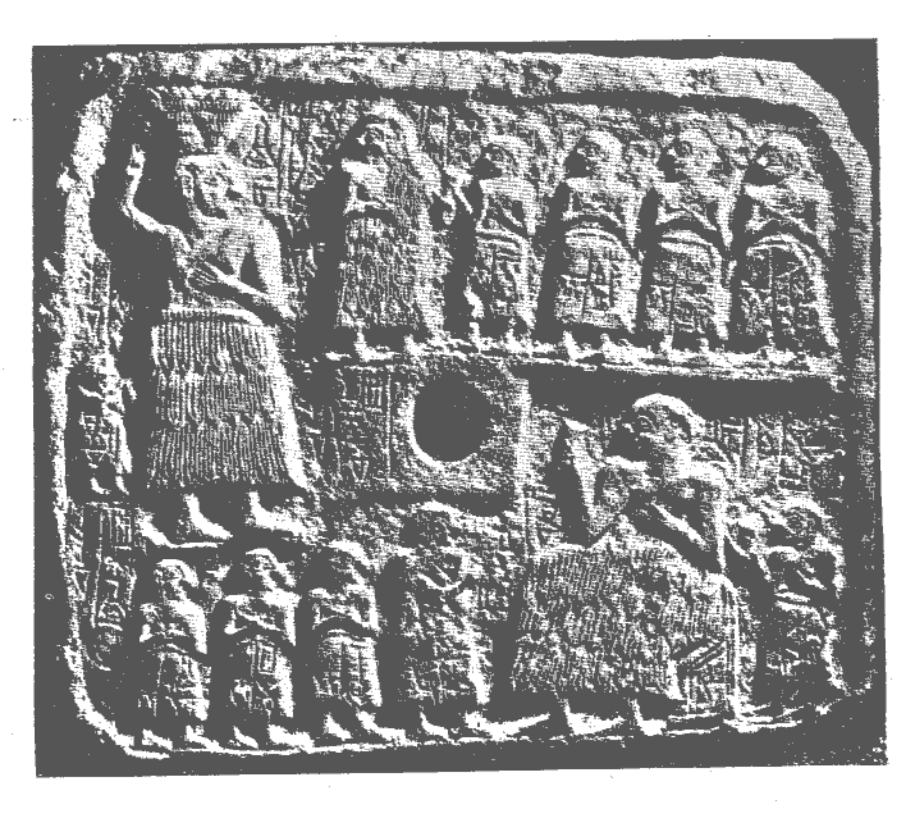
ولم يذكر باقر دويلات مدن نيبورو كيشحو التيذكرها ادي شير وقد ذكر مدينة ودولة اسمها لارسةودويلةومدينة اسمها ايسن «١» اللتيننظن انهااللتان ذكرهما ادي شير باسمي لارسام ونيشين ؛ وقال ان خبرهما عرف نتيجة لتنقيبات جرت في خرائبها التي تعرف اولاهما اليوم بتل سنكرة وثانيتهما بتل ايشان بحريات . غير انه ذكرهما في فصل العهد البابلي الذي قام نتيجة لهجرة الاشوريين حيث يفيد ذلك انه يذكرهما على اعتبار أنها من دويلات هذه الهجرة الاولى .

وقد ذكر باقر «٢» مدينة ودويلة او سلالة لم يذكرها ادي شير هي دولة اوسلالة اشنونا نسبة إلى عاصمتها التي تعرف خرائبها اليوم بتل اسمر في منطقة ديالي . وقال انها من الدويلات المهمة التي كانت في عصر فجر السلالات . ولم يذكر صفتها ولكنه ذكر اسم احد ملوكها وهو بلالاما الذي تلمح عليه اللمحة العربية القديمة العراقية ولعله (بيل ايل أما) . وما قاله عن هذه الدويلة ان مديرية الآثارالعراقية عثرت فياحدى مدنها التي تعرف خرائبها اليوم بتل حرمل على مجموعات من الوثائق التاريخية من العهد البابلي القديم . وخص بالذكر منها نسخة من شريعة ثبت انها شريعة احد ملوك اشنونا الذي يرجح انه بلالاما المذكور آنفاً وانها اقدم من شريعة حمورابي بنحو قرنين واقدم شريعة بشرية اكتشفت حتى الآن لان شريعة اوركاجينا لم يعثر عليها وانما عرف خبرها من التنقيبات .

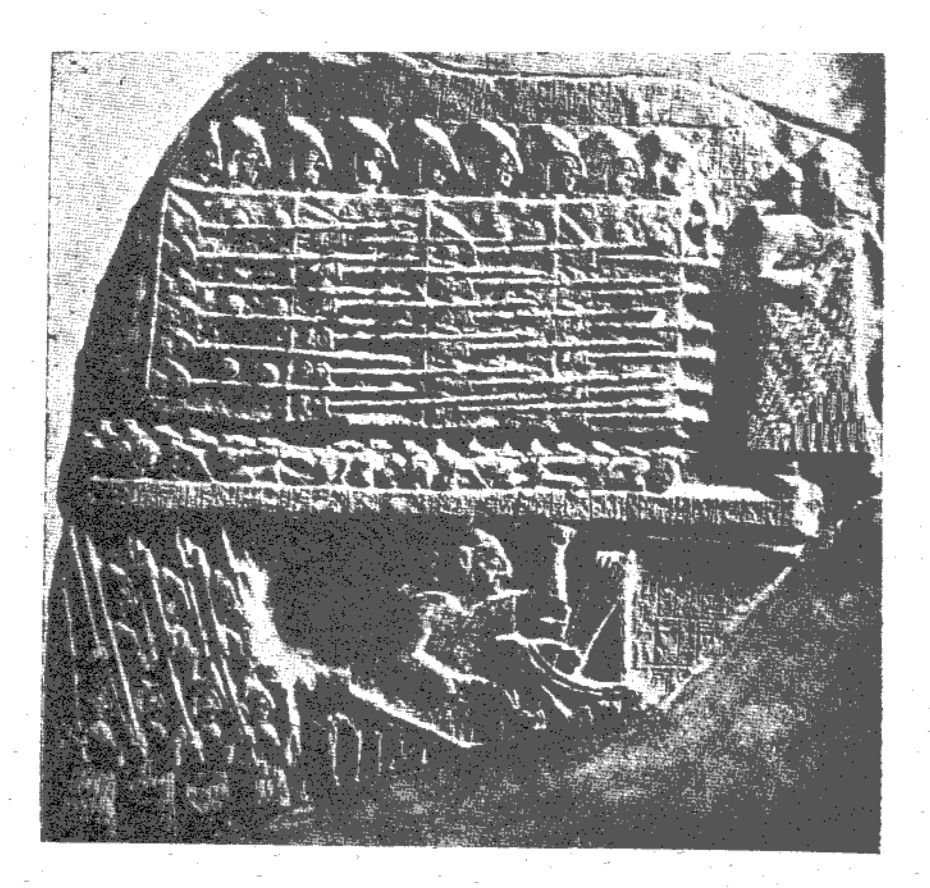
وينطوي وصف باقر لملوك كيش بانهم ساميون على دلالة انسياح الموجة السامية التي هم منها قبل قيام دولتهم بمدة ما بطبيعة الحال . وزعم ملوك كيش المروي من انهم ابناء آلهة هبطوا من السماء ينطوي فيه عراقتهم في القدم .

«١» ص ١٣٩

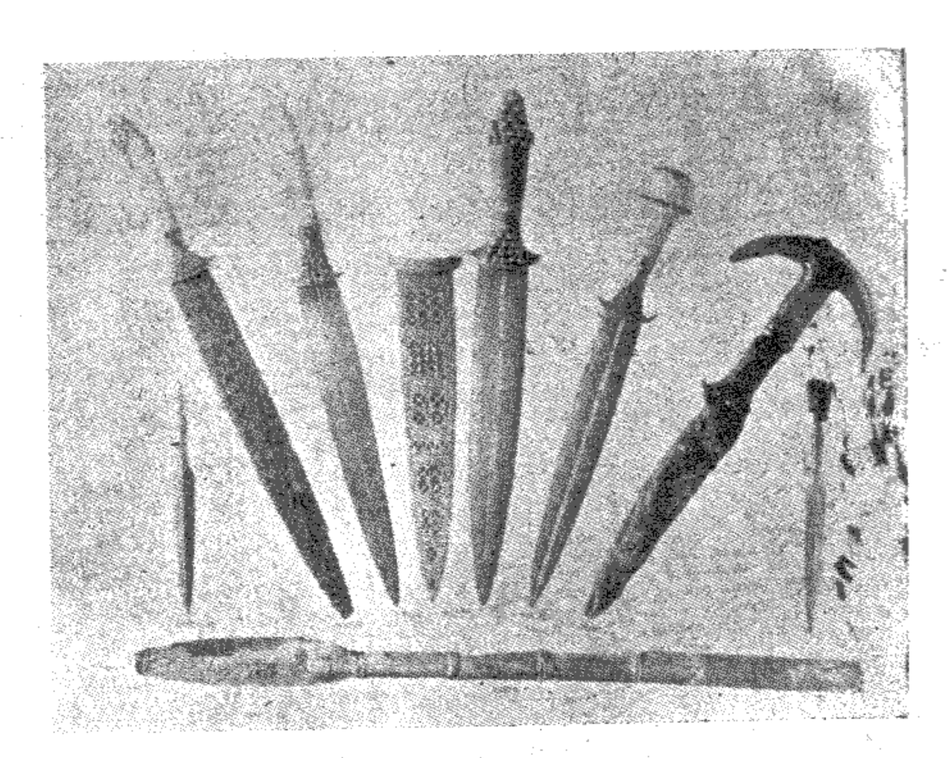
«٢» ص ١٤٢ — ١٤٤



مشهد للملك اورنانشه ملك لاجش في وليمة ومعه اولاده وندماؤه

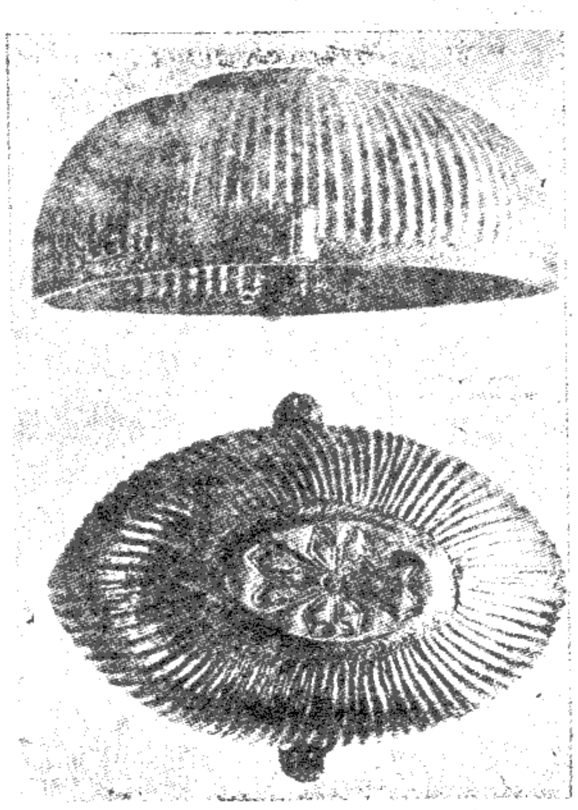


سلة النسور وفيها مشهد معركة حربية بين اياناتم ملك لاجش واهل اوما
ومعاهدة الصلح التي فرضها الملك على اوما



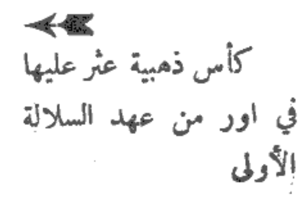


مجموعة خناجر ذهبية ومزاريق وجدت في القبور الملكية في اور ترتقى الى تاريخ ٢٨٠٠ ق.م

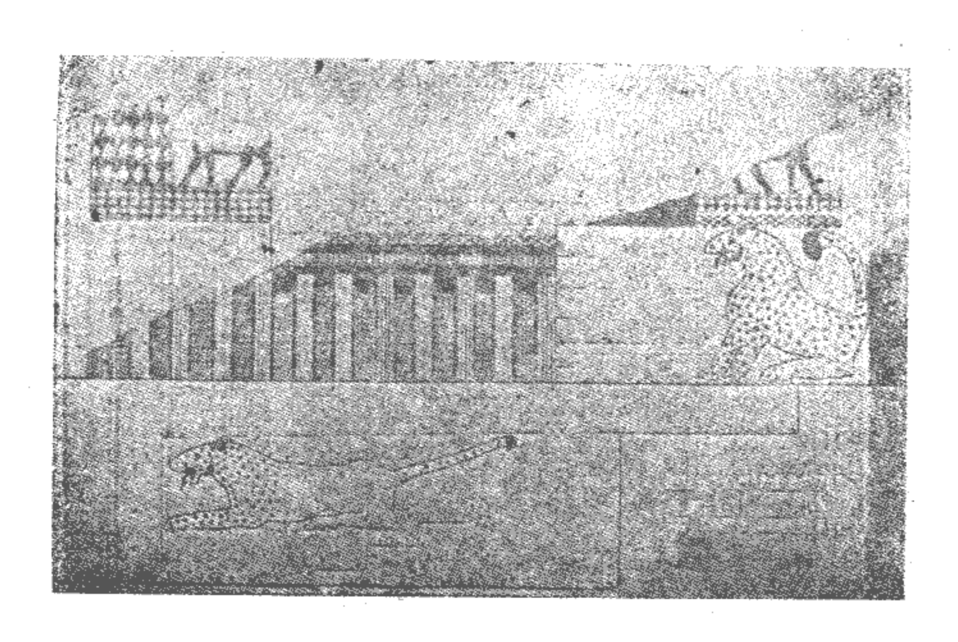


٤٢





كأس ذهبية عثر عليها في اور من عهد السلالة الأولى



نموذج من الصور المنقوشة في جدران

احد المعابد القديمة العراقية

ونميل الى التوقف ازاء قول باقر ان ملك مدينة « اوما » هو من مشاهير الامراء السومريين ، وازاء تعقيبه على سيرة دور السلالات الذي نحن في صدده تعقيباً يفيـد ان هذه السلالات سومرية . فهويقول إن ملوك كيش وسلالتهم اولى السلالات الملكية ساميون أي عرب حسب اصطلاحنا . فليس من المعقول ان يكون الساميون الذين منهم ملوك كيش الذين يصف دولتهم او سلالتهم اولى السلالات المالكة قبل سائر السلالات التي ذكرها ونعتها بالسومرية صراحة او ضمناً قد جاؤوا جماعة قليلة واستطاعوا مع ذلك ان ينشئوا دولتهم في كيش اثناء قوة وسلطان السومريين ، وانما المعقول ان يكونوا جاؤوا كموجة كبيرة انتشرت في بقاع كثيرة من العراق الجنوبي اولا واخذت تستقر فيه وتفرض سلطانها عليه ، وكانت كيش مثلا اول ما فرض فيها هذا السلطان . وهذا يسوغ القول ان السلالات التي اخذت تظهر وتقوم في المدن او المناطق الاخرى مثل اروك (الوركاء) ولجش واور او معظمها هي من هذة الموجة . وما يحمله معظم اسماء ملوكها من اللمحة العربية القديمة وما يبدو من تشاكل وتشارك بينها قد يكون من المؤيدات . وهـذا يجعـ نميل الى تصويب ادي شير الذي جعل هذه السلالات او الدول تحت عنوان الكلدانيين وإلى القول انها او معظمها من الموجة الكلدية .

ومما يقوله باقر في التدليل على سومرية الامارات انها كانت تشترك في عبادة آلهة تأتي على رأسها الآلهة السومرية مثل آنو وانليل ، وانها اتخذت مدينـة نفر بمثابة كعبة تحج اليها لانها كانت مركز عبادة انليل «١» وان لغتها واصطلاحاتها مطبوعة بالطابع السومري .

واتخاذ هذه الدول معبودات السومريين معبودات لها اذا صح او استعمالها اصطلاحاتهم ليس سنداً كافياً لوصفها بالسومرية جنساً . فكثير من الامم الغازية تقتبس ذلك مـن الامم المغزوة كما لا يخفى . على ان ادي شير يذكر «٢» ان آنو من آلهـة الاراميين التي اقتبسها عنهم الكلدان وان انليل من آلهة الكلدان الاصلية .

ولا ندري اذا كان يمكن ان يقال بسبيل التوفيق . ان وصف باقر للملك اومـا ثم للدويلات بصفة السومرية آت من كون هذا الملك وسلالته من قبله وملوك الدويلات الاخرى قد غلبوا السومريين على سلطان البلاد التي كانت تدعى بلاد سومر فوسموا بسمتها .

ومن العجيب ان باقر قال في سياق سيرة سرجون ان الكتابات الملكية والوثائق

«١» ص ١١١

«٢» تاريخ كلدو واثور ج ص ٦

التجارية كانت تكتب في عهد الملك لوكال باللغة السامية الاكدية [1] . ومن الصعب تفسير ذلك بغير القول إنه مثل ملوك دول هذا الدور كان ينتسب الى الارومة السامية الكلدية أي الجنس العربي حسب اصطلاحنا .

وهناك احتمال آخر وهو انه كان يقوم دويلات « سامية » عربية الجنس إلى جانب دويلات سومرية قبل ان يتمكن سرجون من البروز وفرض سلطانه على جميع البلاد .

هذا ؛ ومما ذكره باقر ان اخبار دويلات هذا الدور تدل على وجود علاقات مهمة تجارية وحربية وثقافية بين العراق وبلاد الشام وخاصة منطقة ماري في الفرات الاوسط ومنطقة الخابور والبليخ حيث عثر فيهما على مراكز حضارية تشير إلى ان نوع الحضارة فيهما كان نموذجاً من حضارة العراق القديم .

ومما ذكره في وصف احوال مدن دويلات العراق في هـذا الدور ان المدينة كانت تتألف من جملة حارات معبدية اي متمركزة حول المعابد ؛ وانه كان في لجش مثلا زهاء عشرين معبداً حولها مثل عددها من الحارات ؛ وقد قدر عدد نفوس كل حارة بنحو ١٠٠٠ ــ ١٢٠٠ نسمة وقد كان للمعابد املاك واسعة وكان يعتبر الالـه الذي يعبد في المعبد هو الحاكم الحقيقي والمالك الحقيقي للمدينة والناس وان الحكام والكهان بمثابة وكلاء عنه. وكانت الاراضي الملتحقة بالمدينة ثلاثة انواع نوع اسمه كورعائد لافراد المجتمع بحيث يصيب كل فرد منهم حصة لا تقل عن دونم. ونوع تعود غلته الى المعبد خاصة واسمه نيجن ويقدر بربع الارض ويفرض على افراد المجتمع زراعته وريه وحصاده والمحافظة عليه . ونوع عائد للمعبد ايضاً واسمه اورولا ولكنه كان يؤجر للافراد . وقد عرف من التنقيبات ان بيوت مدن الدويلات كانت على الاغلب من اللبن ومن طبقة واحدة فيها جملة حجرات تتوسطها ساحة مكشوفة .

ولقد افرد باقر فصلا خاصاً لسيرة سرجون وخلفائه [2] ، وقرر في مطلعه انه من الاكديين الذين هم فرع من الاقوام السامية الذين كانوا يهاجرون من جزيرة العرب من آن لآخر الى الاقاليم الخصبة المتاخمة لها من الشرق والشمال والغرب والتي اطلق عليها اسم الهلال الخصيب ؛ وان هجرتهم قد بدأت بدون شك الى هذا الهلال من اقدم الازمان في عصور ما قبل التاريخ ، وانهم طغوا على حياة العراق ومعظم الشرق الادنى

«١» ص ١٢٣

«٢» ص ١١٥ – ١٢٨

منذ العهد الاكدي يعد ان تغلب سرجون على دول المدن السومرية في اواخر عصر فجر السلالات .

ويبدو من كلام باقر انه يعتبر الاكديين الموجة الاولى المعروفة التي جاءت الى العراق وعاشت مع السومريين في عصر فجر السلالات واقتبست من حضارتهم ثم تغلبت عليهم بزعامة سرجون ؛ في حين انـــه يصف ملوك كيش الذين سبقوا سرجون ببضعة قرون بالسامية دون ان يذكر اسم الموجة التي هم منها . ولا يذكر كلدو والكلدانيين في هذه الحقبة وانما يذكرهم [١] حينما يصل إلى الكلام عن المملكة البابلية الاخيرة التي قامت على انقاض المملكة الآشورية حينما تحالفت بابل مع الماديين عليها على ما سوف نشرحه بعد ، ولكنه يقول انهم فرع من الآراميين استوطنوا العراق الجنوبي منذ النصف الثاني مـــن الالف الثاني قبل الميلاد وعرفوا بالكلدانيين دون ان يذكر سبب هذه التسمية . وقد ذكر مؤرخون كثيرون كلدو والكلدان كموجة من الموجات التاريخية التي طرأت على العراق من جزيرة العرب مع ذكر الآراميين في العراق الجنوبي في نفس الوقت .

والمستفاد من اقوال المؤرخين ان اكد كان اسم مدينة قبل بروز سرجون وانه برز فيها حينما برز [٢] ولا يبعد ان يكون غلبة اسمها بسبب بروزه الواسع الشامل . واحمـــد رفيق الذي يقتبس من مؤلفين المان وافرنسيين مستشرقين متخصصين في الآثار والتاريخ الشرقي يؤيد [٣] ان التسمية الشاملة هي التسمية الكلدانية وان الكلدان هم اول من برز على مسرح السياسة والحكم في العراق من الموجات السامية المعروفة تاريخياً . وهو يقول ان اكاد منطقة كان يسكنها اقوام غير ساميين سموا باسمها او سميت باسمهم وان سرغون السامي برز فيها وتغلب عليها وهو ما ذكره ادي شير على ما اوردناه من قبل .

وقد تكون كلدو ايضاً اسم منطقة مثل اكد . غير ان لحتها العربية القديمة اوضح .

ولهذا كله نميل الى ترجيح كون كلدو انما اطلقت على المنطقة اقتباساً من اسم الموجة العربية التي جاءت اليها ، وانما هي الموجة الشاملة التي شنها سرجون والـــتي حلت في ارض السومريين وتغلبت عليها ، وإذا كان اسم اكد قد غلب في عهد سرجون وخلفائه فلا يقتضي ان يكون ذلك دلالة حاسمة على كونها هي الموجة الشاملة .

«١» ص ٢٠٣

«٢» القرون القديمة بريستيد ص ٩٠ وتاريخ كلدو واثور ادي شير ج ١ ٢٤

«٣» التاريخ العام بالتركي ج ١ ص ١٥٧ – ١٦٣

ومن الجدير بالذكر ان اسم اكد قد اهمل بعد عهد سرجون فلم يعد يطلق على سكان العراق مع ان اسم كلدو والكلدان قد ظل مستمراً وقد انبعث في دور المملكة البابلية الأخيرة ثم ظل مستمراً الى اليوم مما يمكن ان يكون فيه قرينة قوية على صحة ترجيحنا .

ويصف باقر سرجون بانه مؤسس السلالة الاكدية ويقول إنه كان موظفاً كبيراً عند احد ملوك كيش المسمى اور زبابا . وقد ذكر باقر جملة من السلالات منسوبة الى مدنها مثل سلالة اور وسلالة لجش وسلالة الوركاء حيث يقوي هذا استنتاجنا بان الاكدية التي ينسب باقر سرجون اليها ليست الموجة الشاملة وانما هي فرع من الكلدية ، وانها نسبة الى اكد المدينة او المنطقة .

وقد قال في سياق سيرة سرجون ان عهد السلالة الاكدية لا يمثل فتحاً سامياً جديداً لان هذه السلالة لا تمثل أول استيطان للساميين في العراق حيث كان هؤلاء موجودين فيه منذ اقدم الأزمنة . ولكنه مع ذلك عهد متميز ببعض المميزات التي منها نشوء روح جديدة في الفن تتميز بالقوة والحيوية والحركة ، وتدوين الكتابات الملكية والوثائق التجارية باللغة السامية الاكدية ، وقيام الوحدة السياسية الشاملة . ومن المرجح ان سرجون اوجد نظام الجيش الدائم وانه اعتمد على اتباع خاصين اقطعهم قسماً من الاراضي وعين منهم حكاماً تفانوا في خدمته فكان ذلك من وسائله الى فرض سلطانه وفرض الوحدة السياسية الشاملة ؛ وفحوى كلامه يفيد ان سرغون فرض سلطانه على جميع الدويلات للقائمة في العراق الجنوبي .

وقد تلقب سرجون بلقب ملك سومر واكد وبلقب ملك الجهات الاربع الذي كان له مدلول ديني حيث كان خاصاً ببعض الالهة العظام ولا سيما آنو وانايل وشمشا . وقد جعل لجميع المملكة تقويماً موحداً فكان ذلك من مظاهر الوحدة ودعائمها ، وكان لكل دويلة قبله تقويمها الخاص وشهورها الخاصة وأعيادها الخاصة .

وقد امتد حكمه ٥٥ سنة ثم خلفه ابن له اسمه « رموش » وخلف هذا اخ له اسمه « مانشتوسو » وكان شجاعاً قوياً وقد خلف بعض الآثار المهمة التي منها المسلةالمشهورة التي تحمل اسمه وهي مسلة هرمية سوداءنقش عليها اعمالهالحربية والاقتصاديةوالعمرانية.

ثم خلفه نارام سين [1] اقوى ملوك السلالة . وكان عاهلا عظيماً اشتهر بفتوحه الخارجية حيث دوخ اقاليم عديدة في ايران وعيلام والفرات وبلاد الشام وآسية الغربية .

ولا يذكر المؤلف في الكلام عن عهد سرجون فتوحات خاصة له ولكنه يعود فيقول في سياق سيرة نارام سين ان الفتوح الخارجية التي قام بها سرجون وخلفاؤه البارزون الذين كان اشهرهم نارام سين قد انتجت تكوين امبراطورية واسعة شملت معظم الهلال الخصيب وبلاد عيلام وقسماً من آسية الصغرى إلى ساحل البحر المتوسط حيث التقى النفوذ العراقي الاكدي بالنفوذ المصري في عصر الاهرام دون صدام مسلح.

ومما عرف من المدونات التاريخية على ما يذكره باقر ان سرجون غزا اقليم كباد وكيه لنجدة مستعمرة للتجار الاكديين تأسست هناك لتجارة الصوف والفضة . وقد كشفت التنقيبات التي جرت في تل براك في منطقة الخابور عن مستعمرة كبيرة لنارام سين . ثم مد هذا الملك سلطانه إلى الخليج العربي الفارسي حتى ما كان عُمان اليوم ؛ وكانت أكاد تجلب من هذه المنطقة النحاس .

وقد اسفر الفتح الاكدي بوجه الاجمال عن توحيد اساليب الحياة والحضارة في الشرق الادنى على ما تدل عليه الاثار حيث توجد آثار في كل ناحية منه تدل على ما كان من وحدة في مظاهر الحضارة الاساسية من فن وعمارة ولغه وكتابة .وكان الخط المسماري هو الخط العام في الاعمال التجارية والسياسية .

وقد امتد حكم نارام سين ٤٠ سنة ثم اخذ يخلفه ملوك ضعفاء فارتبكت الدولة وأخذت اطرافها تتمرد عليها الى ان انهارت وقام على انقاضها دول وامارات جديدة

وممن قام على هذه الانقاض الكوتيون الذين لا يعرف اصلهم والذين يحتمل ان يكونوا من اهل الجبال الشرقية على ما يقوله باقر [2] ومع ذلك فانه لا يلبث ان يقول ان ملوكهم دونوا أخبارهم النزرة باللغة الاكدية ولعلهم كانوا يتكلمون بها وانهم كانوا مصطبغين بالحضارة الاكدية ويتلقبون بلقب الملوك الاكديين . وهذه الاوصاف قد تسوغ القول انهم من الارومة العربية الجنس اكثر من القول انهم من اهل الجبال الشرقية وتنبه على ان ادي شير قد ذكر [3] مدينة اسمها كوتا من جملة مدن الكلدان الشمالية ولا

«١» هذا يخالف قول ادي شير ان نارام سين هو ابن سرجون على ما مر من قبل .

«٢» ص ١٢٨ — ١٢٩

«٣» ج ٢ ص ٤

يبعد ان تكون هي مدينة الكوتيين .

ثم قامت سلالة ملكية جديدة في مدينة لجش وهي سلالتها الثانية . وقد نعت باقر هذه السلالة بالسومرية وقال [١] انه اشتهر من امرائها امير اسمه جوديه الذي احيا الآداب السومرية وشيد المعابد الضخمة وامتد النشاط التجاري في عهده الى الاقطار المجاورة ، وخلف نماذج شيقة من الآداب السومرية ووردت في كتاباته اسماء مواضع في شمال سورية وعيلام والبحرين والجنوب الشرقي من جزيرة العرب الذي كان يجلب منه الخشب والنحاس ؛ وانه خلف عدداً من تماثيله الجميلة المنحوتة من حجر البازلت والديوريت التي تزين اليوم قاعات متحف اللوفر بباريس .

ومما ذكره باقر [٢] ان الدولة الكوتية لم تكن قد زالت في اثناء قيام سلالة لجش الثانية فثارت عليها مدينة الوركاء بقيادة اميرها السومري اوتوحيكال الذي اعلن نفسه ملكاً وتصدى لتقويض هذه الدولة وقد تضامنت معه المدن الاخرى واشتبك بحرب مع آخر ملوك الكوتيين تريقان وتغلب عليه . وهكذا قامت سلالة جديدة في الوركاء وتلقب اوتوحيكال بلقب ملك سومر واكد .

غير انه لم يستمتع بملكه طويلا حيث ثار عليه حاكم مدينة اور واستطاع ان يقوض دولته فقام بذلك سلالة جديدة في هذه المدينة .

وقد ارخ باقر [٣] هذه السلالة بتاريخ ٢١١٥ ـ ١٩٩٨ق م وقال ان منشئها اورنمو ونعتها بالسومرية ايضاً وذكر انها آخر الحياة السياسية للسومريين الذين اندمجوا بعدها بالساميين والذين ظلت مع ذلك لغتهم وآدابهم وحضاراتهم ذات تأثير قوي في هؤلاء . ومما ذكره المؤلف عن هذه السلالة ان ملوكها اشتهروا باعمالهم العمرانية والحربية ، وخصوا مدينتهم اور بالقسط الاوفر من عنايتهم حتى غدت في زمنهم قبلة الشرق القديم . وقد امتاز عهدهم بازدياد السلطة المركزية . واستطاعوا بجهودهم الحربية استرجاع القسم الاكبر من امبراطورية سرجون . واحسنوا تنظيم وادارة الدولة في الداخل والخارج . وقد تلقبوا بلقب ملك سومر واكد وبلقب ملك الجهات الاربع كما فعل سرجون ؛ وانشأوا كثيراً من المعابد في اورو واريدو والوركاء ونفر وغيرها من مدن

«١» ص ١٢٩ — ١٣٠

«٢» ص ١٣٠

«٣» ص ١٣٠ — ١٢٧

سومر مما كشفت عنه التنقيبات ودل على كون هذا العهد من اعظم عهود العراق القديم. ويتجلى فن عمارة هذا العهد خاصة في معبد الاله القمر « سين اوننا » في اور وفي البرج المدرج الشاهق الذي كشف عنه كذلك في خرائب اور والذي يعد من احسن النماذج للمعابد العالية التي اشتهرت بها حضارة وادي الرافدين . وقد كشف في اور عن مقابر فخمة لهؤلاء الملوك ؛ وقد قام عند كل قبر معبد ومزار .

وكان سلطانهم يشمل بلاد عيلام وأشور واجزاء مهمة من بلاد الشام إلى حمص ودمشق ووادي الخابور وآسية الصغرى والبحرين . وقد نشطت الحركة التجارية في نطاق هذه الامبراطورية وانتشرت حضارة العراق فيها كما كان الحال في عهد الامبراطورية الاكدية .

وقد وجد حديثاً نسخة من شريعة وضعها منشيء هذه الاسرة اورنمو ، وقد سار هو وخلفاؤه على سياسة دمج الاكديين والسومريين . ومن ملوك هذه السلالة الذين ذكرهم باقر بالاضافة الى اورنمو « مشوسين » و « ابي سين » .

وقد اخذ يتسرب في اواخر عهد هذه السلالة عن طريق بلاد الشام فالفرات الى العراق الجنوبي موجات مما سمي بالساميين الغربيين او الآموريين [1] ومما هم من الجنس العربي حسب اصطلاحنا ؛ وقد استفحل امرهم في عهد ابي سين الذي كان آخر ملوك السلالة حتى انه انشأ سداً لصدهم ولكن ذلك لم يجد حيث ظل امرهم يتفاقم حتى قوضوا حكم الاسرة وأقاموا حكمهم على انقاضها .

وقد رافق تسرب الأموريين غارات من العيلاميين في الشرق. فكان ذلك مما عجل في نهاية أور .

وقد نشر حديثاً بعض وثائق عن هذه النهاية يستفاد منها انه حدث عصيان وتمرد في اجزاء متعددة من الامبراطورية وان حاكم مدينة ايسن في منطقة الفرات الوسطى كتب الى ابي سين بشأن الدفاع عن هذه المدينة التي يتهددها تدفق الأموريين نحو العراق وذكر له ما يقع منهم من نهب واخلال بالأمن ؛ وان اهل اور يرجعون سبب تحطيم دولتهم وتدمير مدينتهم الى غضب الآلهة ولا سيما الاله انليل على اور والهها القمر الذي كان يسمى « سين اوننا » .

«١» طه باقر ص ١٣٤

هذا ونقول أن باقر يجدد مشكلة وصف السلالات الجديدة التي قامت بعد عهد الامبراطورية الاكدية بالسومرية مرة اخرى ؛ في حين انه قال ان الساميين طغوا على حياة العراق منذ العهد الاكدي [1] الذي ادى الى تكوين وحدة سياسية وثقافية شاملة ؛ فوصفه السلالات الجديدة بالسومرية ينقض هذا القول لان معناه ان السومريين لم يندمجوا في الساميين وظلوا محتفظين بشخصيتهم وبنيانهم ، فلما سنحت لهم الفرصة برزوا ثانية على مسرح الحكم والسلطان .

ولقد ذكر ادي شير انتعاش مدن لاكاش التي هي لجش والوركاء واور ثانية بعد عهد سرجون وخلفائه ونوه بما كان من نشاط ملوكها العمراني والحربي كذلك مع بعض اختلاف في التفصيل والاسماء في نطاق اخبار دول الكلدان ومدنهم الأولى . والاسماء التي اوردها المؤلفان على ما بينها من اختلاف تحمل لمحة العروبة القديمة مما يجعلنا نميل الى ترجيح كلديتها العربية . ولسنا نرى خبر احياء جودية للآداب السومرية دلالة حاسمة على سومرية اسرته . فان الموجات العربية قد اقتبست كثيراً من آداب وحضارة السومريين منذ حلت بينهم ثم غلبتهم على امرهم .

ولقد كان القمر الهاً رئيسياً من آلهة هذه السلالات ، وكان من قبلها كذلك عند الاكديين والكلديين ؛ وكان كذلك في جنوب جزيرة العرب الذي هاجر منه الكلديون وظل يحتفظ باسمه « سين » هنا وهناك ولهذا دلالة ذات اهمية فيما نعتقد ولا يعقل ان يكون مجرد صدفة او اقتباس .

— ٥ —

ولقد ذكرنا في مطلع الفقرة السابقة انه عثر على جداول باسماء ملوك السلالات الأولى نقلها كتابها في الألف الثاني قبل الميلاد عن اصول قديمة .

وقد اثبتت هذه الجداول في كتاب دليل المتحف العراقي الرسمي المطبوع في سنة ١٩٤٣م مقسمة الى مجموعات منها ما يعود الى ما قبل الطوفان ومنها ما يعود الى ما بعده ومن الذي يعود الى ما بعد الطوفان ما هو عائد على ما يبدو الى حقبة اقدم من الحقبة التي تعتبر مبدأ التاريخ الوثيق في العراق الذي يبدأ في القرن الثلاثين قبل الميلاد في تقدير البعض والقرن الاربعين في تقدير البعض الآخر على ما ذكرناه قبل .

«١» ص ١١٦

وسنى ملوك ما قبل الطوفان وملوك الحقبة السابقة لحقبة التاريخ الوثيق خرافية حيث تبلغ مدة حكم بعض الملوك عشرات الوف السنين وبعضها الآلاف وبعضها المئات العديدة؛ مما يسوغ القول ان اسماء الملوك ومدة حكمهم ذكريات متداولة قديمة اختلطت بالخيال على انها مع ذلك قد تفيد ان النشاط السياسي والحضاري في العراق اقدم بكثير من نشاط الذي تمثله السلالات التي كانت في حِقبة التاريخ الوثيق . ولما كان هـذا النشاط لعناصر آرية كانت تطرأ على العراق من الشمال والشرق وعناصر سامية - عربية الجنس حسب اصطلاحنا ـ كانت تطرأ من الجنوب والغرب فيصح ان يقال إن النشاط السياسي والحضاري والعمراني - القديم الذي تمثله تلك الذكريات هو بدوره كان لعناصر آرية واخرى عربية يرجع الى ابعد بكثير مما سجله التاريخ الوثيق لها . واللمحة العربية القديمة تبدو على اسماء الجداول السابقة للحقبة التاريخية الوثيقه مما ذكر تحت عنوان ما قبل الطوفان وما بعده مما فيه دلالة على ما نقول :

(١) وهذه اسماء ومدن وملوك مـا قبل الطوفان كما جاءت في جـدول لارسا رقم (١) «١» :

الاسم	المدينة	عدد السنين
الولم	اريدو (تنأكي	٢٨٨٠٠
الجار «٢»	»	٣٦٠٠٠
اتمنلو أنا	باد - تبيرا	٤٣٢٠٠
اتمنجالنا	»	٢٨٨٠٠
دموزي الراعي	»	٣٦٠٠٠
انسيزبانا	لراك	٢٨٨٠٠
اتمندر انا	سبار	٢١٠٠٠
ابردودو	شرباك	١٨٦٠٠

(٢) وهذه اسماء سلالة كيش الاولى من ملوك ما بعد الطوفان :

«١» دليل المتحف العراقي ص ٤٤

«٢» نبه واصفو الدليل على ان الجيم في الاعلام البابلية تلفظ حسب اللهجة المصرية .

الاسم	المدة	الاسم	المدة
١ چا اور	١٢٠٠ سنة	١٣ أتانا الراعي	١٥٠٠ سنة
٢ جولاندابا أنا	٩٦٠	١٤ باليتح ابن اتانا	٤٠٠
٣ ؟ «١»	.	١٥ انمينتا	٦٦٠
٤ ؟	.	١٦ ميلام كيش	٩٠٠
٥ با	.	١٧ برك انفا	١٢٠
٦ بو	.	١٨ س زا	١٤٠
٧ چالبوم	٦٣٠ سنة	١٩ تيز جار	٣٠٦
٨ كلومو	٨٤٠	٢٠ الكو	٩٠٠
٩ دجاجيب	٩٠٠	٢١ التاسادوم	١٢٠٠
١٠ أتاب	٦٠٠	٢٢ انمبرا جيسي	٩٠٠
١١ أتبا	٨٤٠	٢٣ أجا	٦٢٥
١٢ أربيوم	٢٧٠		

(٣) وهذه اسماء سلالة الوركاء الاولى «٢»

١ مسكيا چاشير	٣٢٥ سنة	٧ اوتل كلاما	١٥
٢ انمركار	٤٢	٨ لباشر	٩
٣ لوچال بندا الراعي	١٢٠٠	٩ اتنادنا	٨
٤ الاله دموري السماك	١٠٠	١٠ اورحيلدي	٣٦
٥ جلجامش	١٢٦	١١ ميلاماتا	٦
٦ راور ننجال	٣٠	١٢ لوچال كياحا	٣٦

(٤) وهذه اسماء سلالة اور الاولى «٣»

١ ـ سيانيبادا	٨٠ سنة

«١» ص ٤٥

«٢» ٤٥

«٣» ص ٤٦

٢ ـ آينباد[١]	٠	
٣ ـ مسكيا ج رتنار	٣٦	»
٤ ـ الولو	٢٥	»
٥ ـ بالولو	٣٦	»

(٥) سلالة اوان[٢]

لم يورد الدليل اسماء ملوك هذه السلالة وانما قال انهم ثلاثة ملوك حكموا ٣٥٦ سنة. والراجح ان هذا هو ما ذكر في الجداول .

(٦) سلالة كيش الثانية

١ ـ لاخ	٢٠١ سنة	
٢ ـ دراسج	٠	
٣ ـ مما جاله	٣٦	»
٤ ـ كليو	١٩٥	»
٥ ـ كو اي	٣٠٠	»
٦ ـ اورننا	١٨٠	»
٧ ـ انيني	٢٩٠	»
٨ ـ لوجالمو	٣٦٠	»

٧ ـ سلالة حمازي[٣]

هذه السلالة ملك واحد اسمه جدانيش ومدة حكمه ٣٦٠ سنة

(٨) سلالة الوركاء الثانية «٤»

لم يذكر من هذه السلالة الا ملك واحد هو انوكدانا ومدة حكمه ٦٠ سنة ثم جاءت هذه العبارات :

«١» علق واضع الدليل على هذا انه لم يذكر في الجداول ولكن اسمه عرف من الرقم الحجري الذي عثر عليه في معبد تل العبد الذى شيده اينباد الى الهته ننخر ساك وهو ابن ميسا ينبادا . وهذا التعليق قد يفيد ان هذه السلالة من حقبة التاريخ الوثيق .

«٢» ص ٤٦

«٣» ص ٤٦

«٤» ص ٤٦

المجموع : دامت الملوكية ١٢٠ سنة ... حكموا ٤٨٠ سنة والمتبادران هذا ما امكن قراءته من الالواح التي يظهر انها كانت ناقصة او مشوهة .

(٩) سلالة اور الثانية [١]

الذي ذكر تحت هذا العنوان هذه العبارة (المجموع اربعة ملوك حكموا (١٠٨ سنوات).

(١٠) سلالة ادب

١ ـ لوجال آنيمندو ٩٠ سنة

(١١) سلالة ماري

الذي ذكر تحت هذا العنوان هذه العبارة ستة ملوك حكموا ١٣٦ سنة .

وفي دليل المتحف العراقي بالاضافة الى ما تقدم جداول باسماء ملـوك السلالات العائدة الى حقبة التاريخ الوثيق تحت عنوان السلالات المتعاصرة . وقد نبه واضعوه على ان الاسماء مستندة الى جداول الملوك المدونة والمصادر التاريخية معـاً . ومـن الاسماء الواردة تحت هذا العنوان ما وردذكره في سياق التبذ التاريخية السابقة مع احداث رويت عنهم ومنها ما لم يذكر مما يمكن ان يفيد ان اصحابها لم يسجلوا احداثاً من نشاطهم . وعلى كثير من هذة الاسماء بل على معظمها تبدو اللامحة والصيغة العربية القديمة مما يمكن ان يفيد ان اصحابها من الارومات العربية الجنس .

وهذه هي الجداول حسب ترتيبها في الدليل :

(١) سلالة اتشك : حوالي ٢٦٥١ ــ ٢٥٥٩ ق م [٢]

١ ــ اونزي مدة حكمه ٣٠ سنة

٢ ــ اوندلولو ٦

٣ ـ اورر ٦

٤ ــ بزرسخان ٢٠

٥ ــ ايشو ايل ٢٤

٦ ــ جميل سين ٠٧

(٢) سلالة كيش الثالثة [٣]

«١» ص ٤٦

«٢» ص ٤٨

«٣» ص ٤٨

كو ـ باو   مدة حكمه   ١٠٠ سنة

(٣) سلالة يسليم في كيش [١]

١ ـ يسليم

٢ ـ اور زائد

٣ ـ لوجال تارزي

٤ ـ لوجال ... اجا

٥ ـ انبي أشداد

(٤) سلالة كيش الرابعة . حوالي ٢٥٥٨ ـ ٢٤٦٧ ق م [٢]

١ ـ بزر سين	٢٥	سنة
٢ ـ اور ألبابا (ابن)	٦	«
٣ ـ زيمور دار	٣٠	«
٤ ـ اوسي ودداد	٦	«
٥ ـ اشتار موتي	١١	«
٦ ـ اشمي شمش	١١	«
٧ ـ نانيا	٣	«

(٥) سلالة الكوتيين . حوالي ٢٣٧٠ ـ ٢٢٨٢ ق م [٣]

١ امبيا	سنة ٣	١١ توروم	سنة ١
٢ ينلكيشو	٦	١٢ ...	٣
٣ نكل لجاب	٦	١٣ ...	٢
٤ شلمى	٦	١٤ إرارم	٢
٥ الولومش	٦	١٥ ابرانم	١
٦ الى مابكش	٥	١٦ خابلم	٢
٧ اجبشوش	٦	١٧ بوز رسين (ابن)	٧
٨ ايار لجب	١٥	١٨ آيار لحبذا	٧
٩ امباته	٢	١٩ لاسراب	٧
١٠ديار لجش	٣	٢٠ تريقال	اربعون يوماً

«١» ص ٤٨

«٢» ص ٤٨

«٣» ص ٤٨-٤٩

(٦) حكام لجش [١]

١ ـ اور نانشه
٢ ـ اكور جال (ابن)
٣ ـ ايانانم (ابن)
٤ ـ آنانانم الاول (أخ)
٥ ـ انتمينا (ابن)
٦ ـ انانانم الثاني (ابن)
٧ ـ انيتارزي
٨ ـ انيتارزي
٩ ـ لوجالندا
١٠ ـ اوروكاجينا

(٧) حكام أما : [٢]

١ ايا بزو
٢ اوش
٣ انيكالي
٤ اورلوما
٥ إل
٦ اوكش

(٨) لوجال زاكيزي مؤسس سلالة الوركاء الثالثة [٣]

(٩) السلالة الاكدية . حوالي ٢٥٥٠ ـ ٢٣٣٢ ق م «٤»

١ ـ سرجون ـ شروكين ٥٥ سنة
٢ ـ ريموش (ابن) ٩
٣ ـ منشتوسو (اخ) ١٥
٤ ـ نرام سين (ابن) ٥٥
٥ ـ شارجاليشاري (ابن) ٢٤

«١» ص ٤٨
«٢» ص ٤٨
«٣» ص ٤٨
«٤» ص ٤٨ ـ ٤٩

٦ ـ اجيجي
٧ ـ إمي ٣
٨ ـ الولو

٩ دودو ٢١

١٠ ـ سدرول ١٥

(١٠) حكام لجش المتأخرون [١]

١ اور باو
٢ تماضني
٣ اور جار
٤ درزاج
٥ لوربا
٦ لو - جولا
٧ جوديا
٨ اور تنجرسو
٩ اور لاما

(١١) سلالة الوركاء الرابعة . حوالي ٢٣٨٠ ـ ٢٣٥٠ ق م [٢]

١ ـ اور ـ نجن سنة ٧

٢ ـ اور ـ حجر ٦

٣ ـ كسدا ٦

٤ ـ بز ـ ايلي ٥

٥ ـ اور بيار ٦

(١٢) سلالة الوركاء الخامسة . حوالي ٢٢٨٢ ـ ٢٢٧٥ ق م [٣]

١ ـ إوتو حيجال سنة ٧ ولم يذكر غيره .

(١٢) سلالة اور الثالثة حوالي ٢٢٨٥ ـ ٢١٧٠ ق م «٤»

١ ـ اورنامو سنة ١٨

٢ ـ شلجي(اودنجي)(ابن)٤٧

٣ ـ بورسين (ابن) ٩

٤ ـ جميل سين ٩

٥ ابي سين ٢٥

«١»و«٢»و«٣»و«٤»ص٤٩

(١٤) سلالة القطر البحري [١]

١ ايلوما ــ ايلوم
٢ اني ــ ايلي ــ نيني
٣ دامق اليشيو
٤ اشكي بال
٥ شوشي
٦ جليكشار
٧ بشجال ــ درماش
٨ ادارا ــ كلاما
٩ اكوار اولانا
١٠ ملام ــ كركرا
١١ ايا ــ جامل

(١٥) سلالة اشنونا [٢]

١ كريكري
٢ بلالاما
٣ اشراماش
٤ اورسو ــ وارسو
٥ اور تنار
٦ اورننجشزيدا
٧ ايق ــ اداد الاول

(١٦) كيش [٣] :

١ ــ اشدوني ــ ارم
٢ ــ مانانا
٣ ــ سمو ــ دتانا
٤ ــ يا بيئم

(١٧) الوركاء «٤»

١ ــ سن اربا
٢ ــ وردتني
ــ انام
٤ ــ سين جاشد
٥ ــ سين جامل

«١» ص ٥١ «٢» و «٣» ص ٥٠ لم يذكر الدليل لسلالة كيش هنا رتبة تسلسلية وقد مر قبل سلالات كيش الاولى والثانيه والثالثة والرابعة .

«٤» ص ٥١ لم يذكر الدليل رتبة تسلسلية لهذه السلالة [illegible] قبل ذكر سلاسل الوركاء الاولى والثانية والرابعة والخامسة .

الامور يون ودولتهم العظمى في بابل

الاموريون أو العموريون

- ١ -

والآموريون الذين ذكر طه باقر تدفقهم على العراق الجنوبي عن طريق منطقة الفرات الوسطى هم موجة ثانية كبرى من موجات الجنس العربي الذي سمي بالساميين ؛ ولا يكاد يكون خلاف على ذلك بين الباحثين .

وقد عقد لهم هنا المؤلف الفصل الثامن من الجزء الاول من كتابه [١] بعنوان « العهد البابلي القديم » نسبة الى مدينة بابل التى صارت عاصمة هذا العهد الكبرى كما نعتهم بنعت « العرب السوريين » توكيداً لجنسيتهم العربية .

وقد ذكرهم بريستيد [٢] ونوه ببروزهم في عهد حورابي احد ملوكهم ووصف نجاحهم في اقامة دولة بابل الكبرى بوصف الانتصار السامي الثاني لانه وصف بروز سرجون بوصف الانتصار السامي الاول على ما ذكرناه قبل .

ومن المحتمل بل الارجح ان تكون الموجة انساحت اولا من شمال جزيرة العرب الى بادية الشام ثم تسرب منها جماعات الى العراق الجنوبي ؛ لان من الحقائق التاريخيـة ان جماعات من الآموريين استقرت في انحاء مختلفة من بلاد الشام وكان لها فيها مآثر متنوعة على ما سوف نذكره في الجزء التالي .

ولقد ذهب جرجي زيدان [٣] الى ان الآموريين هم من الآراميين وانهم سموا آموريين لانهم جاؤوا إلى العراق من الغرب أي من بلاد الشام حيث تعني كلمة آمورو اهـل الغرب . وبقطع النظر عن وحدة اصل الآموريين والآراميين فان قول زيدان يقتضي ان تكون التسمية وصفية لصقت بهم حينما رحلوا من الشام الى العراق في حين انها كانت تطلق على الذين بقوا في بلاد الشام وخاصة على جماعات منهم حلوا في فلسطين والاردن

«١» ص ١٣٩

«٢» القرون القديمة ص ٩٤

«٣» تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٤٠ – ٥٢

حيث ذكر اسم الآموريين وارض الآموريين وملوك الاموريين في اسفار يشوع والقضاة والعدد والتثنية من اسفار العهد القديم مما يقتضي ان يكون اسم الاموريين لاصقاً بمن اطلق عليهم في بلاد الشام اولا وان لايكون اطلق عليهم في العراق بسبب مجيئهم من الغرب ؛ وان يكونوا غير الاراميين كذلك . ولقد وصفت الآثار العراقية بلاد الشام وفلسطين ببلاد آمورو مما يؤيد اصالة التسمية ومما فيه دليل على ان العراقيين انما اطلقوا عليهم اسمهم او اسم بلادهم الأصيل . ولقد قرر بعض الباحثين استناداً إلى الآثار ان الآراميين قد قدموا إلى الشام من ناحية العراق في القرن العشرين قبل الميلاد اي بعد الزمن المخمن لقدوم العموريين إلى الشام بل وبعد الزمن المخمن لذهاب من ذهب من هؤلاء الى العراق .

ولقد ذكر ادي شير مؤلف كتاب تاريخ كلدو وآشور استناداً الى الآثار [1] انه كان حوالي القرن الثاني عشر او الثالث عشر قبل الميلاد على شواطىء خليج البصرة وفي منطقة كلدو جاليات آرامية كبيرة لها مدنها وقراها واماراتها وملوكها ونشاطها في احداث الدولة البابلية والعراق ؛ وقد كان الآراميون تمكنوا في بلاد الشام وانشأوا دولاعديدة وظهر منهم نشاط تجاري عظيم حتى غدت لغتهم منتشرة في بلاد العراق والشام معاً ؛فمن المحتمل ان يكون هذا مما جعل الامر يلتبس على زيدان ويذهب الى تقرير كون العموريين من الآراميين .

ولقد حل العموريون في منطقة كلدو التي فيها مدينة بابل ثم كانت هذه المدينة عاصمة الدول الكبرى التي انشأوها . ولهذا فان بعض الباحثين يطلقون عليهم او على الاقل على الفريق الذي انشأ الدولة الكبرى واتخذ بابل عاصمة لها منهم اسم « البابليين » ايضاً حتى لقد صار هذا الأسم علماً على هذه الموجة غطى على تسمية العموريين .

ولقد رأينا مؤلف كتاب تاريخ اللغات السامية امرائيل ولنفستون [2] يجعل الموجة التي نشأت منها هذه الدولة من الموجة الكنعانية بسبب ما بين اللغة الكنعانية واللغة البابلية او بتعبير ادق ما بين اللهجة الكنعانية واللهجة البابلية من قرب شديد وتشابه كبير ويقول انهم تسربوا من بلاد الشام الى العراق . اما التشابه الشديد بين اللهجة فان من الممكن ان يرد الى وحدة منشأ الكنعانيين والعموريين في جزيرة العرب وشدة اللحمة بينهما . ولقد

«١» ج ١ ص ٣٦ — ٣٨

«٢» ص ٢٥

كان الكنعانيون مستقرين في سواحل بلاد الشام وجنوبها وكانت لهم الدول والحيز الكبير حينما نزح العموريون من الجزيرة إلى بلاد الشام فمن الممكن ان يكونوا تأثروا باللهجة الكنعانية اثناء اقامتهم في هذه البلاد وقبل ان يتسرب منهم من تسرب إلى العراق .

ويؤرخ باقر [1] بدء العهد البابلي القديم الذي قام نتيجة لهجرة الأموريين الى العراق والذي سماه بهذا الاسم بسبب غدو بابل مدينة كبرى وعاصمة لدولهم بالقرن العشرين قبل الميلاد . ويسجل بريستيد [2] عصر حمورابي الذي قام نتيجة لهجرة الآموريين بالقرن الثاني والعشرين . ومع ان ادي شير [3] لا يذكر الاموريين فانه يسجل قيام مملكة بابل التي كان حمورابي نجمها الساطع بتاريخ ٢٤١٦ ق م تحت عنوان دولة الكلدان العظمى الأولى .

والمقصود من بدء العهد بدء قيام اولى دولة منه . والمتبادر ان طروء الاموريين على العراق قد سبق ذلك بمدة ما قد تكون مئة سنة او اكثر حتى يكون قد تسنى لهم التمكن والتغلب .

هذا واستتباعاً لترجيح اصالة تسمية الاموريين فان مما يرد على البال ان يكون بين كلمة آموريين كلمة العمور العربية الصريحة التي هي في ذات الوقت اسم بعض قبائل العرب في دور العروبة الصريحة « ٤ » صلة تطورية كالصلة التي رجحناها بين تسمية كلدو وبين كلمات خلده وكنده وكلده في دور العروبة الصريحة .

— ٢ —

ولقد انشأ الاموريون دولا مهمة في العراق الجنوبي كان سلطانها يمتد في بعض الاحيان امتداداً امبراطورياً عظيماً نحو الشمال والشرق والجنوب والغرب ؛ وكانت بابل عاصمة لها فغدت من اعظم مدن التاريخ العظيم ضخامة وفخامة وانتشار اسم .

ويستفاد من تاريخ كلدو وآشور [5] الذي يصف تاريخ هذه الدول بوصف دولة

«١» ص ١٢٩

«٢» ص ٩٤

«٣» ج ١ ص ٢٧

«٤» العقد الفريد ج ٢ ص ٢٣٦ ومما يلفت النظر ان مؤلف العقد ذكر ان منازل قبائل العمور هي في بادية العراق . والمؤلف من اهل القرن الرابع الهجري .

«٥» ج ١ ص ٢٧ — ٣٢

الكلدان العظمى ان حكم هذه الدولة قد امتد نحو سبعة قرون ٢٤١٦ ـ ١٧١٤ ق م ، وتناوب على عرشها اسرتان . الاولى اسرة سومر ابيم التي منها حمورابي نجمها الساطع . وقد امتد حكمها نحو ثلاثة قرون اي من ٢٤١٦ الى ٢٠٨٢ ق م والثانية اسرة ايل ميلو . وقد امتد حكمها نحو اربعة قرون اي من ٢٠٨٢ الى ١٧١٤ ق م . وهاتان قائمتان باسماء ملوك الاسرتين ومدة حكمهم منقولتان من الكتاب المذكور :

١ ـ الاسرة الاولى[1]

سومر ابيم	٢٤١٦ ٢٣٨٥	
سومولالو	٢٣٨٥ـ٢٣٧٠	
زابوم	٢٣٧٠ ٢٣٣٥	
ايل سين	٢٣٣٥ـ٢٣١٧	
سين موبليت	٢٣١٧ـ٢٢٨٧	
حمورابي	٢٢٨٧ـ٢٢٣٢	
شمشو ايلونا	٢٢٣٢ـ٢١٩٧	
ابي شو	٢١٩٧ـ٢١٧٢	
امي ديتانا	٢١٧٢ـ٢١٤٧	
امي زدوكا	٢١٤٧ـ٢١١٣	
شمشوديتانا	٢١١٣ـ٢٠١٨	

٢ ـ الاسرة الثانية

ايل ميلو	٢٠٩٩ـ٢٠٨٢	
انمان	٢٠٨٢ـ٢٠٢٢	
كيانيبي	٢٠٢٢ـ١٩٦٧	يذكر ادي شير لهذا اسماً آخر هو ايث ايل نيبي
دم كلشو	١٩٦٧ـ١٩٣١	
ايت كي بيل	١٩٣١ـ١٩٣١	
شوشي	١٩١٦ـ١٨٨٩	
كولكيشار	١٨٨٩ـ١٨٣٤	

«١» يشير ادي شير حينما ذكر ملوك الاسرة الاولى الى مؤرخ اسمه سميث ومراسلات جمعية الكتابية ثم يقول ان تاريخ جلوس ووفاة هؤلاء الملوك ليس بعد ثابتاً محققاً .

كوركلما	١٨٣٤ـ١٧٨٠	
آدركلما	١٨٣٤ـ١٧٥٦	
اكرولنا	١٧٥٦ـ١٧٣٠	
ملامكوركورا	١٣٧٠ـ١٧٢٣	وقد ذكر ادي شير اسماً آخر وهو ملما تأني .
عكم ايل	١٧٢٣ـ ١٧١٤«١»	

واللمحة العربية بادية على كثير من اسماء الاسرتين كما هو ظاهر .

ولقد اورد جرجي زيدان خبر هذه الدولة في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام [٢] تحت اسم العمالقة الذي يصف به الشاسو كذلك ذهاباً إلى انهم عرب صرحاء . وقد اورد اسماء ملوك الاسرة الاولى فقط وهذه هي :

سامو ابي ـ ساموليلا ـ زابوم ـ اميل سين ـ سين موبليت ـ حورابي ـ شمسوايلونا ـ ابي شوع ـ عمي ديناتا ـ عمي صادوقا ـ شمسو ديتانا .

واللمحة العربية بادية على هذه الاسماء اكثر وأقوى . وكان هذا عند زيدان من المبررات على ذهابه الآنف الذكر .

ولقد اورد قولاً معزواً الى بروسوس ـ برشوحا ـ المؤرخ العراقي وصف به دولة من دول بابل بصفة الدولة العربية بعد الدولة الكلدانية الاولى وقبل الدولة الاشورية ؛ ثم قال وهذا القول ينطبق على هذه الدولة .

ونحن لا نرى وصف زيدان لهذه الارومة بالعروبة الصريحة في محله . فاللمحة العربية شاملة لها ولغيرها من الدول التي قامت في بابل بعدها . والعروبة الصريحة انما يصح اطلاقها على الأرومات التي صارت لهجتها عربية فصحى او قريبة منها . وهذا لم يقع الا في اواسط الالف الاول قبل المسيح أو بعدها .

«١» يقول ادي شير حينما يورد اسماء الاسرة الثانية : « راجع بيشنيش معلومات عن جدول جديد لملوك بابل بروشيدنيك » حيث يفيد هذا ان اسماء الاسرة الثانية عرفت مؤخراً . ولقد قال جيل لدور في كتابه تاريخ بابل وآشور ص ٦٩ــ٧٩ ان عدد ملوك هذه الدولة (٥٩) ومدة حكمهم ٤٥٨ ولكنه يختلف مع ادي شير في كثير من احداثها واسماء ملوكها . وتنبه على ان دليل المتحف العراقي يذكر بدوره الا اسماء الاسرة الاولى فقط هكذا : سمو آبم ـ سمو ايلو ـ زابم ـ ابل سين ـ سن موبلط ـ حمورابي ـ سمو ايلونا ـ ابي ايشو ـ امي دتانا ـ امي صادوقا ـ سمسودتانا . والاسماء هي نفس الاسماء التي ذكرها ادي شير وجرجي زيدان (انظر دليل المتحف العراقي ص٥٠ــ٥١

«٢» ٥٥ ــ ٥٧ الطبعة الجديدة نشر وتعليق حسين مؤنس .



الحجر العظيم الذي نقش حمورابي عليه شرائعه

ويشاهد الملك في اعلاه وامامه تمثال الاله يتلقى منه الشرائع



تمثال من حجر الديوريت للملك جوديه ملك لاجيش

ومما اورده مؤلف تاريخ كلدو وآثور من اخبار هذه الدولة ان ملك عيلام الواقعة شمال خليج البصره الى الشرق واسم عاصمته شوشان غزا هـــذه الدولـــة واستطاع ان يخضعها في عهد سين موبيليت ويفتح عاصمتها بابل وينهب تماثيل الآلهة منها مع تمثـــال الالاهة ناتا شفيعة مدينة اوروك ويضعها في احـــد هياكل شوشان ؛ وان حفيده كرد لاعمار (وسفر التكوين يسميه كدرلاعومر) مد سلطانه الى سائر انحـــاء العراق ثم الى سورية وبلاد كنعان اي شرق الاردن وغربه . وقد ذكر سفر التكوين ذلك وقـــال فيما قال «١» ان امراقل ملك شنعار واريوك ملك الاسار وكدرلاعومر ملك عيلام وتدعال ملك جويم حاربوا بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشآب ملك أدمة وشمئير ملك جبويم وملك يالع وقد خضعوا اثنتي عشرة سنة لكدرلاعومر ثم اعلنوا العصيان عليـــه فاقبل هو والملوك الذين معه فضربوا الرفائيين في عشتاروت فرنيم والزوريين في هـــام والايميين في قرى قريتائيم والحوريين في جبلهم سعير الى سهل فاران الذي عند البرية ثم رجعوا وجاؤوا الى عـــين مشناط وهي قادش فضربوا كل ارض العمالقة والأموريين المقيمين في حصاصون تامار ؛ فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك ادمة وملك حبويم وملك بالع فصافوهم للحرب في غور السديم فانهزم ملكا سدوم وعمـــوره وسقطا هناك والباقون هربوا الى الجبل ؛ وغنموا ــ كدرلاعومر وجماعته على ما هو المتبادر ــ جميع اموال سدوم وعمورة وجميع ميرتهم ومضوا ..

ومما ذكره ادي شير من أخبار العيلاميين اثناء سيطرتهم على البلاد الكلدانية ان سيدنام ملك مدينة اور خلع طاعتهم فحمل عليه الوالي العيلامي من كونور سابوغ وتغلب عليه وانزله عن كرسي الملك وملّك مكانه يم سين . وقد تزوج هـــذا بامرأة كلدانية وصار ملكه يشمل كل بلاد كلدو الجنوبية ، وعمر كل المدن والهيا كل التي خربت واحسن كثيراً الى الكهنة واجتذبهم اليه . وفي هذه الاثناء مات سين موبيليت ملك بابل وجلس مكانه ابنه حورابي الذي يجمع المؤرخون على انه اعظم ملوك هذه الدولة ، ومن اعظم ملوك العالم في التاريخ القديم في الوقت ذاته لمـــا كان له من مآثر عظيمة دلت عليهـــا آثاره المكتشفة وقد طال عهده فكان ذلك من اسباب ازدياد مآثره وبالتالي من اسباب شهرته وقد عظمت بابل في عهده حتى غدت من اشهر مدن العالم وافخمها .

ولقد نشط منذ جلوسه الى التفلت من العيلاميين ؛ وتمكن من الانتصار عليهم واجلائهم

«١» الاصحاح الرابع عشر الطبعة الكاثوليكية .

ثم واصل نشاطه الحربي حتى تمكن من بسط سلطانه على جميع العراق ثم على قسم من بلاد العيلاميين ثم على ما بين النهرين وبلاد سورية فغدت الدولة في عهده امبراطورية واسعة . وكان من القابه ملك مارتو ومارتو اسم من اسماء سورية القديمة .

وبعد ان استوسق له الامر صرف عنايته الى التنظيم والاصلاح فسار في هذا المجال اشواطاً عظيمة تدل على ما بلغ اليه من العقل والتدبير والعدل والتنظيم ؛ وكان هـــذا هو سبب شهرته ومظهر نبوغه وعظمته .

ومن اهم ما كان له من مآثر في هذا الباب مجموعة الشرائع التي نقشها على عمود ضخم نحت عليه صورته وهو يتناول كتاب الشريعة من الاله الشمس ، وقد بقي الى زمننا اثراً خالداً من آثار الجنس العربي يحمل اقدم واكمل مجموعة تشريعية اثارت علماء المدنيـــة الحديثة واعجابهم واجلالهم ؛ حيث جاءت في مجموعها دليلا على ما بلغ اليه العقل البشري عامة والعربي خاصة من نضوج لما احتوته من تنظيم وشمول لمختلف شؤون الـــدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقضائية ولما جاءت عليه من صياغة فنية حتى لقـــد ظلت اساساً لكثير من الشرائع النافذة الى اليوم على ما سوف يأتي شرحـــه في مبحث المآثر الحضارية .

وقد انشأ حمورابي محاكم مدنية ودينية وجعلها على درجات ومنح حـــق استئناف احكامها الى محكمة عليا برئاسته سميت محكمة الملك . وكانت المرأة في عهده تتمتع بقسط وافر من الحرية والاستقلال الذاتي وحق الكسب والتصرف فيه .

وكان الى هذا عمرانياً . ومن مآثره برج عظيم في مدينة كيش كشفت آثاره وكان مرتفعاً جداً حتى كان يقال عنه انه متصل بالسماء . ومنها هيكل عظيم في بابل للاله مردوخ وزوجته . هذا عدا منشآت عديدة في مختلف المدن العراقية حتى لم يكد يترك مدينـــة لم يخلف فيها من آثاره . وقد اصلح الاقنية التي يجري فيها مياه دجلة والفرات لري الاراضي وحفر اقنية جديدة فتحسنت الزراعة في عهده وازدهرت . وقد عثر على أجرة في جوار قناة حفرها وسماها نهر حمورابي فيها نقش جاء فيه « انا حمورابي القدير ملك البابليين الضابط لأزمة الأقطار الأربعة القاهر لاعداء مردوخ قد حفرت نهر حمورابي هذا الذي فيـــه سعادة البابليين وبلغت به ارض شومير واكاد وامرعت به الفلوات اليابسة ، وكل بقعة لا ماء فيها افضت عليها معيناً ، واجريت لشومير وأكاد مناهل لا تنقطع ، فجعلت لهم في المدن والقرى قراراً خصيباً ، وأنشأت لهم من القفر الغامر مروجا رائعـــة وخمائل يانعـــه

وناديتهم ان اقيموا في الرغد والخصب فهذه ارضكم ارض ريع وهنـــاء انا حمـــورابي الملك الهام خليل الآلهة العظيمة ، وبالقوة الجسيمة التي منحني اياها مردوخ قــد بنيت عند متفجر نهر حمورابي على تل قصراً عالياً شامخ الرأس نظير الجبـــال وسميته دارسين موبيليت الأب الذي ولدني وذلك حتى اخلد اسم سين موبيليت ابي . . »

وقد عثر على آجرة ضخمة عليها هذه الكتابة الطريفة التي امر بنقشها حمورابي وفيها اشياء كثيرة عن عقائد البابليين في عهده « ان ميليتا الزارية ربة المــاء والارض والهواء والنار والفلك هي سيدتي انا حمورابي صفي آنو وبعل ايل وولي الشمس الراعي الأمين الذي انشرح به صدر مردوخ الجبار . انا خليل الالاهة ميليتا الملك القدير ملك بابل وملك السومريين والاكاديين المتسلط على الأمم كافة . ليكتب ان الآلهة قــد ائتمروا وملكوني على هذه الامم . وقد فعلت كل ما احبت ميليتا التي خولتني الملك وسننت على الناس عبادتها كما شاءت . وشيدت لها هيكلا في زاري المدينة المخصصة لعبـــادة آكاني وجعلت هذا الهيكل مقدساً ومعبداً لكل اقطار المعمورة . وهو ملاك مملكتي . »

ولقد كانت الدولة في عهد حمورابي على احسن حال من القوة والعــلم والتجارة والثروة على ما دلت عليه الاثار والمنقوشات المكتشفة . فكان الجيش منظمـــاً وثغور الدولة وتخومها محصنة محمية وامنها موطداً . وكانت قوافل التجارة تغدو وتروح بأمن ونشاط . وكان تجار بابل اصحاب حول وطول حتى كان منهم الحكام واصحاب الأمر والنهي . وكانت الشؤون التجارية في مقدمة شؤون الدولة ، وكان التعليم معنياً به كثيراً وقد شمل البنين والبنات معاً . وكانت الهياكل والمعابد وملحقاتها امكنة للتعليم . وقـــد وجدت قطع آجر تدل على انها دروس تمرينية كان الطلاب يكتبونها ووجد على احداها مثل يدل على مقدار ما كان للقراءة والكتابة من تقدير وهو « من تفوق في الكتابة على الآجر تألق كالشمس » . ولم يكن الورق والحبر مستعملين كمـــا كان الشأن في مصر في هذا الظرف فكان الناس يكتبون أو بتعبير ادق ينقشون ما يريدون على قطع الآجر النيء بادوات رفيعة صلبة كالمسامير ثم يشوونها .

– ٤ –

وبعد موت حمورابي حاول العيلاميون الكرة على بابل ولكن خلفه شمسو ايلونا [١] استطاع ان يصدهم ويقتل ملكهم .

«١» معنى الاسم (الشمس الهنا)

وقد اقتدى هذا الملك ثم الذين خلفوه بحمورابي في تشييد الهياكل وعمران البلاد والعناية بنظام الري فظلت الدولة قوية متماسكة وسلطانها موطداً على انحاء الامبراطورية الواسعة مدة غير قصيرة . حتى ان ملوك مصر اخذوا يتخوفون من غزوها لارضهم ويحصنون حدودهم الشمالية على ما ذكره مانيون المؤرخ المصري القديم .

وليس في الاثار ما يستدل به على اسباب وظروف الانقلاب الذي انتهى به حكم اسرة سوموابيم واعتلاء ايل ميلو عرش المملكة البابلية في القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد . ومن المحتمل ان يكون هذا اميراً من الامراء الثانويين في احد الاقاليم فاستسنح فرصة ضعف وارتباك المت بالملكة شمسوديتانا آخر ملوك الاسرة الحاكمة فوثب عليه وازاحه عن العرش وجلس مكانه فكان ذلك بدء عهد الاسرة الجديدة .

واسماء ملوك هذه الاسرة تحمل هي الاخرى اللمحة العربية القديمة كما يتضح من الامعان فيها ومقارنتها مع اسماء الاسرة السابقة مما يدل على انها من نفس ارومتها . ولذلك فانها تعد امتداداً للدولة الأولى ، وادي شيرالذي نقتبس منه خبر هذه الاسرة يقول إنها اسرة اصلها من بلاد كلدو الواقعه عند مصب الفرات [١]

ويقول هذا المؤلف انه لم يصل الينا شيء يستحق الذكر من اخبار هذه الدولة الا ان حكمها كان يشمل بلاد اثور وبلاد سوربة بالاضافة الى جنوب العراق ، وانه حدث في ايام ملكيها الاخيرين قلاقل شديدة في كلدو فاغتنمت قبيلة الكوشيين الفرصة واغارت على بابل واستولت عليها ونادى رئيسها المسمى كانديش نفسه ملكاً عليها وذلك نحو سنة ١٧١٤ ق م .

- ٦ -

واصل الكرشيين هؤلاء من جبال ذكرا في حدود مادي على ما يقوله ادي شير الذي توسع قليلا في تاريخهم [٢] وقد كانوا متوحشين لا هم لهم الا الغارات والنهب ؛ فلما نجحوا في غاراتهم على بلاد بابل وفرض سيطرتهم عليها اقتبسوا من اهلها كثيراً من عاداتهم وطبائعهم وحضارتهم وانشأوا فيها دولة امتد حكمها (٥٧٠) سنة وتقلب

«١» تاريخ كلدو واثور ج١ ص ٣١

«٢» تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ٣٢ – ٣٦ ويقول المؤلف راجع عن الملوك الكوسيين بنيشيش فالظاهر ان هذا المؤرخ من مراجعه في تاريخهم .

على عرشها ستة وثلاثون ملكاً . وقد ذكر من ملوكها :

كنديش ــ كومرالي ــ اكورياشي ــ اشي ــ ادوميتاش ــ شكورماش ــ اكومكاريما ــ كريندااش ــ بوريبورياض ــ كوريكلزو الاول ــ بورنابورياش الثاني ــ كراخردارش ــ قدشمانحربا ــ كوريكلزو الثاني ــ نازمرتاش ــ شمنتوركو ــ شمنتورياش ــ ايساميتا ــ شكركتيبورياش ــ بيبياشو ــ بيلنادنشيا ــ قدشمانحربا الثاني ــ ادادشوما ــ ناصر ــ ميلشحو ــ مردوح بلدان ــ زماشومدان ــ بيلنادنشوما الثاني (١)

واللمحة العربية القديمة بادية على كثير من الاسماء مما يدل ان انسال العموريين والكلديين قد طبعوا البلاد بطابعهم الذي طبع الغزاة بدوره .

ومما اورده ادي شير من سيرة ملوك هذه الدولة ان اكومكاريما لقب نفسه بملك الكوسيين واكاد وبابل وبادان والمان والكوتيين ، وان كريندااش رمم هيكل سين في اوروك وعقد عهداً مع اسور بيلنشيو ملك آثور . وان بونابورياش الاول جدد هيكل شمشا في لارسام وجدد العهد مع آثور وان كوريكلزو الاول عمر هيكل سين في اور وبنى قلعة عند نهر ملكا سماها باسمه ، وان كرادخردارش تزوج ببنت ملك آثور آسور بيليت ، وان ثائراً اسمه ناريبوغاش ثار عليه وقتله فغضب ملك آثور لصهره وزحف على بابل فقتل الثائر واجلس ابن اخته كوريكلزا الثاني على العرش ؛ وان سبارا وغيرها من بلاد كلدو مع فريق من اهل بابل ثاروا على هذا ولكنه استطاع ان يقمع ثورتهم ، واغتنم ملك عيلام فرصة انهماكه بالقوة فاغار على بلاده ولكنه سارع الى لقائه وانتصر عليه واستولى على مدينة شاشان العيلامية ونهبها ؛ وان اشور ادادنيراري ملك آثور (١٣٢٠ ـــ ١٢٩٠) حسد كويكرز الثاني على ما صار اليه امره من تعاظم وتوطد فزحف على بلاده وكسر قواته واستولى على معظم الأقسام الشمالية من مملكته

«١» وردت اسماء الكاشيين في دليل المتحف العراقي هكذا: جنداس ــ آجم الاول ــ كاشتلياش الاول ــ اوشي ــ ابي رتاس ــ كاشتلياش الثاني ــ تازيجر ماش ــ اجم الثاني ــ كوريجالزو الاول ــ مليشاك الاول ــ نازيمرتاس ــ برنابرياش الاول ــ كاسيلياس الثالث ــ اجم الثالث ــ كرنداش الاول ــ كدشمان حربي الاول ــ كوريجالزو الثاني ــ كدشمان انليل الاول ــ برنابرياش الثاني ــ كدشمان حربي ــ كوريجالزو الثالث ــ نازيمرقاش الثاني ــ كدشمان زجو ــ كدشمان انليل الثاني ــ كودر انليل ــ شجركقي شرياش ــ كاشتلياس الرابع ــ انليل بادن شومي ــ كدشمان حربي الثاني ــ اداشم ناصر ــ بلشباك الثاني ــ مردوخ ابال ادن الاول ــ زبابا شم ادن ــ انليل نادن اخي . وذكر الدليل ان حكم هذه السلالة امتد من سنة ١٧٩٦ الى ١١٧٠ (انظر دليل المتحف العراقي ص ٥١ ــ ٥٣ .

التي كانت تمتد الى ما بين النهرين ، وان ابنه تازمرتاش حاول الانتقام ولكنـه اخفق وانكسر مرتين امام الملك الآثوري واضطر الى التخلي له عما استولى عليه من بلادعيلام وان بيبيا شو اشتبك مع ثغلات نينيب ملك آثور (١٢٦٠ ـ ١٢١٠) في حرب طويلة انتهت بالصلح ، وان ملك عيلام اغار على بلاد بابل في عهد بلينادنشيا واستولى على نيور وقتل الملك في المعركة ، وان ملك آثور تغلات نينيب زحف ثانية على بابل وكسر قوات قدشمانخربا الثاني الذي خلف اباه بيلنادنشيا واستولى على بابـل ونهب قصرها وهيا كلها واخذ تمثال مردوخ والشعائر الملكية وتلقب بلقب ملك اكاد وشومير ؛ وان مدن كلدو الجنوبية مع ذلك ظلت في حوزة قدشمانخربا ؛ وان ملك علام اغار على هذه الانحاء في زمن اداد شوما ناصر ابن قدشما فاستطاع هذا ان يكسر قواته وشجع الانتصار اهل البلاد على الثورة على الاثوريين وطرد حامياتهم فعاد الى بابل استقلالها ، وان ملك آثور بيللكد ناصر زحف على بابل فتصدى له اداد ودارت بينهما معركة طاحنة قتـل الملكان فيها ، وان ميلشحو الذي ملك بعداداد تصالح مع ملك آثور الجديد، وان اسور دان ملك آثور (١١٨٢ ـ ١١٤٥) زحف على بابل في زمن زمامشومدان واستولى على مدن كثيرة منها ؛ وان ثورة عاتية انفجرت في بابل ضد بيلنادنشوما الثاني سنة ١١٤٠ اطاحت بحكم الكيشيين نهائياً فقام على انقاضهم دولة بابلية عرفت بالدولة الباشية .

— ٧ —

وجل ما اوردناه عن دولتي بابل العموريتين مقتبس من كتاب ادي شير وجميـل المدور على ما اشرنا اليه قبل .

وفي الفصل الثامن الذي عقده طه باقر على العهد البابلي القديم الذي قام نتيجة لتدفق الاموريين على العراق الجنوبي بيانات اخرى «١»

وهذا المؤلف يؤرخ هذا العهد بتاريخ ١٩٩٨ ـ ١٨٥٠ ويقول انه قام فيه ثلاث سلالات وهي سلالة ايسن التي اسمها اشبي ايرا وتقوم خرائب مدينة ايسن الـتي سميت السلالة باسمها في تل يدعي اليوم ايشان في حريات ، ثم سلالة لارسة، وتقوم خرائب مدينة لارسه التي سميت السلالة باسمها كذلك في تل يدعى اليوم سنكرة . ثم سلالة بابل الاولى .

وقد عرف من المدونات البابلية القديمة على ما يقول المؤلف ان عـدد ملوك سلالة ايسن خمسة عشر وسني حكمهم ٢٢٥ سنة وعدد ملوك سلالة لارسة اربعة عشر ومـدة

«١» ج ١ ص ١٣٩ — ١٥٦

حكمهم ٢٦٠ سنة «١» وان سلالة ايسن آمورية وكانت اهم وأخطر من السلالات الاخرى لما قام به ملوكها من اعمال عمرانية في مدن العراق القديمة وترميم ماتخرب من البلاد على اثر سقوط سلالة اور الثالثة ، وان الباحثين نشروا حديثاً اي في عام ١٩٤٧ اجزاء من شريعة مدونة باللغة السومرية تثبت ان مقننها هو لبث عشتار خامس ملوك هذه السلالة ؛ والملحة العربية بادية على الاسم مما يؤيد جنسية الاسرة العمورية العربية . اما قول المؤلف انها اهم واخطر السلالات الاخرى ففيه نظر وغلو لان عهد حمورابي احد ملوك سلالة بابل الاولى عهد لايدانية عهد ايسن في شيء من ضخامة العمران وامتداد السلطان على مـــا يشرحه المؤلف نفسه وعلى ما اوجزناه في ما تقدم .

ومما قاله المؤلف ان من طرائف ما عرف عن هذه الاسرة ان ايرا اميتي الف خلف لبث عشتار تنازل تنازلا صورياً عن العرش لبستاني له بمناسبة قيامه بطقوس دينية خاصة لدرء خطر يخشى ان يشترك الملك فيها بصفته فاقتضى تعيين بديل عنه وهو البستاني الذي كان يدعى انليل – باني .

اما سلالة لارسة فيقول باقر انها تعرضت لغزو العيلاميين وغدت تحت سيادتهم ، وقد قضى احد هؤلاء الملوك الذي يدعى كودر مابك على حكم هذه السلالة ونصب ابنـــه ورد سين ثم ابنه ريم سين ملوكاً على لارسة بالتتابع ، وان الثاني قضى على سلالة ايسن وحكمها مع لارسة .

وقد ظل العيلاميون اصحاب السلطان على هاتين الدويلتين الى ان برز حمـــورابي وتمكن من التغلب عليهم وتحريرها منهم .

ولم يذكر المؤلف صفة سلالة لارسة ولكنه اورد خبرها تحت عنوان العهد البابـــلي الذي قام كما قلنا نتيجة لتدفق الاموريين ؛ مما يصح القول إنه يعدها من الاموريين كما

«١» لقد وردت اسماء ملوك السلالتين في دليل المتحف العراقي . وهذه اسماء سلالة ايسن التي ذكر الدليل انها حكمت في حقبة ٢١٦٠ – ١٩٤٠ ق م : اشبي ايرا – جميل ايليشو – ادن دجان – اشمي دجان لبث اشتار – اور نينورتا – بورسين – لبت انليل – ايرا امتي – انليل بالي – زمبيا – اتريشـــا – اوردكوجا – سن ماجر – دامق ايليشو . وهذه اسماء لارسة التي ذكر الدليل انها حكمت في حقبـــة ٢١٦٠ – ١٩٠٠ ق : نبلا نم – امصيو – سموم – زيبـــا – جنجنوم – ابي ساره – سمو ايلو – نوراد د – سن ادنام – سن اريبام – سن اقيشام – حلي اداد – وردسن العيلامي ابن كود مابج – ريم العيلامي – حمورابي (انظر دليل المتحف العراقي ص ٥٠) والملحة العربية بادية على اسماء كلتا السلالتين كما هو واضح .

ذكر ذلك صراحة عن مثيلتها ايسن .

ويقول باقر عن سلالة بابل الاولى الآمورية . ان مؤسسها سومو ابوم وهو الذي اتخذ بابل عاصمة لاسرته ومنذئذ اخذ نجمها يتألق بعد ان كانت مدينة صغيرة حتى صار اسمها يطلق على العراق الاوسط والجنوبي وسكانها فيقال البلاد البابليـــة والبابليين دون بلاد آمورو والآموريين .

ولم يذكر باقر شيئاً ذا بال عن اسلاف حمورابي سوى القول انهـــم وسعوا بابل واحكموا ابنيتها واسوارها وانتهزوا ما سنح لهم مـــن فرص لضم المدن والدويلات المجاورة لبابل مثل كيش وسيبار وكوتي ونفر وغيرها إلى سلطانهم ؛ وان الاحتكاك بين العيلاميين واسرتهم بدأ في عهد ابي حمورابي سين موبليت واشتد في عهد حمورابي الذي استطاع بعد ان وطد حكمه وعبأ قوته تمزيق قواتهم والقضاء على سلطانهم في العراق ومد سلطانه الى بلادهم . وان هذا الحادث عد حدثاً خطيراً في عهد المملكة البابلية حتى صار بداية تاريخ وتبارى الشعراء في مديحه ورتل في المعابد ما الفوه من قصائد واناشيد .

وقد تمكن حمورابي بعد ذلك من فرض سلطانه على بقية الدويلات العراقية بما فيها الدويلات الآشورية في الشمال ثم من مده الى معظم الاراضي الشامية على ما دلت عليـــه البحوث .

وبعد ذلك تفرغ للاعمال العمرانية والتنظيمية والتشريعيه التي كانت من اسباب ذيوع صيته وخلود اسمه . وقد امتاز هذا الملك بالحزم والحنكة وبعد النظر ثم بجعل السلطة متمركزة في يده فكان ذلك من اسباب ما اصابه من نجاح .

ولا يذكر باقر من اسماء سلالة بابل الاولى الا حمورابي الذي يؤرخـــه بتاريخ ١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق م واباه سين موبليت ومؤسس السلالة سومو ابوم ويقـــول ان حمورابي هو السادس وانه خلفه على العرش خمسة . وهذا متطابق مع عـــدد الملوك الذين اورد اسماءهم ادي شير وزيدان .

ومما قاله عن ميزة عهد هذه السلالة اهتمامها العظيم لجمع الشرائع وتقنينهـــا وتدوينها وتنظيم الادارة وانشاء المحاكم المدنية بدلا من محاكم القضاة الكهنية وتأليف الكتب الادبية والعلمية واللغوية التي اكتشف منها الشيء الكثير في شكل الواح آجرية .

وقد امتدت الحضارة العراقية الى جميع انحاء الشرق الادنى بل وتجاوزته ، وقـــد خصص المؤلف معظم كتابه الذي نقتبس عنه لمآثر هذا العهد وسائر عهود الدول العراقية

الحضارية والاجتماعية والدينية المتنوعة . وسوف يكون هذا موضوع البحث التعقيبي الذي نختتم به الفصل .

ويقول باقر ان عهد سلالة بابل الاولى انهار نتيجة لاضطرابات داخلية وخارجية المت في البلاد فاوهت قوتها حتى ان الحيثيين اغاروا على عاصمتها بابل ودمروها ونهبوها واخذوا تمثال الهها الاكبر مردوخ وزوجه ؛ فقام بعدها سلالة جديدة سماها المؤلف سلالة بابل الثانية وقال من المرجح ان يكون اصل ملوكها سومريين ثاروا في زمن ابن حمورابي واستقلوا في الاراضي المحيطة بخليج فارس «١» وعرفوا من اجل ذلك بملوك القطر البحري .

ولم يذكر المؤلف شيئاً عن هذه السلالة غير هذا ولم يورد اسماء احد من ملوكها. واسماء الامرة الثانية التي خلفت الاسرة الاولى في بابل والتي اوردها ادي شير اسماء تبدو عليها اللمحة العربية القديمة قوية وقد نقلناها عنه في المبحث السابق .

ويقول باقر «٢» إن حياة السومريين السياسية قد انتهت بانقراض امبراطوريتهم في نهاية سلالة اور الثالثة ، وان « الساميين » اي العرب حسب اصطلاحنا تفردوا منذئذ بالزعامة السياسية منذ ذلك الزمن حتى نهاية تاريخ العراق القديم ؛ وان الزعامة كانت في بادىء الامر بايدي البابليين ثم اعقبهم الآشوريون . وبين هذا القول وقوله السابق عن صفة ملوك السلالة البابلية الثانية تناقض كما هو ظاهر .

ونحن نميل الى ترجيح جنسية الاسرة الثانية العربية استدلالا من لمحة اسماء ملوكها العربية كما ذكرنا ذلك قبل .

هذا ؛ وباقر يتطابق مع ادي شير في كثير من ما ذكره هذا عن الكشيين ودولتهم . ومما قاله باقر [٣] ان الكشيين لم يخلفوا وثائق وسجلات مدونة بلغتهم وانما استعملوا لغة البلاد الاصلية اي اللغة البابلية « السامية » وانهم لم يأتوا الى العراق بجماعات كبيرة ؛ وأنهم عتنقو الديانة البابلية وقدسوا الآلهة البابلية مع احتفاظهم

«١» من العجيب ان يسمى طه باقر وغيره من كتاب العرب هذا الخليج باسم خليج فارس والخليج الفارسي متابعة لكتاب الغرب ، مع ان معظم سواحله الشمالية والعربية من مبتداه الى منتهاه عربية بحت قبل الاسلام وبعده ، وتسميته بالخليج العربي هي الاصح والاحق .

«٢» ص ١٥٠

«٣» ١٥٦ — ١٦٠

بشيء من دياناتهم الوطنية ، وان عدداً من ملوكهم تسموا باسماء بابلية . وهذا يؤيد ما قلناه من انطباعهم بالطابع البابلي العربي . ومما قاله إن الكشيين اتخذوا بابل عاصمة لهم ثم انشأوا مدينة لهم سموها دور كوريكالزو كشفت التنقيبات التي اجرتها مديرية الآثار العراقية عن آثار مهمة فيها قصور ومعابد واسعة ضخمة ومن تسجيلات تاريخية انارت ظلمة التاريخ الكشي السابقة . وقد ذكر ما كان من تنافس وتناحر بين الكشيين في الجنوب والاشوريين في الشمال على زعامة العراق السياسية وامتداد ذلك الى ان انهار السلطان الكشي وقام مقامه السلطان البابلي الجديد . وهو يسمى الدولة الكيشية هذه بسلالة بابل الثالثة .

الاراميون
ودولهم في العراق

الاراميون ودولهم في العراق

- ١ -

ان الدولة الباشية التي قامت على انقاض الدولة الكيشية في بابل وجنوب العراق عام ١١٤٠ ق م قد عمرت على ما يقول ادي شير [١] نحو سبعين سنة . وقد ذكر هذا المؤلف من ملوكها سبعة وهم :

١ ــ نبوكد لا نصر
٢ ــ بيل نادب بيل
٣ ــ مردوخ تادين حا
٤ ــ مردوخ شاه
٥ ــ مردوخ بيل دان
٦ ــ مردوخ زير
٧ ــ نبوشوم [٢]

واللمحة العربية بادية على الاسماء مما يسوغ القول إنها عربية الجنس ، ونرجح انها آرامية . ولقد ذكر طه باقر [٣] هجرة الآراميين إلى العراق في النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد وكانوا قبل ذلك قد طرأوا من جزيرة العرب على بلاد الشام وانتشروا في انحائها الداخلية والوسطى والشمالية وفي جزيرة الفرات وانشأواالدول والامارات فيها.

ولقد ذكر ادي شير «٤» اسماء امارات وممالك ومدن آرامية كانت على سواحل الخليج وجنوب العراق وجزيرة الفرات مثل بيت دكوري وبيت آديني وبيت آموقاني وبيت شيلاني وبيت شيلي وبيت ياقين ونبطا ويوقودا واتيوعا وكمبولا وزوحي ولاقي

«١» تاريخ كلدو واثور ج ٢ ص ٣٦ - ٣٧

«٢» في دليل المتحف العراقي سلسلة اوفى لاسماء هذه الدولة هكذا : مردخ شابك زيزي -نتورناتادن شومي - نبوخذ نصر الاول - انليل نادن ايلي - مردخ تادن أخي - اني مردخ بلاطور - مردخ شابك زيرمامي - مال ابال ادن - نابوشمم لبر وسني حكمهم مذكورة امام كل منهم هكذا : ١١٧٠-١١٥٣، ١١٥٢-١١٤٧ ، ١١٤٦-١١٢٣، ١١٢٢-١١١٧، ١١١٦-١١٠١، ١١٠٠-١٠٩٢، ١٠٩١-١٠٨٤ ، ١٠٨٣-١٠٦٢، ١٠٤٧-١٠٣٩

«٣» مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج ١ ص ١١٧

«٤» تاريخ كلدو واثور ج١ ص ٥٠-١٢٨



تمثال للاله نابو

وبيت زماني وحيذاتي وخاريدي وعانا وآحوني وقبرابي وايزيتي وسوحمي ودياني وكوسي، وميلدا وتل ابني وارني وبيتونا وسينابا — وهذه غير الامارات والممالك والمدن الآرامية التي كانت في سورية الوسطى والشمالية — . ويستفاد من كلام ادي شير ونقوش الملوك الأشوريين وسيرتهم الذين ذكرت هذه الامارات والممالك والمدن في سياقها انها كانت تندمج في حركات واحداث بابل والعراق الجنوبي ؛ مما كان سبباً لاصطدامها بأولئك الملوك وعرضة لزحوفهم وتنكيلهم .

ولقد كان « نبو » من آلهة الآراميين في بلاد الشام والعراق منذ اواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وكان يعتبر اله الفكر المقيم في كوكب عطارد على ما سوف نذكره بعد. ويلحظ ان اسم « نبو » جزء من اسمي اول وآخر ملوك هذه الدولة والدول الأخرى التي قامت بعدها في بابل على ما سوف يرد بعد .

فكل هذا يجعلنا نرجح ان العهد الجديد الذي قام في بابل تحت لواء الباشيين كان عهد الآراميين الذين لا خلاف بين الباحثين على « ساميتهم » اي جنسيتهم العربية حسب اصطلاحنا والذين يقرر جمهرة كبيرة منهم انهم يمتون في اصلهم الى جزيرة العرب . وفي قائمة المفردات اللغوية التي اثبتناها في مطالع الفصل مصداق ذلك حيث تبدو اللغة الآرامية عربية الطابع كمثيلاتها البابلية والآشورية والعربية الجنوبية القديمة ؛ وخاصة في العراق الجنوبي آرامية الطابع بنوع خاص مما فيه توكيد لذلك .

والمظنون ان الاراميين قدموا الى بلاد الشام من الجزيرة مباشرة حوالي القرن العشرين قبل الميلاد فانتشروا في مختلف انحائها الداخلية وفي حوض الفرات خاصة . ومن هنا اخذوا يتسربون الى العراق كما ذكرنا .

— ٢ —

ويستفاد مما ذكره ادي شير [١] ان نبوكد لا نصر هو اعظم ملوك هذه الدولة. ولعله هو الذي تولى زعامة الحركة واستولى على السلطان بعد نجاحها. وقد حارب العيلاميين وانتصر عليهم واخضع بلاد نامار ولولوما وجبال ذكرا لسلطانه .

ولم يرق قيام الدولة الباشية لملوك آشور الذين كانت مملكتهم آخذة بالتعاظم وكانوا يترسمون فيما يترسمونه تشميل سلطانهم على جميع العراق فأخذوا يغزون العراق الجنوبي في عهد هذه الدولة كما كانوا يفعلون في عهد الدولة الكيشية تحقيقاً لخطتهم ، وقد استطاع تغلات بلاسر الاول ١١١٥ـ١١١٠ ق م ان يخضع بابل لسلطانه وتلقب بلقب ملك

«١» تاريخ كلدو واثور ج١ ص ٣٦ — ٣٨

بابل وآشور . ولكنه ابقى بابل تحت حكم ملوكها الباشيين .

وقد المت بآشور فترة ارتباك بعـــد ثعلات بلاصر فاغتنم مردوخ نادبنجا الفرصة ومارس الاستقلال والسيادة . ثم عمد خلفاؤه الى محاسنة ملوك آثور ومصاهرتهم ، وقبل هؤلاء منهم ذلك بسبب استمرار تلك الفترة امداً ما .

- ٣ -

على ان الدولة الباشية ارتبكت هي الاخرى بسبب ما قام على الحكم من تنافس بين زعماء بابل حتى لقد حدث فيها في فترة خمسين عاماً ١٠٧٨ــ١٠٣٠ ق م اربعةانقلابات علىما يستفاد من كتاب ادي شير [١] الذي ذكر انه قام اولا زعيم اسمه سامو شيخو فاستولى على العرش فكانت اسرة حاكمة جديدة حكمت نحو عشرين عاماً وتولى العرش منها غير سامو ابنه حاموكنشو ثم حفيده كينشو تادنيحا ، واللمحة العربية بادية على الاسماء [٢] وترجح انهم من الاراميين كاسلافهم . ثم قامت اسرة ثانية عرفت بالبازيين فاستولت على الحكم مدة عشرين عامـــاً كذلك [٣] ثم وثب زعيم عيلامي حكم سبع سنين (٤) ثم وثب زعيم بابلي اسمه نيوكين بيل فاستولى على الحكم فقامت دولة جديدة طال عمرها جتى بلغ ثلاثمائة سنة ١٠٣٠ ــ٧٢٩ ق م وتولى العرش من ذرية هذا الزعيم ثنان وعشرون ملكاً ذكر منهم ادي شير ثمانية في سلسلة واحده غير نبوكين وهم :

١ ــ بيل شمشا مود

٢ ــ شمشا كين

٣ ــ نبو بيل دان

٤ ــ مردوخ نادان شا

٥ ــ با وخدان

٦ ــ نبو نصر

٧ - نبو نادينو

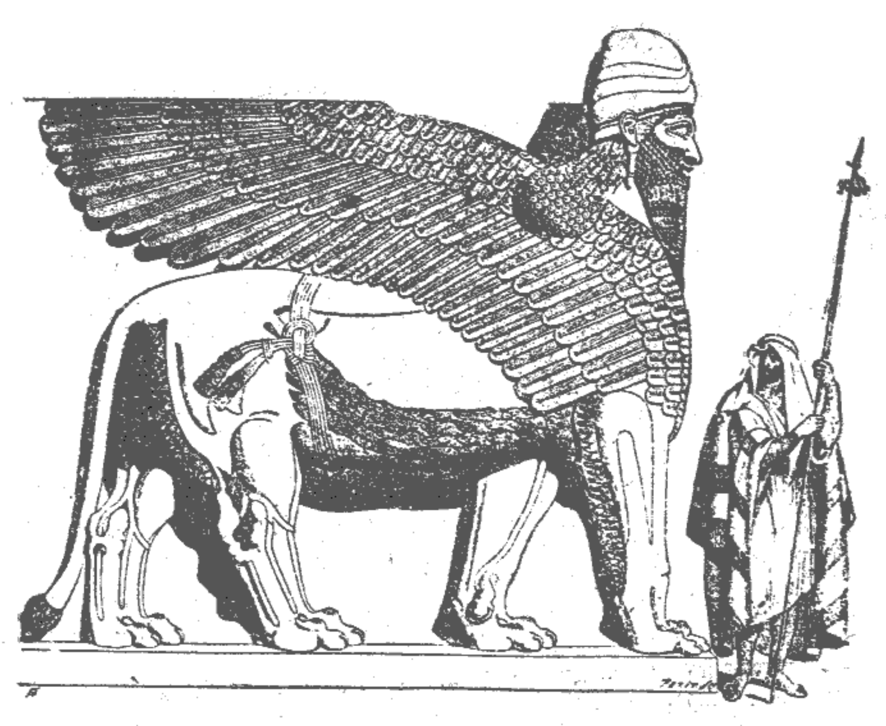
٨ ــ نبو شوم كين

«١» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ٣٨-٣٩

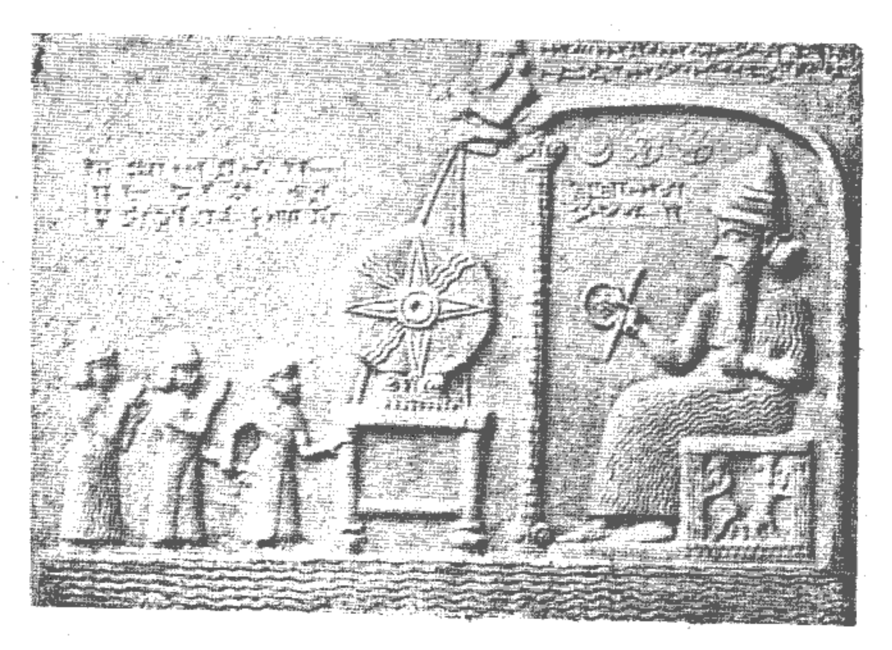
«٢» لا يذكر المؤلف اسماء احد من ملوك البازيين

«٣» ورد في دليل المتحف العراقي اسماء الدولة الاولى تحت عنوان السلالة الثانية القطر البحري هكذا سماش شباك ، ابابوكن - شومي ، كشو تادن اخي . ويؤرخ الدليل سني حكمهم هكذا :١٠٣٨-١٠٣١ ١٠٢٠،١٠١٩-١٠١٧ ، خلافا لما يفيده كلام ادي شير . وورد كذلك فيه اسماء الملوك البارزين تحتعنوان سلالة باصو هكذا : اي - ايل ماش شاكن شومي١٠١٦-١٠٠٠ ، تنورتا كوردوري اوصر ٩٩٩-٩٩٧، شرلتو شوقامونا

«٤» اسم هذا الزعيمفيدليل المتحف العراقي مربيتي ابال اوصر (انظر الدليل ص٥٤ لاجل ارقام ٣و٤



تمثال المعبود الأشوري المجنح ذي الرأس البشري والجسم الأسدي



الملك البابلي نابوبلدين يتعبد الشمس

واللمحة العربية الارامية بادية على الاسماء كذلك بحيث تسوغ الترجيح بان ملوك هـذه الدولة آراميون كالدولتين الباشية والبازية .

لقد ذكر ادي شير [1] عدداً آخر من اسماء ملوك هذه الدولة في سياق سيرتها ثم في سياق سيرة الدولة الاشورية التي سوف يأتي بحثها بعد منها :

« شمشو دميق » و « شمشيكون » خلفه . وقد ذكرهما في سياق سيرة اداد نيري الثاني ملك أشور الذي كان ملكه في تاريخ ٩٠٠ ــ ٨٩٠ ق م .

ومنها اسم « مردوخ بيلسات الذى نصبه أهل بابل وملك ردحاً من الزمن نتيجة لخلعهم مردوخ نادان شما .

ومنها اسم « مردوخ بيلدان » الذي ذكر المؤلف انه تولى بعدباوخدان في سياق سيرة سرجون الثاني ٧٢٢ ــ ٧٠٥ ق م

ومنها اسم مردوخ زكيرشوما الذي تولى العرش في اثنـاء حكم سرجون واختفاء مردوخ بيلدان الثاني .

ومنها اسم بيل بيني الذي نصبه سنحاريب في اثناء تمرد مردوخ بليدان الثاني الذي قتل زكيز شوما وتولى العرش ثم اختفى . وقـد سمى ادي شير الملك الـذي نصبه سنحاريب باسم آخر في مكان آخر وهو اشور نادنيشوما . وليس في الكلام ما يوضح ما اذا كان هذا ملك آخر او اسم لذلك الملك .

ومنها اسم شوزوب الذي نصبه اهل بابل بعد ان ثاروا عـلى الملك الذي نصبه سنحاريب واسروه .

ومنها اسم موشزيبي مردوخ الذي نصبه اهل بابل بعد ان وقع شوزوب في اسر سنحاريب نتيجة لزحفه على بابل سنة ٦٩٣ ق م .

ومنها اسم نبوزيرين‌دوخ بلدان الذي ذكره المؤلف باسم ملك الكلدان في سياق سيرة اسرحدون .

«١» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص٣٩-٤٤و٥٧-١٣٥

واللمحة العربية الآرامية بادية على هذه الاسماء ايضاً كما هو ظاهر (١)

ولقد ظل سلطان هذه الدولة في نطاق بلاد كلدو وبابل اي العراق الجنوبي . وكان بينها وبين ملوك آشور نضال مديد حيث كان هؤلاء يحرصون على بسط سلطانهم على بابل وكان ملوك بابل يناضلون في سبيل الاحتفاظ باستقلالهم وسلطانهم .

ومما جرى من حركات النضال بين آشور وبابل ان ملك بابل نبو بيل دان تحالف مع ملك زوحي ضد آشور في عهد الملك آشور ناصربال وارسل قسماً من جيشه بقيادة اخيه زبدان وقائده بيل بلدان فدارت الدائرة على المتحالفين في الحرب التي دارت في بلاد زوحي ووقع زبدان وبيل بلدان في اسر الملك الآشوري .

وفي اواسط القرن التاسع ثارت بابل على ملكها مردوخ نادان شما وخلعته وعينت ملكاً مكانه اسمه مردوخ بيل سات فاستنجد المخلوع بشلمنا صرملك آشور فسارع هذا الى انتهاز الفرصة وقاد حملة وانتصر على بيلسات وقتله واعاد المخلوع الى عرشه تحت سيادته ثم دخل دخول الظافر وعيد فيها وقدم القرابين للاله بيل واولم لاهل المدينة ووزع عليهم الكساوي .

وأنف ابن مردوخ نادان شما من سيادة أشورواعلن تمرده فنشب صيال استمرطويلا بين بابل وأشوركان لا يخمد حتى يثور وكانت أشور تتغلب في معظم مراحله على بابل غير ان هذه انتصرت في النهاية .

ولقد ثارت بابل في عهد ملكها باوخدان (٨١٣ ق م) فزحف اداد نيراري الثالث ملك أشور ودخل بابل واسر الملك ونفاه مع اسرته وحاشيته الى نينوي ونصب والياً

«١» ذكر دليل المتحف العراقي (ص٥٤–٥٥) سلسلة اسماء ملوك هذه الدولة تحت عنوان السلالة الثامنة هكذا : نبوموكن ابلي ٩٩٠ – ٩٥٥ ، تنورتا كوروي اوصر الثاني ٩٥٤ ، مربتي اخي ادن ٩٥٣ – ٩٤٢ – شمش مدق ٩٤١–٩٠١، نبوشم اوكن الاول ٩٠٠ –٨٨٦ نبو ابال ادن ٨٨٥–٨٥٢ مردخ زكرشومي الاول ٨٥١–٨٢٨ ،مودخ بلاطسو اقبي ٨٢٧–٨١٥اريبا مردخ٨٠٢–٧٦٣، نبو شم اشكن ٧٦٢–٧٤٨، نبوناصر٧٤٧–٧٣٥ ،نبونادنزيري ٧٣٤ – ٧٣٣ ، نبوشم اوكن الثاني ٧٣٢ ، اوكن زير ٧٣٢–٧٣٠ بولو ٧٢٩–٧٢٧ اولولو٧٢٧–٧٢٢ مردخ ابال ادنا الثاني او مردخ بلدان ٧٢٢–٧١١مردخزاكر شومي الثاني ٧٠٣ مردخ ابال ادنا الثاني مردخ بلدان ٧٠٣ بيل ابني ٧٠٢–٧٠٠ اشور نادن شمي ٦٩٩ – ٦٩٤ نرجال اوشزب ٦٩٣–مشزب مردخ ٦٩٢ – ٦٨٩ شمش شم اوكن ٦٦٨–٦٤٨ فندلانو ٦٤٧ –٦٢٦ وفي خلال السلسلة ذكرت اسماء شلمانصر الرابع وسرجون وسنحاريب واسرحدون كملوك لبابل حينما كانوا يستولون على بابل ويمارسون الحكم بانفسهم .



تمثال الملك البابلي مردوخ بيلدان يمنح منصباً لأحد رجاله

على بابل من رجاله ؛ واغتنم البابليون فرصة ارتباك ألم بأشور فثاروا سنة ٦٧٠ واستعادوا استقلالهم ؛ ولكن تغلات بلاصر الثاني زحف على بابل سنة ٧٤٥ فاخضع ملكها نبونصر وجميع الامراء الآخرين . ولما مات نبو نصر هذا ثارت فتن تنافسية في بابل فزحف تغلات بلاسر ثانية سنة ٧٢٩ ودخل هيكل بيل ووضع يده بيد تمثال الاله ونادى بنفسه ملكاً على بابل وتلقب بلقب ملك اكاد وشومر وبابل واشور ؛ وعادت بابل الى التمرد سنة ٧٠٩ فزحف سرغون الأشوري ووطد سلطانه عليها . وعادت بعده الى الثورة فزحف سنحاريب الأشوري سنة ٧٠٠ واخضعها ، وعادت فثارت بعد قليل في زمن هذا الملك نفسه فزحف عليها مغيظاً محنقاً فدك اسوارها واحرق قصورها ودمر هيا كلها (٦٨٩) ولكنها لم تستسلم فثارت بعده فزحف عليهـا أشور بانيبال واخضعها . وألم بأشور في هذه الحقبة شيء من الوهن فتحالفت بابل مع الماديين الآرايين سكان الشمال الشرقي على آشور وزحف الفريقان على نينوي عاصمتها فتمكنا سنة ٦٠٨ من الاستيلاء عليها بعـد حصار طويل وتدميرها وتقويض الدولة الأشورية واقتسام اقاليمها [١] مما سوف يأتي شرحه بتفصيل اكثر في سياق سيرة الأشوريين .

وقد اختص البابليون بالقسم الجنوبي من العراق مع الاقاليم الغربية والماديون بالقسم الشمالي من العراق مع الاقاليم الشرقية والشمالية .

وبذلك بدأ عهد جديد لبابل كان على رأسه نبو لا نصر ؛ وكان هذا والياً من قبل الاشوريين فحفزته الفرصة السانحة الى التحالف على المـاديين وضربه اشياده معهم امتداداً للصيال بين بابل ونينوي وما اورثه من حقد في نفوس البابليين جملة على الآشوريين ثم تسلسل الحكم في اسرته نحو مئة سنة . وكان لدولته لمعان قوي لفترة من الوقت جعلها تعيد سيرة الامبراطورية الأشورية مما يسوغ افراد بحث خاص لها بعد تاريخ الأشوريين لانها ورثت امبراطوريتهم ولم يقم بعد في العراق سلطان للجنس العربي قبل دور العروبة الصريحة . .

وليس في كتاب باقر [٢] فصل خاص عن الدول البابلية الآراميـة سوى قوله إن السلالات اي الاسر التي اعقبت سلالة الكيشيين كانت ضعيفة بوجه عام ،ثم اشارته الى ما كان من تصاول بين بابل وملوك آشور ونهايته اشارة وجيزة تتفق مع ما شرحناه .

«١» تاريخ كلدو واشور ج ١ ص ٤٠-٤٤

«٢» ص ١٦٠-١٦٢

الاشوريون

الآشوريون

- ٤ -

لا يكاد يكون خلاف بين الباحثين على ان الآشوريين الذين مر ذكرهم اكثر من مرة هم ممن سموا « ساميين » وسميناهم عرباً . وكثير منهم يقرر انهم جاؤا الى العراق من جزيرة العرب [١] .

وما يجمع بينهم وبين الموجات التي جاءت من هذه الجزيرة من التقارب الشديد في اللغة والطبائع والعقائد والافكار مما يؤيد ذلك ؛ ويؤكد بالتالي جنسيتهم العربية ، وفي قائمة المفردات اللغوية التي اثبتناها في مطلع الفصل مصداق لذلك ايضاً .

ويستفاد من اقوال المؤرخين ان طروء الآشوريين على العراق الشمالي كان قديماً جداً وقد قسم باقر عهدهم الى ثلاثة اقسام ، وقسم القسم الأول الذي سماه الدور القديم الى طورين وقال عن اولهما انه يرجع الى ما قبل التاريخ العراقي الصحيح وعن ثانيهما أنه يعاصر عصر فجر السلالات في العراق الجنوبي اي الحقبة الممتدةمن ٣٠٠٠الى ٢٣٥٠ق‌م؛ وهذا يعني ان طروء الآشوريين يرجع الى ما قبل القرن الثلاثين قبل الميلاد بقرون عديدة. اما بريستيد [٢] فانه يؤرخ طروءهم بالقرن الثلاثين قبل الميلاد .

ولا يعرف على وجه اليقين كيف طرأوا على العراق الشمالي • وقد جاء في الاصحاح العاشر من سفر التكوين ما يفيد ان الآشوريين خرجوا من بلاد كلده واكدالى اشور • وليس ما يمنع ان يكون هذاصحيحاً ؛وان يكون قد وقع في ظروف طروء الموجة الكلدية؛ بل وليس هناك ما يمنع ان يكون الآشوريون من فروع هذه الموجة ، استقر بعضها في الجنوب واتجه بعضها الى الشمال على نحو ما فعل الكنعانيون والعموريون في بلاد الشام على ما سوف نذكره في الجزء التالي •

«١» القرون القديمة لبريستيد ص ١٠٥ وتاريخ اللغات السامية ص ٣ والتاريخ العام لاحمد رفيق ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ ومقدمة في الحضارات القديمة لطه باقر ج١ ص ١٦٣ وما بعدها وكتاب لبنان ص ١٨٩ مثلا .

«٢» ص ١٠٥

ومن الجدير بالذكر ان اللغتين البابلية والآشورية في جـداول اللغات « السامية » العربية القديمة واحدة على ما يبدو من قائمة المفردات التي نقلناها من كتاب تاريخ اللغات السامية واثبتناها في مطلع الفصل .

ولا يعرف على وجه اليقين منشأ اسمهم . ولقد عثر على تماثيل عديدة في البـلاد الآشورية على شكل ثيران مجنحة برأس بشري كانت توضع في مداخل المباني العامـة كتعويذة من الشر او بمثابة الملاك الحارس [١] حيث يعني هذا ان التمثال كان يرمز الى اله او حام خاص للآشوريين . وكلمة شورو في اللغـة الآشورية البابلية بمعنى الثور في الفصحى ؛ مما يسوغ القول إن الكلمة تطورت الى آشور وصارت تطلق على هذا الالـه الخاص ثم على الشعب الذي اتخذه حامياً له ثم على البلاد التي سكنها هذا الشعب ، وقد اطلقت على عاصمتهم او مدينتهم الاولى القديمة ، ولعل ذلك كان اول اطلاقها الذي اتسع نطاقه على نحو ما كان من امر بابل ، وقد ذكر هذا ادي شير ايضاً [٢] .

- ٢ -

وبدء تاريخ الآشوريين السياسي الصحيح نوعاً مـا لا يرجع الى اكثر مـن القرن العشرين قبل الميلاد . اما ما قبل ذلك فليس هناك آثار يعتمد عليها فيه ، ومن المحتمل ان يكونوا قضوا مدة طويلة في حالة البداوة او الحيـاة القبلية تحت حكم زعمائهم ، ثم اخذوا يبنون المدن والقرى وينشئون الدويلات التي يقوم على رأسها الزعماء بلقب ملوك او امراء على نحو ما فعل اخوانهم الكلديون في الجنوب ؛ وهو مـا يقوله باقر [٣] الذي يقول اضافة الى ذلك ان بلاد آشور قـد خضعت للامبراطورية الاكدية بعـد فجر السلالات ـ اي في عصر سرجون ـ ثم استقلت في نهاية هذا العصر فترة مـن الوقت ثم خضعت لسلالة اور الثالثة التي انتعشت بعد عصر سرجون واتسعت اتساعاً امبراطورياً ثم استقلت ثانية .

وعلى كل حال فيمكن ان يقال بناء على تسلسل التاريخ الآشوري ان الدولة الاشورية قد تقلبت على اطوار او ادوار متعددة من دور تأسيس محلي الى دور قوة الى دور ضعف

«١» طه باقر ص ١٧٠

«٢» ص ٤٨

«٣» ص ١٧١ وتقوم خرائب مدينة آشور في الموقع المعروف اليوم بقلعة الشرقاط على ما يقوله طه باقر ص ١٦٤

الى دور قوة وعظمة الى دور ضعف الى دور قوة وعظمة ثم الى دور ضعف وزوال ؛ وان ادوار قوتها كانت اطول مدى وكانت لها فيها امبراطورية من اعظم واقوى مـا سجل التاريخ القديم من امبراطوريات ، وقد كانت عاصمتها الأولى مدينـة آشور ثم صارت مدينه كالح عاصمة ثم مدينة نينوى ثم كالح ثانية ثم نينوى ثانية .

— ٣ —

ويؤرخ ادي شير [١] بداية الدور الأول بالقرن العشرين ويسمي ملوكه الاحبار ويقول إنه امتد الى القرن السادس عشر ، وقد ذكر من هؤلاء الملوك الاسماء التالية :

١ ـ ايري شوم
٢ ـ ايك نوم
٣ ـ اسمد كان
٤ ـ شمشي داد [٢] الاول
٥ ـ ايك اور كبكابو
٦ ـ شمشي داد الثاني

ولا يذكر هذا المؤرخ شيئاً من احداث هذا الدور الا قوله ان آشور او آثور كانت في حوزة الكلدان فيه .

ثم يقول [٣] ان احوال الآشوريين اخذت تصطلح حينما انحطت دولـة الكلدان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

وقد ذكر من الملوك الذين تولوا ملك آثور في هذا الدور الاسماء التالية :

١ ـ آسور بيل نيشيو
٢ ـ بوزور آسور
٣ ـ اسور نادنحا
٤ ـ اسور بيليت ١٤١٨ـ١٣٧٠
٥ ـ بود ايل ١٣٤٥ـ١٣٢٠
٦ ـ اداد نيراري ١٣٢٠ـ١٢٩٠

ومما اورده ادي شير «٤» من احداث هذه الحقبة ان الحرب نشبت في عهد اول ملوك

«١» تاريخ كلدو وآثور ج١ ص٤٦–٤٧

«٢» داد او حدد او هدد اسم اله رئيسي من من الهـة الآشوريين في العراق والاراميين والعموريين في الشام والفرات .

«٣» تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ٤٧

«٤» تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ٤٧ .

القائمة بين آشور والدولة الكيشية في بابل ، ثم تهادنت الدولتان واستمرتا متهادنتين في عهد خلفائها حتى ان اسور بيليت زوج ابنته ليكراخرداش ملك بابل ولمـا صار الملك الى حفيده قدشحانحربابن كيراخرداش وقام البابليون وقتلوه وملكوا عليهم غيرهزحف اسوربيليت على بابل وقتل الملك الغاصب ورد العرش الى حفيده الأصغر كوريكلزو ؛ ولمـا صار الملك الاشوري الى اداد نيري نشب النزاع فالحرب بينه وبين كوريكلزو الثاني ملك بابل وكتب النصر للأشوري وضبط نتيجة لذلك كل البلاد التي تمتد من نهر الخابور الى حدود بابل ، ثم استؤنفت الحرب بين نيراري وبـين نازالرتاش خليفـة كوريكلزو الثاني فكتب النصر للاشوري ايضاً وضبط نتيجة لذلك كل ما كان في حكم الدولة الكيشية من بيلاسكي الى بلدة لولوما . وهكذا تكون آشور في هذه الحقبة قـد تفلتت من نفوذ بابل واستقلت عنها ثم عظمت على حسابها .

ثم قويت آشور اكثر حتى غدت امبراطورية في الحقبة التالية التي حكم فيها الملوك التالية اسماؤهم [١] :

١ ــ شلمناصر الاول	١٢٩٠ــ١٢٦٠
٢ ــ تغلات نينيب الاول	١٦٢٠ــ١٢٤٠
٣ ــ آشور ناصر بال	
٤ ــ اسور بال	
٥ ــ اسور نيراري الاول	
٦ ــ بيل كلد ناصر	
٧ ــ نينيب بيل آسور	
٨ ــ اسور دان الأول	١١٨٢ــ١١٤٥
٩ ــ متكل نوسكو	١١٤٥ــ١١٣٥
١٠ ــ اسور ريشيشي	١١٣٥ــ١١٣٥

ومما يذكره ادي شير [٢] من احداث هذه الحقبة وملوكها ان شلمناصر كان مولعاً بالحرب فصرف كل حياته في محاربة الشعوب التي كانت في تخوم مملكته ؛ وقد زحف على الارامين في جبل ماشا ــ وهو الذي كان يسميه اليونان ماسيوس ويعرف اليـوم

«١» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ٤٧ــ٤٩

«٢» نفس المصدر

باسم قرهجهطاغ – وكانت قبائلهم المتعددة قـد انتشرت من دجلة الى باليخ والفرات ففتح مدنهم ودك حصونهم ، ثم اغار على بلاد كيرخي – وهي على الارجح ما يعرف اليوم بمنطقة دياربكر وبتليس – الممتدة مـن دجلة الى بحيرة اوورمية وعـبر الفرات يريد الغزو فيما ورائه ولكنه عاد منها بسبب تمرد قام في الجنوب ، وقدكان سرير ملوك آثور الى هذا الحين مدينة آثور فزينها شلمناصر ورمم هياكلها وزقراتها ثم نقل تخته الى مدينة كالاح التي انشأها مجدداً فغدت عاصمة للدولة الاشورية مدة اجيال كثيرة وتعرف خرائبها باسم نمرود .

ولما مات خلفه تغلت نينيب الأول الذي يقول ادي شير انه ابنه . وقد تمكن هذامن فتح بابل ثم دخل الى هيكل الاله بيل فيها وامسك بيو تمثاله ايذاناً بانه صار ملكاً عليها ومع ذلك فانه قتل قسماً من اهلها ونهبقصورها وهياكلهاواخذ تمثال مردوخ والشعائر الملوكية ورجع الى آثور غانماً منصوراً .

ومما يذكره ادي شير ان اسور ناصر بال ابن تغلات المذكور ثار على ابيه وحاصره في المدينة الـتي شيدها وسماها باسمه «كرخ تغلات نينيب» وتمكن من اسره وقتلـه والجلوس على العرش ، فادى ذلك الى نزاع بينه وبين اخوته امتـد ست سنين ،واوهن قوة الدولة ، وقد انتهز البابليون الفرصة فطردوا الاشوريين من بلادهم ، ولما صفا حال الدولة زحف بيل كلدناصرعلى بابل للتنكيل بها فتصدى لها ملكها ادادشومناصرواشتبك معه في معركة قتل الملكان فيها معاً وتمت الكسرة على الاشوريين . ثم انعقد الصلح بين الدولتين الى ان آل العرش الى اسور دان فعادت الحرب ثانية بين الاشوريينوالكيشيين وتمكن الاولون مناعادة سلطانهم علىمدن عديدة كان البابليون ضبطوها .

ومما ذكره ادي شير ان آسورريشيشي كان شجاعاً .وقدقهر الاحلاميينواللوماويين والكوثيين وبسط سلطانه على عشرين مدينة جديدة ، وحـاول نبوكد ناصر الاول ملك بابل ان ينتقم فهاجم بلاد آثور مرتين رجع منها خائباً وخسرفي احداهما جميع عجلاته.

وقد خلف اسور ريشيشي ابن له اسمه تغلات بلاسر (لعله تغ لاة بيل آسور) الذي عقد ادي شير لسيرته فصلا خاصاً وسمى عهده باسم دولة آثور العظمى الأولى والذي حكم من سنة ١١١٥ الى سنة ١١٠٠ ق م وفعلا فان هذا الملك كان في نشاطه وحيويته من اعظم ملوك آشور ، وقد تعاظمت آشور في عهده حتى غدت امبراطورية عظمى

ومما يذكره ادي شير [1] من سيرة هذا الملك انه قضى معظم ايام حكمه في الحروب ؛ وقد زحف في اول سنة من حكمه على الماشكيين [2] الذين انحدروا من جبالهم تحت قيادة خمسة ملوك وهجموا على اقليم كوماجين وكسرهم وتتبعهم في الجبال والاودية ، وسجل انتصاره عليهم في احد نقوشه فقال فيما قال « ملأت بجثثهم اودية الجبال وقممها وقطعت رؤوسهم وكللت بها اسوار مدنهم وسقت عدداً لا يحصى من الاسرى وملكت خزائن لا تعد ، وخر جميع الذين خلعوا طاعة آشور ساجدين قدامي ، والذين فروا خوفاً من سلاحي المهول والتجأوا الى قمم الجبال الشامخة صعدت مقتفياً اثرهم وهزمتهم وعبرت على معاصمهم كالزوبعة وفتحت بلاد كوج وجعلتها تحت سلطان مملكتي انا تغلات بلاسر الملك القوي .. »

يستفاد من الآثار ان قسوته جعلت الامراء والملوك الاخرين يذعرون ويسارعون الى اعلان خضوعهم له ورضائهم باداء الجزية اليه ، وفي السنة الثانية زحف على بلاد ارمينية واستولى على عدد كبير من مدنها ؛ وفي السنة الثالثة اغار على البلاد الممتدة الى بحيرة وان ، وكان فيها ممالك عديدة فتداعوا الى لقائه واجتمع منهم ثلاثة وعشرون ملكاً وساعدهم ستون آخرون من سواحل البحر الأسود ومناطقها وكان القتال رهيباً فكتب له النصر وفرض الجزية عليهم واخذ اولادهم رهائن على الخضوع والطاعة واستمر على هذا المنوال خمس سنوات متوالية ؛ ثم سجل حصاد نشاطه على نقش فقال « منذ بداية جلوسي على تخت المملكة الى السنة الخامسة كانت يدي قد اخضعت اثنين واربعين شعباً وقهرت ملوكها من سواحل الزاب الاصغر وقطعت رؤوسهم وكللت بها اسوار مدنهم وسقت عدداً لا يحصى من الأسرى وملكت خزائن لا تعد . وان ستة آلاف من الذين خلعوا طاعتي خروا ساجدين قدامي فترحمت عليهم .. »

وكانت جيوش كماجين انفصلت بعد الهزيمة من الماشكيين وعبرت دجلة وتحصنت في قلعة شيريشما فتتبعها الملك الاشوري وقطع اشجار الغابات وفتح طريقاً لجيوشه وعرباته الى ان انتهى الى القلعة فافتتحها وقتل جميع من فيها . وقد قال في احد نقوشه « ان الذين بقوا من عساكرهم لم يقدروا على مقاومتي فخوفاً من اسلحتي التجأوا الى قمم

«١» تاريخ كلدو واشور ج ١ ص ٥١-٥٦

«٢» الغالب انهم من اهل جبال المنطقة الشرقية الجنوبية من الاناضول اما كوماجين فقد كانت في وادي دجلة الاعلى وتمتد الى حدود ديار بكر .

الجبال الشامخة فصعدت مقتفياً اثرهم نحاربوني ولكني هزمتهم وعبرت مثل الزوبعة على صفوفهم في اودية الجبال وفتحت كل بلاد كوج وجعلتها في حدود مملكتي انا تغلا بلاسر الملك القوي قاتل الأشرار ومستأصل جيوش الأعداء . »

وبعد ضبطه قلعة شيريشا حمل على اهالي كورخي — وهي البلاد الممتدة مـــن جدول دجلة الغربي الى جبال جودي الذين كانوا يأتون لمساعدة الاعداء واغرقهم في ميـــاه نامي وقبض على اميرهم كليتشوب وارسلهالى آثور هو ونساؤه واولاده وكنوزه وتماثيل آلهته . ثم كر الى الجانب الايمن من دجلة وهجمعلى قلعة اوراخينا فانهزم سكانها وخرج ملكها شاديشيوب الى لقائه وخر على قدميه ساجداً وقدم له كل ما كان عندة من ذهب ونحاس ومواش فعفا عنه وتركه على سرير ملكه ، وهكذا عامل سائر حلفائه الذين طلبوا منه الامان .

وفي عودته اراد ان يستولي على البلاد الجبلية التي كانت بين بحر نيري الاعلى — وهو بحيرة وان المعروفة اليوم — ومملكته وكانت مكتسبة باشجار كثيفة ومشيدة في جبال عاصية ونهر الدجلة الشرقي يجري هو والجداول في اوديتها العميقة المتعرجة مما يجعل تحرك الجيوش عسيراً جداً . ولكن تغلات اخذ معه ثلاثين عربة وقسماً من المشاة وتوغل ثم اضطر الى ترك العربات والزحف بالمشاة فقط وصب نقمته على سكان ملديش واحـرق قراهم فهابته بقية البلاد واستسلمت له وتعهدت بجزية سنوية تؤديها اليه .

وفي السنة الثانية سير حملة الى الجهات الشرقية فعبرت الزاب الاصغر ، وقـاد هو بالذات حملة ثانية على بلاد كرخي لاتمام اخضاعها .

وقد جمع الكرخيون عساكرهم وتحصنوا في منحدرات جبل ازو بنا كش ولكنـه انتصر عليهم كما سجل ذلك في احد نقوشه . ثم توغل في جبال ارمينية وافتتح اربعـاً وعشرين مدينة . ثم طار على جناح السرعة الى البلاد الواقعـة في شرقي آ ثور اي حدود لولوما فقاومته امارتامورداش وسردوش .

وقد قاتلهم بشدة وبسالة حتى انه دخل معسكرهم مستلا بيده السيف وهو يقتل يميناً وشمالا فانتصر عليهم انتصاراً تاماً وفرض عليهم الجزية ، وحدث تمرد في هذه الاثناء في كورخي فسارع اليها وكسر الثوار وافتتح مدنهم واخذ منهـم ستة وعشرين تمثالا لالهتهم وارسلها الى آثور لتوزع على هياكل بيليت واداد واشنارا .

وفي السنة الثالثه من حكمه اغار على البلاد الغربية الشمالية الممتدة من نهر قيزيل إرماق الى وان وهي التي يقال لها نيري ، وكان فيها ممالك شتى وكان سكانها مشهورين بالشجاعة والقسوة ، وقد قطع ست عشره سلسلة جبلية ثم عمل جسراً على الفرات وعبر ، وتداعى ملوك نيري واجتمع منهم ثلاثة وعشرون مع جيوشهم ، واتى الي مساعدتهم ستون ملكاً من سواحل البحر الاسود ، وكان القتال شديداً فانتصر عليهم واسرهم ولم يخل سبيلهم حتى سلموا له اولادهم رهائن على خضوعهم وتعهدوا باداء الفدية من الخيل والثيران .

وقضى تغلات السنة الرابعة في اراحة جنوده . ومع ذلك فقد قام بسياحة حربية فيها في فيافي ما بين النهرين غازياً الاحلاميين وبقية القبائل الارامية .

وفي السنة الخامسة زحف على رأس جيوشه الى ساحة الفرات الاعلى اي اطراف ملاطية وهجم اولا على ملاطية ونهبها . وكان عشرون الف مقاتل من كومانو قد تجمعوا فحمل عليهم واثخن فيهم فانهزموا الى مدينة خوموسا المنيعة وتحصنوا فيها ، ولكن المدينة لم تقو على ضربات الاشوريين فدك الملك اسوارها ودمرها ، ثم فعل مثل ذلك بمدينة كيشونا عاصمة كومانو وفرض على البلاد جزية سنوية ونفى ثلاثمائة اسرة من رؤوس الأسر الى آشور ، وهكذا اخضع تغلات في خمس سنين اثنتين واربعين مملكة كانت تمتد من سواحل الزاب الاصغر الجبلية الى سواحل البحر المتوسط على ما ذكره في احد نقوشه حيث جاء فيه ما ترجمته « منذ بداية جلوسي على تخت المملكة الى السنة الخامسة كانت يدي قد اخضعت اثنين واربعين شعباً وقهرت ملوكها من سواحل الزاب الاصغر الجبلية البعيدة الى الفرات والى بلد الحيثيين والى البحر الاعلى حيث تغرب الشمس .»[1]

ثم وجه انظاره الى سورية فاستولى على مدينة قرقميش عاصمة الحيثيين واخضع ما حولها ثم عبر الفرات وسيطر على بلاد سورية الشمالية ثم اتجه نحو لبنان ودخل البحر المتوسط ونصب تذكاراً لانتصاراته عليه صورته وخبر حروبه وهو قائم الى الان على صخرة على ضفة نهر الكلب[2]

وفي الجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للمطران[3] الدبس فصل في الأحداث التي وقعت بين تغلات بلاصر الاول والحيثيين . وقد نقل المؤلف عن لانرمان

«١» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ٥٥
«٢» كتاب لبنان ص ١١٠
«٣» ١٨٩–١٩٠

نص نقش سجله هذا الملك في هذه الاحداث فيه ماترجمته « انا تجلات فلاصر المحارب الشريف ذللت بلاد سوبير الفسيحة ، قد استحوذ اربعة آلاف رجل من فصائل الحيثيين العصاة على مدن سوبرتا المتعبدة لآشور سيدي فروعتهم مخافة سلاحي فاذعنوا دون حرب وذلت رقابهم لنيري فغنمت اموالهم واخذت مئة وعشرين من مركباتهم ووهبتها لرجال بلادي ، وبعد السجود لآشور الهي جمعت مركباتي وجيشت جنودي المظفرة ومشيت على بلاد آرام التي لم يجل اهلها آشوز ربي وسرت حتى مدينة كركميش في بلاد الحيثيين فعبرت الفرات وصنعت ملحمة كبرى وغنمت من عبيدهم واموالهم ما لايدركه عد وبعد ان عبرت الفرات افتتحت ستاً من مدنهم ونهبتها واحرقتها » .

وعقب المؤلف على هذا النقش فقال : ان تجلت فلاصر تابع غزوته حتى بلغ جبل امانوس فنكل باهله ونهب اموالهم فدانوا للغازي صاغرين ، ولكنه لم يبلغ نينوى واحتشد عشرون الف مقاتل منهم . غير ان حركتهم لم تغن شيئاً فان جيوش تجلت فلاصر عادت على اعقابها اليهم فسلبتهم وشتتت شملهم ودمرت هانوسا مدينتهم ودكت كل بناء فيها واقام تجلت هناك نصباً كتب عليه خبر حملته وانتصاره . والغالب ان هذا التعقيب منقول ايضاً من لانرمان ومن المحتمل كثيراً ان يكون من محتويات نقوش له اخرى .

ويقول ادي شير بعد ما اورده من الأخبار السابقة ان اخبار سني تغلات بلاسر الاخيرة لم تصل بالتفصيل ، والذي يعرف منها انه اغار مراراً على نيري التي كانت تتمرد مرة بعد مرة ، وقد وصل في غارته الاخيرة الى قرب ينابيع ترينبه احد جداول دجلة ونقش على صخرة هناك نقشاً قال فيه « بموجب ارادة ساداتي آشور وشمشا واداد الالهة العظيمة انا وتغلات بلاسر ملك آثور بن اشور يشيني ملك آثور ابن متكل نوسخو ملك آثور الذي انتصرت على الشعوب منذ البحر العظيم الى نيري واخضعت لثالث مرة بلاد نيري [1] » . ويعرف عنه كذلك في اخريات عهده انه جرت بينه وبين عيلام وقائع دارت الدائرة فيها على العيلاميين ، ثم اشتعلت نار الحرب بينه وبين الكلدان وكان ميدانها في ناحية ارزوخينا في ساحة الزاب الأصغر . وقد انتصر على جيوشهم انتصاراً تاماً ودخل بابل واتخذ فيها لقب ملك اكاد وشومير . غير ان هذه الغلبة لم تدم الا سنتين ، فان مردوخنادنحا ملك بابل استطاع ان يطرد الحاميات الأثورية من بلاده وان يطاردها الى بلاد آثور نفسها وان يستولي على هيكلا احدى مدنها ويأخذ تماثيل

«١» تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ٥٦

آلهتها الى بابل ويضعها في هيكل بيل .

ويقول ادي شير ان تغلات لم يعش كثيراً بعدهذا الحادث ولعلّ الشيخوخة منعتـــه من الغارة على بلاد الكلدان .

ولقد كان هذا الملك مولعاً بالبناء ولعه بالحروب ؟ فقدكانت هياكل مدينة آثور قد مالت الى الخراب ولم تعد متناسبة مع عظمة الدولة ؛ فوسع تغلات وعظم هياكل استارا ومارتا وبيل وجدد هيكل آشور وشيد عليه زقرتين عظيمتين مرتفعتين الى السماء ورصعها بالخزف المدهون بالمياء ؛ ودشنها باحتفال لا مثيل له ، وشيد هيكلا على هذا الطراز للاله ادد .

وقد اشتهر هذا الملك بالصيد . وقد ذكر في آثاره انه في السنين الخمس الاولى من حكمه قتل مئة وعشرين أسداً واربعة آرام ذكر في سهول متاني واتى بجلودها وقرونها الى آثور وصاد في ارض جران وعلى سواحل ثابور اربعة عشر فيلا واتى باربعة منها الى آثور وهي في قيد الحياة .

— ٤ —

على ان هذا المملكة التي اسسها اسلاف تغلات بلاسر وتعاظمت بجهوده حتى بلغت هذه الدرجة من الانبساط والقوة وغدت امبراطورية عظمى ما لبثت ان اخذت تتزعزع وتنهار بعده لان الذين خلفوه لم يكونوا على غراره من الحيوية والنشاط فألم بها ارتباك استمر نحو مئتي سنة ١١٠٠ــ٩٠٠ ق م .

وقد عرف من الملوك الذين تولوا العرش الأشوري في هذه الحقبة [١]

١ ــ اسوربيل قالا بن تغلات بلاسر

٢ ــ شمشي داد الثالث

٣ ــ اسور ناصربال الثاني

٤ ــ اربا داد

٥ ــ اسور نادنحا الثاني

٦ ــ تغلات بلاسر الثاني

٧ ــ اسور دان الثاني

(٢–٧: لم يذكر المؤلف مدة حكم الملوك على انفراد)

«١» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ٥٧

ومما عرف من احداث هذه الحقبة على ما جاء في تاريخ كلدو وآثور ان اسور بيل قالاكر على الدولة البابلية للتنكيل بها وتمكن من الاستيلاء على بعض مدنها حتى ان ملكها مردوخ اضطر الى طلب الصلح فاجيب الى طلبه ، واستمرت حالة الصلح بين الدولتين مدة طويلة حتى ان اسوربيلقالا تزوج ببنت مردوخ بيل دان خليفة مردوخ شا، وانه لم يعرف عن شمشيداد الثالث خليفة بيلقالا سوى انه زخرف الهياكل التي انشأها اسلافه ، وان احوال الدولة ساءت في عهد اسور-ناصربال الثاني فنهض الحيثيون الى حربه وكسروه بقرب قرقميش نحو سنة ١٠٦٠ ، وان حالة الدولة منذئذ اخذت تنحط واخذت الاقاليم تتفلت من سلطانها وتستقل وكان البادىء بلاد كيليكيه ثم ملاطية ثم نواحي قره‌طاغ ثم جبل ذكرا ثم فيافي الخابور ثم نيري ، وقد طمست اخبارها واخبار ملوكها . وقد عرف ان الاثنين الاولين من الاربعة انشأ بعض القصور ، وان الرابع اهتم لاصلاح امور المملكة الداخلية فحفر قناة وجلب المياه الى العاصمة وعمر الهياكل وحصن المدن .

- ٥ -

وقد كانت مملكة بابل في هذه الحقبة تعاني ضغطاً وارتباكاً من جراء الفتن التي حدثت فيها فكان ذلك مما جعل آشور تظل قائمة الى ان انزاحت عنها الغمة واستأنفت نشاطها ثم استعادت كثيراً من عظمتها وانبساطها حيث تولى في الحقبة التي امتدت من سنة ٩٠٠ الى سنة ٧٨٠ ملوك كان اكثرهم ذوي اقدام وعزم ونشاط . وهم :

١ ــ اداد نيراري الثاني	٩٠٠ــ٨٩٠
٢ ــ تعلات يبب الثاني	٨٩٠ــ٨٨٥
٣ ــ اسور ناصر بال الثالث	٨٨٥ــ٨٦٠
٤ ــ سلمناصر الثالث	٨٦٠ــ٨٢٥
٥ ــ شمشي داد الرابع	٨٢٥ــ٨١٢
٦ ــ اداد نيري الثالث	٨١٢ــ٧٨٣
٧ ــ سلمناصر الرابع	
٨ ــ اسرحدون الرابع	٣٨١ــ٧٤٥
٩ ــ اشور نيراري	

ومما ذكره ادي شير [1] من اخبار هذه الحقبة وملوكها ان اداد نيراري الثاني عمر باب دجلة في مدينة اشور واسوارها ووسع هيكلها العظيم واخضع اغلب الولايات التي خلعت طاعة اشور . وقد جرت بينه وبين ملك بابل شمشودميق معارك انكسر البابليون فيها ، ولم يلبث شمشو ان مات وقام مكانه نبوشمشيكون فاستؤنفت الحرب بينه وبين اداد وانتصر هذا للمرة الثانية ووقع ملك بابل في الأسر . وضبط الأشوريون نتيجة لذلك قلعتي بامبال وبغداد واستولوا على اغلب البلاد التي في الجانب الايسر من الزاب الأصغر بين دجلة وجبل ذكرا . ثم تصالح الفريقان وصاهر ملك اشور وملك بابل بعضهما . وقد سجل اداد نيري زحفه وانتصاره على حجر جاءفيه ما ترجمته « بعون الهتي اشور وشمشا وآداد ذهبت الى هناك واخضعت الجبال العاصية من الشرق الى الغرب وظفرت ظفراً غير مقهور وعبرت مثل البرق الأنهر الهائجة »[2] .

وكان تغلات نينيب الثاني الذي يعرف باسم نينورتا الثاني مولعاً بالحرب وكانت اكثر غاراته على نيري واستطاع في مدة حكمه القصيرة ان يخضع جميع البلاد التي في وادي دجلة الاعلى وجميع البلاد الجبلية التي تفصل الجزيرة عن نيري وانتهى الى منابع دجلة وقد عثر حديثاً في شمال حلب على حجر ضخم كان على الاغلب نصب تذكاراً لانتصار هذا الملك على الآراميين . وقد نقش عليه صورته وهو يتقدم الى الاله اداد بواسطة الكاهن لينال عطفه ، وقد نقش على الحجر اخبار زحفه وجاء في النقش فيما جاء :

« حدد الاله القادر ملك آشور ، الذي يسحق مدينة لاقه . الوصي الذي يحطم قرن الثعبان الضار . الملك الذي ينزل الهزيمة ، اله الوجود وحاكم الأرض ، البطل المغوار توكولتي نينورتا ابن الملك المحنك قام مستمداً من ابيه بعمل التخريب فاولاده وخدمه وعشقار التي هي اسمى الآلهة تحميه [3] » .

— ٦ —

والثالث في قائمة الملوك اي اسورناصربال هو ابن تغلات نينيب . وهو من اعظم ملوك هذه الحقبة بل من اعظم ملوك آشور وقد استطاع بنشاطه وحيويته ان يعيد الى آشور مجدها العظيم وسلطانها الواسع الذي كان لها على عهد تغلات بلاسير الاول بل ويزيد عليه .

«١» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ٥٨-٧٦

«٢» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ٥٩

«٣» المجلد الثاني من مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٥٢



تمثال الاله المجنح الأشوري



تمثال اشور ناصربال الثالث

ولقد وطد سلطانه على جميع الأقاليم الشمالية الجبلية ثم على جميع بلاد سورية وفلسطين والاردن وفينيقية ، وكان يقسو في التنكيل بالمتمردين ويفحش في القتل والتدمير والنهب والتحريق ويسلخ جلود الملوك احياء ، ثم يعلق جثثهم على اسوار مدنهم فكان هذا ممـا يثير الذعر والرعب في قلوب المتربصين ويحملهم على المسارعة الى الخضوع وتقديم الرهائن والهدايا .

ولقد باشر الغزو منذ اليوم التالي لتتويجه فاغار على بلاد نومي في الشمال الغربي مـن آثور وافتتح عاصمتها واستولى على ست مدن اخرى من مدنها ، وتحصن الأهالي في جبل منيع فتسلق الاثوريون الجبل وضبطوا جميع المتاريس وقتلـوا واسروا جميـع المقاتلين فتخوف الكيروريون والادوشيون والكيلزانيون والخوبوشكيون وبادروا شعباً بعد آخر الى اعلان الخضوع وتقديم الجزية والهدايا ، ثم هجـم على كرخي واستولى على قصر ملكها ونهب مدن خانو وختارو واربيدي وارزاينا وتلا وخالو واسر ملك كرخي نفسه وارسله الى اربيل حيث سلخ جلده وعلقه على سور المدينة . ثم توجه نحو الشمال الغربي لآثور في نفس السنة وعبر الدجلة قاصداً حوض الفرات فذعر منه الماشكيون والكموجيون وخرجوا الى لقائه مقدمين له الطاعة والهدايا ؛ واتجه نحو الخابور قاطعاً جبال ايزلا وظهر بغتة تحت اسوار مدينة سورا فخرج اليه الرؤساء طالبين العفو وكانت المدينة اظهرت تمردها ، فقابلهم بالقسوة وسلخ جلد كثيرين منهم وصلب كثيرين آخرين على العواميد فدب الخوف في قلوب المجاورين وطلب اللاقيون الذين كانوا يمتدون بين الخابور والباليح الامان وفعل مثل ذلك ملك جيندانا على الفرات .

وفي السنة الثانية اتى حوباني ملك زوخي الى نينوي وقدم طاعته وهداياه من الذهب والفضة ، وبلغه ان حولاي قائد الحامية الأثورية في كيشاري ــ في اطراف سيوريرك ــ يريد اعلان استقلاله فاتجه اليه فتحصن في قلعة كينابيا ــ وهي مدينة سيوريرك الحالية ــ فحاصرها اشور ناصر وافتتحها وقتل جمعاً غفيراً منها واحرق عدداً آخر ثم اغار على نيربا فانهزم اهلها الى فيائي ما بين النهرين والتجـــ تسم منها الى تـــلا ــ ويران شهر الحالية ــ وكانت منيعة ولها اسوار ولكن الملك تغلب عليها وقتل وحرق كثيراً من مقاتليها وسلخ جلود بعضهم فسارع امراء البلاد المجاورة اي بيت زمالي ونيردون وشوبريا ونيري واورومي الى اعلان الخضوع . وفي طريق عودتـــه الى نينوي توقف قليلاً في مدينـــة اردوبا ــ ماردين الحاليـــة ــ حيث زاره احد ملوك الحيثيين وسفراء ملوك الاقالـــيم المجاورة .

وفي السنة التالثة اغار على بلاد زامو الممتدة من ينابيع رادان الى اطراف بحيرة اورومية والتي كان فيها امارات عديدة لانهم كانوا ممن خلع طاعة اشور واجتمعوا تحت راية ملك دكارا ؛ وقد احرق دكارا وقتل عدداً كبيراً من مقاتليها واستولى على قلعتين مهمتين من قلاعها ، ولم ير ملوك البلاد مناصاًمن اعلان خضوعهم وتقديم جزيتهم اليه ما عدا ملك دكارا نفسه الذي تحصن في جبل نيشبي واخذ يحرض البلاد على التمرد فزحف في السنة التالية واستولى على مدينة امالي واسر من فيها ودك اسوارها ثم على خودون وقراها وعلى كسرتو وقراها وهكذا حتى اخضع جميع بلاد زامو .

وفي سنة ٨٨٠ زحف على ما بين النهرين الشمالية حيث كان بعض شعوبها تمارس استقلالها فاتاه الكموجيون بالجزية ثم تبعهم في ذلك الكرخيون ،وفي غزوته هذه استولى على مدن عديدة محصنة ابت ان تعلن ولاءها ونكل باهلها صلباً وحرقاً ، ثم اغار على نيري حيث احرق مئة واربعين مدينة وقرية ، واتاه الخبر ان بيت زماني وهي احدى الممالك الآرامية في حوض الفرات الأعلى نشرت لواء العصيان وقتلت ملكها امين بعل واحلت محله بورمان . وملك اخاه اريتانا مكانه واستولى على مقادير كبيرة من العربات والخيل والثيران والغنم والذهب والفضة والنحاس والحديد والأقمشة والاواني المصنوعة من ذهب وعاج .

وفي سنة ٨٧٩ اغار على البلاد التي في وادي الخابور وعلى سواحل الفرات حيث كان بعض المدن والقبائل الآرامية لم تخضع خضوعاً تاماً لآشور ، بل وكان الزوجيون واللاقيون منهم اتفقوا سراً مع نبو بلدان ملك بابل على مناوأتها وارسل هذا قسماً من جيشه الى ملك زوجي بقيادة اخيه زبدان والقائد بيل بلدان ؛ وقد تمكن اسور ناصر بال الاستيلاء على مدن حينداني وخاريدي وعانة الآرامية وانهزم ملك زوجي ووقع قائدا ملك بابل في الاسر ثم عاد الى بلاد زوجي فاعمل فيها يد التخريب وبنى قلعتين منيعتين على جانبي الفرات سمى الأولى نيبارت آسور والثانية كرخ آسور .

وقد كانت الممالك الآرامية في الجزيرة الفراتية الغربية بيت اديني وكانت تشمل ما يعرف اليوم باقضية عنتاب وروم قلعة وبيرهجك وسروج واعظم قسم من منبج والرقه وقسماً من دير الزور . فحمل الأثوريون سنة ٨٧٧ عليها وشددوا الحصار على قبرالي وكانت امنع مدنها وتمكنوا من فتحها ثم هدموا اسوارها وقتلوا مقاتليها ونفوا عدداً كبيراً من اهلها فخاف احوني ملك بيت اديني واعلن خضوع مملكته لآشور .

وفي سنة ٨٧٦ توغل في جزيرة الفرات وعبر الخابور والباليخ واتجه نحـــو قرقيش فخافه سنجار ملك الحيثيين وخرج للقائه وفتح له عاصمته وقدم له مقادير كبيرة مـــن الذهب والفضة والنحاس والحديد والعـــاج والاقمشة ؛ وواصل سيره فاتى على احزاز (اعزاز اليوم) فقدمت له المدينة هداياها وخضوعها ثم اتى على كتالوا عاصمة باتين فسارع ملكها الى تقديم خضوعه وهداياه ثم اتى على لوحوتي فقاومه اهلها فدمرها ونهبها وصلب من ظفر به من سكانها ، ومن هنا توجه نحو جبل لبنان وحدوده ثم نزل الى البحر الابيض وقد اعلنت مدن فينيقية خضوعها وقدمت هداياها اليه ، وقطع كثيراً مـــن اشجار الأرز والصتوبر من جبال لبنان وحمانا (امانوس) وارسلها الى نينوى .

ويقول ادي شير الذي اقتبسنا منه ما اوردناه انه لا يعلم بما فعله اسور ناصر بال في الست عشرة سنة التي عاشها بعد اخضاع بلاد سورية ويعني فينيقية ، وكان قد بقي في اطراف حدود مملكته الواسعة ثلاث ممالك قوية وهي مملكة الكلدان ــ ويعني بابـــل ــ ومملكة ارارطو ومملكة دمشق ؛ والظاهر انه اكتفى بما تم له وقضى بقية ايامه في الراحة متفرغاً لتزيين كالح وزخرفتها ، ومع ذلك فانه عرف من الآثار انـــه باشر سنة ٨٦٧ غزوة في البلاد الشمالية التي كانت قد امتنعت عليه ونكل بهـــا ورجع عنها ومعـــه ستة آلاف أسير .

ويبدو من الاسماء والاوصاف المحددة ان ما يرويه ادي شير مـــن سيرة اسور ناصر بال مقتبس من منقوشات او مدونات قديمة . وهو لم يذكـــر ذلك صراحة ولكنه اشار الى مصادر اقتبس منها مادته وهي : ١ ــ تاريخ دول الكلدان وآثور لاوبير ٢ ــ تاريخ سني ملوك آثور لمينان ٣ ــ ماسبرو ٤ ــ مجلة الكتاب المقدس .

ولقد اورد جميل المدور [١] ترجمة نقش لاسور ناصر بال جاء فيها « ان اشور نازر بال الظافر الميمم رب القصر الآشوري ابن تغلت سمدان ليث القراع ومخراق الحروب المالك على الأربعة اقطار ابن بعاوخوس الملك المظفر المتسلط على الطوائف الأشورية لقد ملكت بسيفي جميع الاقاليم الممتدة من لدن متفجر دجلة الى اطراف لبنان »

وفي الجزء الأول من المجلد الأول من تاريخ سورية للدبس [٢] ترجمة نقش من نقوش هذا الملك جاء فيها فيما جاء « في اليوم الثامن مـــن ايرو (نيسان حسب تفسير الدبس)

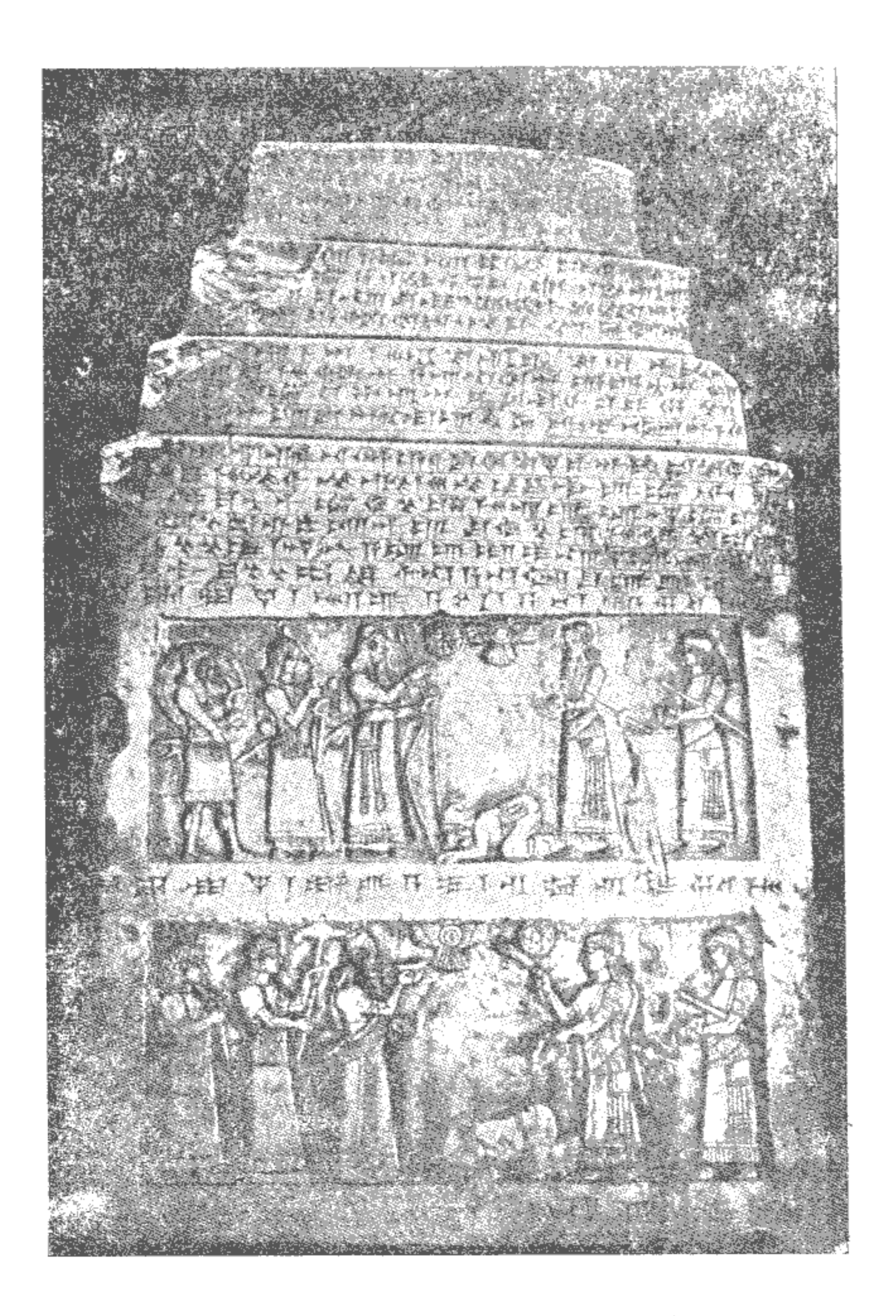
«١» ص ٨٧ ــ ٨٨

«٢» ص ١٩٣

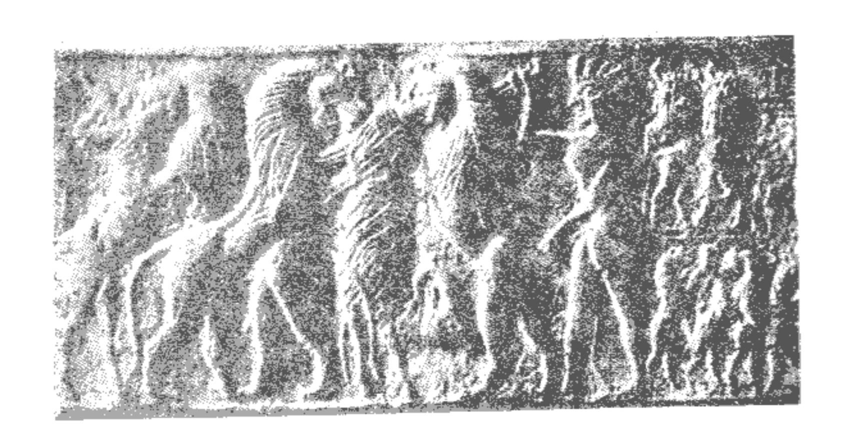
غادرت كالح وعبرت دجلة قاصداً كركميش في بلاد الحيثيين واجتزت نهر بورات (الفرات) على قطع من اديم واقتربت من كركميش وفرضت على سنغار ملك بلاد الحيثيين عشرين وزنة من الفضة وحلى عديدة من الذهب ومئة وزنة من النحاس ومئتين وزنة من النحاس ومئتين وخمسين وزنة من الحديد والقصدير وآلات من الحديد والنحاس وغنائم بلاطه واثاثه شيئاً كثيراً لا مثيل لظرافته واثاثاً من ابنوس وعروشاً من خشب السنديان ومئتي امرأة رقيقة وانسجة من صوف وبرفير ومركبات مرصعة بالعاج وتماثيل من ذهب والمركبات والأدوات الحربية التي كانت لقائد جيش كركميش حفظتها في مخازني » .

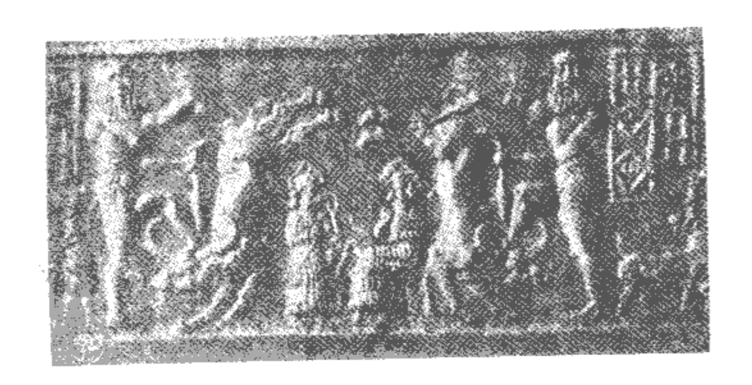
وقد اورد المؤلف المذكور ترجمة نقش آخر له «١» قدمه بقوله ان انخذال ملك الحيثيين افضى الى استسلام الأقيال الخاضعين له ويعني امراء بلاد الشام ، وقد جاء في الترجمة « ان ملوك هذه الاعمال ذلت اعناقهم لنير سطوتي بعد ان تهيأوا لمناوأتي فقبلت رهائنهم ودانوا لسلطتي وتركت كركميش وقصدت بلاد لبنانا ، وقد اراد امير حيثي كان يلي السهول المجاورة لنهر عبرا (المعروف الان بنهر عفرين حسب تفسير المؤلف) وبعض المدن الشهيرة منها هزاز (المعروفة باعزاز) ان يعترض مرور الغازي ولكنه عند دنوه من املاكه ذل له وقدم له أثمن ما كان يملكه » وقد عقب المؤلف على هذا النقش بقوله ودوخ هذا الملك بلاد امانوس (جبل اللكام وجد المسير نحو العاصي فعبره وسار بجيشه على جانبه اياماً كانت له فيها حروب ليست بذات بال الى أن بلغ لبنان وملك سفحيه من جهة البحر وجهة سهل بعلبك والبقاع العزيز وقدم محرقة للآلهة على صخر تتلاطم عليه امواج البحر شكراً لهم على احسانهم اليه ، وقد عدد ملوك شاطيء البحر الذين اخذ الجزية منهم فكان منهم ملوك صور وصيدا وجبيل وارواد التي في وسط البحر وكانت جزيتهم فضة وذهباً ونحاساً وحديداً وادوات من حديد ونسائج من صوف وكتان واخشاباً من الصندل والابنوس وجلود حيوانات بحرية ، ولم يأت بذكر قادس مع انه سار في وادي العاصي كافة لأنها كانت قد خربت او تقهقرت كثيراً وقال انه ركب السفن التي اخذها من ارواد متنزهاً في البحر فقتل دلفيناً وانه اكب على الصيد في لبنان فاصطاد خنازير بريّة وبقراً وحشية وانه اخذ بعضها حياً وارسله الى اشور وانه قتل نموراً وضباعاً وثعالب واصطاد ايائل وغزلاناً ونسوراً الى غير ذلك من

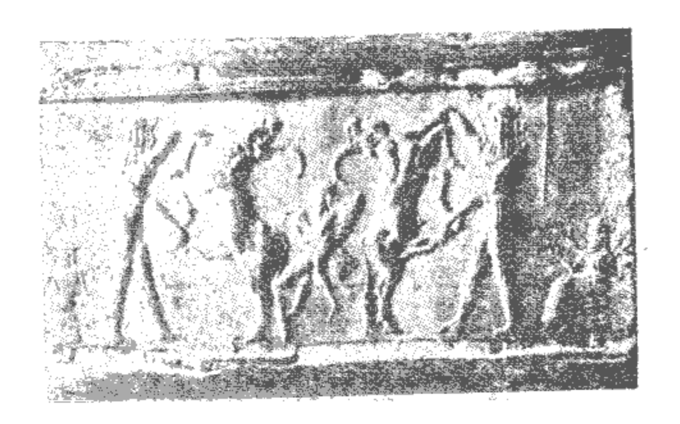
«١» ص ١٩٣-١٩٤



نصب تذكاري لشلمانصر الثالث







نقوش تزيينية في احد قصور أشور

الوحش والطير ؛ وفحوى هذا الكلام يدل على انه هو الآخر مقتبس من نقوش هـذا الملك ؛ بل ان المؤلف اورد نص نقش لهذا الملك في مكان من الجزء الآنف الذكر[1] ذكر هذا صراحة حيث قال فانه فضلا عما كتب على صدر تمثاله القائم الآن في المتحف البريطاني قد نقشت اخبار غزوته لفونيقي (فينيقية) على صخر كالح حيث يقول انـه لم يخضع لسلطته سورية الشمالية وبلاد الحيثيين وجبال اللكام وشواطىء العاصي فقط بل يقول انه نزل بنفسه الى فونيقي وإلى ساحل البحر المتوسط واخذ الجزية من صور وصيدا وجبيل وارواد . وقد كتب على صخرة نرود « وفي هذا الزمن اخذت نواحي جبل لبنان وذهبت نحو بحر فونيقي الكبير وترنمت على اعالي الجبال بتسابيح الآلهـة العظام وقدمت لهم المحروقات وأخذت الجزية من ملوك بلاد البحر من سكان صور وصيـدا وجبيل ومحالا وميزا وكيزا (يقول المؤلف لا يعرف مواقع المدن الثلاث الاخيرة) وارواد التي هي في وسط البحر وقد اتوني بالفضة والذهب والرصاص والنحاس والحديد وبمنسوجات الصوف والكتان وبأخشاب ثمينة وجلود حيوانات بحرية وقبلوا قدمي » وفي نقش آخر قال « انه ركب السفن التي اخذها من مرفأ ارواد ومضى للنزهة في البحر فقتـل دلفيناً وقضى بعد ذلك اياماً يصطاد في جبال لبنان الوعرة فقتل جواميس وخنازير برية وقبض على كثير منها حياً واخذه الى بلاده آشور وتفاخر بانه قتل مئة وعشرين اسداً .

وفي كل هذا دلالة على ان سيرة هذا الملك وحروبه مقتبسة من نقوشه على مـا ذكرناه .

ولقد كان اسلاف اسور ناصربال اهملوا مدينـة كالح التي انشأها شلمناصر الاول واتخذها عاصمة على ما مر ذكره واتخذوا نينوي عاصمة ؛[2] فاعاد هذا الملك الى كالح مجدها بقصور وهياكل اعظم مما كان فيها واتخذها عاصمة مرة اخرى ، وقد كان مولعاً بتشييد المباني والهياكل والقصور . وقد وجد له ما لا يحصى من الآثار المرسومة باسمه

«١» ٣٠٥-٣٠٦

«٢» لا يعرف على التحقيق من هو الذي بنى نينوي واتخذها عاصمة لاول مرة . ويخمن بعض الباحثين انه نينيب الذي يعرف ايضا بنينوس والذى بين اسمها واسمه تشارك لفظي يجعله الباحثون دعامة لتخمينهم . وهناك ملكان باسم نينيب ميزا بصفته الاول والثاني ، والاول هـو ابن سلمناصر الاول الذي انشأ كالح والثاني من ملوك حقبة ٩٠٠-٧٥٠ التي نحن في صددها ، ولعل الارجح ان يكون باني نينوى هو نينيب الثاني ، وهناك اساطير حول بنائها لم نر طائلا في ايرادها .

من ابنية وتماثيل آلهة واوان متنوعة من الذهب والفضة والعاج ، ومما انشأه برج عظيم للاله نينيب اله الحرب ذو سبع طبقات بارتفاع سبعين متراً ووضع عليه للاله تمثالا من المرمر المذهب وفي مدخله تمثالا لنفسه طوله متر وعليه نقش جـاء فيـه « انا آشور ناصر بال الظافر رب القصر الأشوري ابن نغ لاة سمدان ليث القراع ومخراق الحروب المالك على الأقطار الأربعة ابن بعلوخوس الملك المظفر المتسلط على الطوائف الاشورية ملكت بسيفي جميع الاقاليم الممتدة من لدن متفجر دجلـة الى اطراف جبل لبنان »[1] وقد انشأ كذلك في كالح هرماً باذخاً شيده لرصد الكواكب .

وفي كتاب تاريخ بابل وآشور لجميل المدور [2] وصف مسهب للآثار المكتشفة من كالح ؛ وموقعها يعرف اليوم باسم نمرود . وقد نقب فيها اللـورد لايرو الانكليزي في اواسط القرن السابق فكشف عن آثار قصور جمة محكمة الصنعة مزينة بالنقوش وعجائب الرسوم ، ومن اهمها قصران يعزى احدهما الى اشور ناصربال وثانيهما الى اشور بانيال وهما قصران ضخمان يروعان الناظر عظمة وإتقاناً . وكلاهما مشحون بصور الناس على اختلاف حركاتهم وملابسهم ومشاهد الصيد والمعارك وصور الآلهـة والملوك وتماثيل الحيوانات ما بين اسود وذئاب ونمور وبنات آوى وابعر . وشياه ، وقد وجد في القصر المعزو الى اشور بانيال مكتبة احتملها المنقبون الى اوروبا اما القصر الثاني فلو لم يظهر من آثار كالح غيره لكفى معجزة يقف عندها المتأخرون موقف الحائر لما هو عليه من احكام البناء وجمال الصنعة ، وما برح كل من رآه يدهش لغريب هندسته وما فيها من الدقة والتناسب البديع ، وهو الشاهد على ان الأشوريين كانوا في ذلك العهد قد بلغوا قمة نجاحهم الفني والعلمي والهندسي . وفي هذا القصر غرفة مداها ١٤٠ قدماً تبين مـن الآثار انها كانت مخصصة لملاعب النساء والدعوات الحافلة ، اما الأصنام والصور الـتي وجدت في نمرود فكثيرة جـداً منها الكبير ومنهـا الصغير ومعظمها متقـن الصنع . ومنها اكثر التماثيل التي في اوروبا على ما علم بعد الاستقراء والتمحيص . ومـن ذلك تمثال لأشور ناصر بال واقفاً لأشور ناصربال في طول مـتر وقد اخذ باحدى يديـه منجلا وبالأخرى عصاً وعليه كتابة تحمل اسمه . وتمثالان كبيران من عهد بعلوخوس الثالث عليها اسم زوجته سموراميت المعروفة بسمير اميس ، وهمـا الأثران الوحيدان

«١» تاريخ بابل واشور جميل المدور ص٨٧-٨٨

«٢» ص ٥٦-٥٧

الموسومان باسمها ، وفي نمرود مسلة صغيرة نصبها سلمناصر الثالث ونقش عليها صورته وصوراً اخرى من الناس والحيوان ونقش خبر بعض فتوحاته وهي مربعة الشكل ومخروطة وذات قاعدة عريضة وينتهي اعلاها بنقطة .

وخلف اسور ناصر بال ابنه شلمناصر الثالث وكان على غرار ابيه شجاعة ونشاطاً واقداماً . ويستفاد من سيرته في كتاب تاريخ كلدو وآثور [1] ان غزواته بلغت اثنين وثلاثين ، وقد تكررت حملاته على بلاد الحيثيين والفينيقيين والاراميين ؛ مما يدل على ان هذه البلاد كانت تعود الى التمرد المرة بعد المرة ، وكان سلمناصر ينتصر في حملاته ويرهب البلاد ويكتفي بما يقدمه ملوكها من الهدايا ويظهرونه من الخضوع فلا يوطد فيها سلطانه بالحاميات فلا تلبث ان تعود الى التمرد مرة بعد مرة ، وقد لعبت مملكة الحيثيين في شمال سورية ومملكة الارمن في جبال اراراط دوراً مهماً في هذا المجال حيث كانت الأولى تحرض ملوك الشام وفينيقية والثانية تحرض ملوك المناطق الجنوبية الشرقية من الاناضول على التمرد على آشور والتحالف ضدها فكان ذلك من اسباب تكرر حوادث التمرد وتوالي الحملات .

ولقد اغار هذا الملك في السنة الأولى من حكمه على بلاد نيري لان بعض شعوبها خلعت طاعة آشور فاحرق مدينة اريدي فخافه بقية شعوب هذه البلاد واتوه خاضعين. ومن هناك هجم على مملكة خوبوشكيا ــ في منطقة وان ــ واحرق فيها مئة مدينة وقرية ثم صعد الى شوكونيا التي كانت تحت حكم آرامي ملك اراراط فقاومه السكان بشدة ولكنه انتصر عليهم وانتهى الى بحيرة وان وغسل سلاحه وقدم الذبائح لآلهته ونقش صورته على صخرة هناك ورجع الى نينوى .

وبعد استراحة قليلة زحف نحو الغرب لتثبيت سلطانه فتداعى الى قتال جميع ملوك تلك الأطراف اي احوني ملك بيت اديني وملوك كركم وشمال وقوا وباتين وقرقيش وغيرها . وقد انتصر عليهم واحد بعد آخر ونكل بهم وفرض سلطانه عليهم . ووصل الى جبال حمانا (امانوس) وقطع خشب الارز والصنوبر ونصب تمثاله على جبل اللارونزل الى ساحل البحر المتوسط وغسل فيها سلاحه ؛ وسارع اليه ملوك فينيقية يقدمون الهدايا والولاء .

ولم يكد يعود الى نينوى حتى عاد ملوك هذه البلاد الى التمرد ثانية فسارع الى الزحف

«1» ج ٢ ص ٦٥-٧٤

سنة ٨٥٩ وكسر احوني ملك بيت اديني بالقرب من عاصمته تل بارسيب [١] ثم عبر الفرات وافتتح سورونو وباريبا ووريبكا(في قضاء عنتاب)ومئتي قرية اخرى، ثم دخل ارض قرقميش ونكل باهلها حتى ان جميع ملوك الحيثيين اتوه بهداياهم طالبين العفو والأمان . وقد فرض على ملوك باتين وشمأل وا كوسي وكماجين خراجاً يؤدونه كل عام .

وفي سنة ٧٥٨ رجع شلمناصر الى بيت اديني لان ملكها كان فر والتجأ الى آرامي ملك ارارطو واستنجد به ، فاحرق شلمناصر مرايزتي ونهب سوخمي وورياني من مدن بيت اديني . ثم ظهر فجأة تحت اسوار مدينة ارزشخون في شمال بحيرة وان ، وكان الملك آرامي قد تحصن في جبل ادوري في موقع حصين ، ولكن ذلك لم يحل دون هجوم شلمناصر والانتصار عليه وقد قتل من جنده مقتلة كبيرةوضبط كنوزه وعرباته واحرق قراه وزروعه ودمر مدينة ازرشخون ثم تسلق سلسلة جبل اريتيا ونهب ارمالي وزتزبونا ومن هناك نزل الى سواحل بحيرة وان وغسل فيها سلاحه وقدم الذبائح ونقش اخبار غزوته على صخرة عندها ، ثم انقض على كلزان فاستسلم له الملك شوا وادى له الجزية ووقف في وجهه ملك خوبوشكيا فدارت بينهما الحرب وكتب النصر فيها للملكلآشوري الذي استولى على عاصمته شيلايا واخذه ما لا يعد من الثيران والخيل والغنم . وكان احوني ملك اديني قد انتهز فرصة انشغال شلمناصر بهذه الغزوات فتحصن بين تلال شيتامرات في الجانب الايمن من الفرات . ولكن شلمناصر شدد عليه الخناق سنة ٨٥٧ حتى تمكن من اسره مع عدد كبير من جنوده واستاقهم إلى آشور .

وبعد ان ذلت مملكتا اديني وأراراط لشلمناصر اتجهت همته الى مملكة دمشق . وقد خرج سنة ٨٥٤ وعبر الفرات على اكلاك ـ جمع كلك وهي زورق من القرب ـ وعند تل بارسيب اتاه جميع ملوك سورية الشمالية ليسجدوا له ويقدموا هداياهم وكانوا سبعة وهم سنكار ملك قرقميش وكوندشبي ملك كوماجين وارامي ملك ا كوسي وللى ملك ميليدا وحياني ملك شمأل وكوبرودا ملك باتين وكوبرودا ملك كركم . وهذه البلاد تمتد من ملاطية الى جبال امانوس في حدود الاناضول الجنوبية شرقاً وغرباً ـ ثم دخل ارض حماة واستولى على بعض مدنها .

ولما سمع اداد يدري بن بنهدد ملك دمشق الآرامي بقدوم الآثوريين حشد جيوشه

«١» في مكان آخر ذكر اسم عاصمة بيت اديني سبنابا .

واستعان بملوك سورية الآخرين فاعانه ملك حماه ارحوليبي بجيش من ٧٠٠ عربة و ٧٠٠ فارس و ١٠٠٠٠ راجل ، وملك اسرائيل آحاب بجيش من ٢٠٠ عربة و ١٠٠٠٠ راجل وملك قوا بنجدة من ٥٠٠ رجل وملك موصري ـ في شمال سورية بنجده من ١٠٠٠ رجل وملك ارقانات « تل عرقا » بنجدة من عشر عربات و ١٠٠٠٠ رجل وملك ارواد مانيتو بنجدة من ٣٠٠ رجل وملك اوسنات ـ في سواحل فينيقية بنجدة من ٢٠٠ محارب وملك شيانا ادونا (في نفس السواحل) بنجدة من ٣٠ عربة و ١٠٠٠٠ رجل وجندب ملك العرب بنجدة من ١٠٠٠ رجل وبعشا ملك العمونيين بنجدة من ١٠٠٠٠ رجل فاجتمع له ٧١٩٠٠ راجل و ١٩٠٠ فارس و ٣٩٤٠ عربة و ١٠٠٠ جمـل [١] .

واشتبك الاثوريون مع الجيوش المتحالفة عند قرقر قرب حمـاه فكتب لهم النصر وقتلوا مقتلة عظيمة . وقد سجل شلمناصر هذه الوقعة في نقش جاءفيه ما ترجمته « بالقوة العلية التي منحني اياها الرب آشور وبالاسلحة القاطعة التي سلمها الي بزكال ـ الهالحرب الماشي امامي حاربتهم وهزمتهم من حدود قرقر الى مدينة كيازا ووقعت من عساكرهم ١٤٠٠٠ محارب وانزلت عليهم طوفاناً مثل الاله ادد وكومت جثثهم واجريت دماءهم في شقوق الارض . ان الصحراء بانت صغيرة لا تسع جثثهم والارض الواسعة لم تكف لقبورهم .فملأت نهراورونت ـ العاصي ـ باجسادهم وكأني بها قد صارت عليه جسراً وفي هذه الغزوة اخذت عرباتهم وخيلهم وحصنهم وجهازهم » [٢] .

ولما عاد شلمناصر امتنع سنكار ملك قرقميش الحيثي وسائر الامراء الحيثيين عن اداء الجزية وفعل مثلهم امراء تل ابني وجبل كيشاري ، فزحف عليهم شلمناصر سنة ٨٥٣ وقضى معظم السنة في اخضاعهم، وفي سنة ٨٥٢ حدثتفتن اهلية في بابل . فان مردوخ شمدان [٣] ومردوخ بيلسات كانايتنا زعان على العرش فالتجأ الاول الى شلمناصر فاغار هذا سنة ٨٥١ على بلاد الكلدان وبـدد جيوش مردوخ بيلسات وثبت الملك لمردوخ شمدان .

وفي سنة ٨٥٠ عبر الفرات لثامن مرة . ونكل بالحيثيين ثم حمل على اكوسي وافتتح ارني عاصمتها مـع مئـة قرية مـن قراها ، وفي سنة ٨٥١ عـبر الفرات لتاسع مرة

«١» تاريخ كلدو واثور ج١ ص ٦٩

«٢» المصدر السابق ص ٧٠

«٣» الارجح انه مردوخ نادان شما لان هذا هو الذي نافسه مردوخ بيلسات .

وتهب مدن الحيثيين واكوسي وتوجه الى باتين واخذ منها الفدية. ومن هناك ذهب الى حماه والتقى باداد يدري ملك دمشق وحلفائه فحاربهم وكسرهم . وقد ذكر في احد نقوشه هذه الغزوة فقال « في السنة الحادية عشرة من ملكي خرجت من نينوي وعبرت الفرات لتاسع مرة في اثناء فيضانه وفتحت سبعاً وتسعين مدينة من مدن سنكار . وفتحت ايضاً مئة مدينة من مدن ارام فاخربتها واحرقتها بالنار ثم مشيت طول حمانا ـ جبل امانوس ـ وقطعت جبل براقو ونزلت الى مدن حماه وافتتحت مدينة اشماك مع تسع وتسعين مدينة اخرى ونهبتها وقتلت سكانها . وحينئذ قام علي اداد يدري ملك دمشق وارحولبني ملك حماه مع اثني عشر ملكاً من ملوك سواحل البحر ليحاربوني ويبارزوني ، فحاربتهم وقهرتهم وقتلت باسلحتي عشرة آلاف رجل من عساكرهم واخذت عرباتهم وخيلهم وآلاتهم الحربية » .

وفي سنة ٨٤٨ حمل على بقر حبوني من اعمال مملكة بيت اديني . وفي سنة ٨٤٧ اغار على يشترتي في ينيتي بالقرب من ينابيع دجلة . وفي سنة ٨٤٦ حمل على سورية حملة قوية وكان جيشه مؤلفاً من ١٢٠٠٠ مقاتل واشتبك بالحرب مع ملك دمشق وحلفائه . وقد قال في احد نقوشه عن هذه الغزوة « اني انتصرت عليهم واخربت عرباتهم وقتلت خيلهم وضبطت آلاتهم الحربية فانهزموا طلباً للنجاة » .

وفي سنة ٨٤٥ حمل على بلاد نيري ونقش صورته على صخرة بقرب احد ينابيع دجلة بجانب صورة تغلات بلاسر الاول . ومن هناك دخل مملكة ارارطو فنهب ودمر وصعد الى ينابيع الفرات حيث غسل سلاحه . وفي سنة ٨٤٤ عبر الزاب الاصغر وتوغل في بلاد نمري فانهزم ملكها مديق الى الجبال فاخذ شلمناصر كنوزه كلها وملك مكانه غيره . وفي سنة ٨٤٣ قام برحلة الى سوريا الشمالية وذهب الى جبل اللكام ليقطع الاخشاب وضرب السريان ضربة قاطعة لان بعض ملوكهم قد حالفوا ملك دمشق . وفي سنة ٨٤٢ زحف على سورية وكان اداد يدري ملك دمشق قد مات وحل محله حزائيل . وقد تحصن هذا في جبل سانير فهاجمه الاشوريون هناك وقاتلوه قتالا شديداً وقتلوا من عسكره ١٦٠٠٠ راجل و ٤٧٠ فارساً وضبطوا ١١٢١ عربة وانهزم مع بقية جيشه وتتبعه شلمناصر حتى مدينة دمشق وكان يقطع الاشجار وينهب القرى في طريقه وتوغل في جبال حوران وغنم غنائم عظيمة ثم نزل الى فينيقية ونقش صورته على ساحل نهر الكلب بجانب صورة تغلات بلاسر الاول ، وادت بلاد فينيقية اليه الجزية وارسل اليه

الياهو ملك اسرائيل هدايا ثمينة ذهبية وفضية .

وفي سنة ٨٤١ رجع شلمناصر الى سورية ووصل الى جبل اللكام حيث قطع منه خشب الأرز . وفي سنة ٨٤٠ زحف على قوا الآرامية وفي سنة ٧٣٩ رجع مرة اخرى الى اتسام وافتتح من مدن حزائيل ملك دمشق اربعاً وقدم اليه ملوك صور وصيدا وجبيل جزيتهم ولم يجرأ حزائيل على مقاومته . وقد ذكر ذلك في احد نقوشه فقال « في السنة الحادية والعشرين من ملكي عبرت الفرات للمرة الحادية والعشرين وحملت السلاح على مدن حزائيل ملك دمشق وافتتحت اربعاً منها واخذت الجزية من صور وصيدا وجبيل » .

ثم وجه شلمناصر همه الى آسيا الصغرى فحمل سنة ٨٣٨ على بلاد التوباليين واخضع فيها اثنين وعشرين ملكاً . وفي سنة ٨٣٧ استولى على قلعة اوطاش في اطراف ملاطية وانقض على بلاد نمري وبارسوا فاخضعها وذلل فيها سبعة وعشرين اميراً ، وفي سنة ٨٣٦ اغار على قيليقية ودمر مدينة تيمور عاصمة قوا وفي سنة ٨٣٥ استولى على مدينتي تناكون وطرسوس . ولم يعد يحارب بنفسه بعد ذلك ولكنه سيّر حملات بقيادة قواد له كان الأشهر منهم هو ترتار ديان اسور .

وكانت اولى غزواته منفرداً لوادي الدجلة الاعلى وجبل ماشا لامتناع امرائها عن اداء الخراج فاخضعهم ثم عبر نهر ارزانيا ــ مراد شاي حالياً ــ ودخل حدود ارارطو وكان ملك المملكة اذ ذاك شاردوريس فقاتله القائد وانتصر عليه . وكانت ثانية غزواته لباتين ــ غربي قرقميش ــ لان اهلها قتلوا ملكهم لوبارنا الخاضع لآشور وعينوا مكانه ملكاً اسمه سوري ، فدخل ديان المدينة عنوة وصلب الملك والرؤساء وملك على المدينة ملكاً خاضعاً . وفي سنة ٨٣١ اغار على بلاد كرخي ونكل بها لامتناعها عن اداء الخراج وفي سنة ٨٣١ اغار على بلاد خربوشكيا ومتاي وبارسوا (في اطراف بحيرة وان) وغنم منها غنائم عظيمة ، وفي سنة ٨٣٠ زحف على موازازير واحرق سبعاً وخمسين مدينة وقرية . ودخل بلاد ارارطو ثانية ونهبها ثم توجه نحو الجنوب وجبى في طريقه الجزية من البلاد الخاضعة ودمر مئتين وخمسين قرية ومدينة من نمري امتنعت عن اداء الجزية .

ولم يغفل شلمناصر عن بابل التي كانت تحاول انتهاز كل فرصة للاحتفاظ بكيانها المستقل ، ولقد قامت فيها فتنة حتى قام اهلها على ملكهم نبو بيلدان وخلعوه ونصبوا

مكانه ابنه مردوخنا وتشما (مردوخ نادان شما) ثم نشب النزاع بين هذا واخيه مردوخ نيلسات فطلب الاول نجدة من شلمناصر فرحب هذا بالفرصة وتدخل في النزاع لجانب الملك في الظاهر وتبعه بسط سلطانه في الحقيقة وقاد حملة وتمكن من الاستيلاء على قلعة تعرف اليوم باسم بعقوبا ودارت الحرب على بيلسات الذي قُتل فيها ، وحينئذ توجه شلمناصر الى بابل ودخلها غانماً منصوراً وعيد فيها عيداً عظيماً للآلهة ودخل هيكل بيل وقدم فيه الذبائح واولم للسكان ووزع عليهم الثياب . وقد رفضت القبائل الآرامية التي على ساحل البحر الدخول في طاعته واخذت تغير على اطراف البلاد وكان من اشهرها بيت دكرري وبيت اوقابي وبيت شيلاني وبيت شلي وبيت بافين فنزل شلمناصر لجهة البحر وحمل اولا على بيت دكوري وحاصر مدينتها بقاني وافتتحها وحرقها ثم على بيت اديني ونهب مدنهم فخافت منه القبائل الاخرى وقدمت له الطاعة . وكانت كلها غنية فأتته بمقدار من الذهب والفضة والنحاس والحديد والعاج وجلد الفيل . وبذلك دخلت مملكة بابل تحت سلطانه مع بقاء مردوخ تادنشما على رأسها كملك صديق او خاضع [1] .

وهكذا اتسعت الامبراطورية الآشورية في عهد شلمناصر الثالث اتساعاً عظيماً وغدا سلطانها شاملا سورية وفينيقية وشرق الاردن وغربه من الغرب والغرب الجنوبي ثم كليكية وبلاد الحيثيين وبين النهرين من الغرب والغرب الشمالي وبلاد اراراط الارمنية وما يقع في منطقتها من شرق الأناضول الى ما وراء بحيرة وان وجميع بلاد العراق بما فيها بابل ثم بلاد عيلام وذكرا ومادي وباسوا ومناى وسائر منطقة بحيرة ارومية من الشرق والشرق الشمالي .

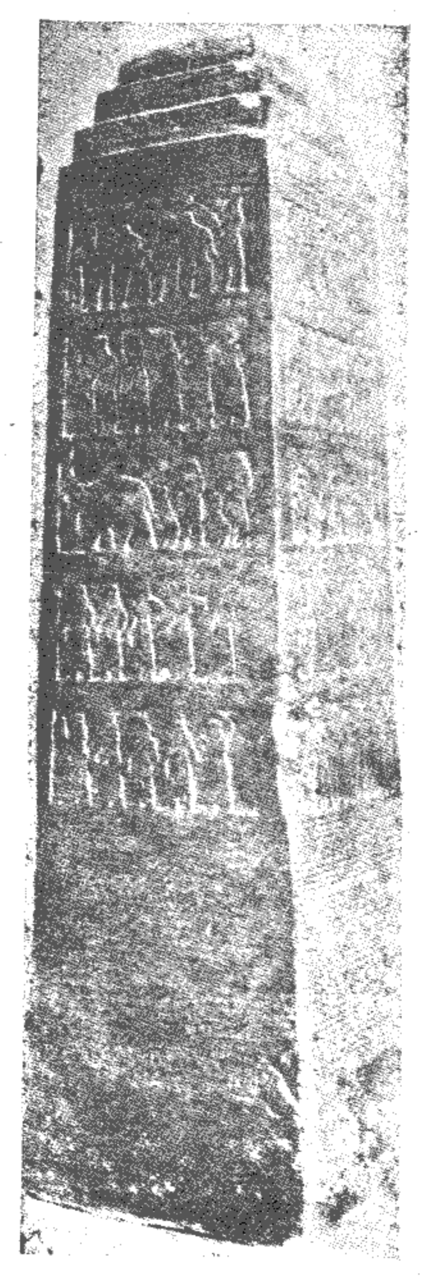
ولما شاخ شلمناصر اراد ابنه اشور دان بال ان يستولي على زمام الحكم في حياته بالرغم عنه فغضب وسلم الزمام لابن آخر له اسمه شمشي داد الذي عرف في التاريخ بالرابع فنشب النزاع والعداء ثم القتال بين الاخوين وامتد نحو ثلاث سنين ثم كتب النصر لشمشي على اخيه وظفر به وقتله واستتب له الحكم بعد ان لحق بالمملكة اضرار كبيرة وتمرد على سلطان آشور اقاليم عديدة اغتناماً للفرصة .

ونقول هنا ما قلناه في سياق سيرة اسور ناصر بال من ان الاسماء والاوصاف التي اوردها ادي شير في سيرته تدل على ان هذه السيرة مقتبسة من منقوشات ومدونات قديمة

«١» حركة شلمناصر تجاه بابل لم ترد في سيرته ولكنها وردت في سياق الدولة البابلية من كتاب تاريخ كلدو واثور لادي شير نفسه ج ١ ص ٣٩–٤٠ .



تمثال ملك آشوري يصدر اوامره لوزيره



مسلة لشلمانصر الثالث ملك أشور

وان لم يورد المؤلف منها الا نبذاً قليلة . وقد عزا ما اورده من هذه السيرة الى المؤلفات التي ذكرنا اسماءها في سياق سيرة اسور ناصربال والتي من المحتمل ان يكون فيها نصوص نقوش ومدونات قديمة .

ولقد جاء في كتاب بابل وآشور [1] نص نقش لهذا الملك جاء فيه ما ترجمته : « في السنة التاسعة لملكي عبرت نهـر الفرات وهي ثامن مرة عـبرته ودمرت مدينتي سنجار وكركميش وصيرتهما مأكلا للنار ثم خرجت لمواقعة ابن حدري [2] الشامي وصخلينا الحموي واثني عشر ملكاً من ملوك الساحل فقهرتهم واستحوذت على كنوزهم وعجلاتهم وعددهم وخيولهم . وفي السنة العاشرة خرجت بمئة وعشرين الفـاً من الجند الى حماه فاخذتهـا واستوليت معها على تسع وثمانين مدينة ، وفي السنة التاسعة عشرة خرجت على حزائيل خليفة ابن حدري فغنمت منه الفاً ومئة وعشرين عجلة واسرت اربعمئة وسبعين فارساً بعددهم ، وفي السنة الموفية للعشرين سرت الى جبال امانوس وقطعت من ارز لبنـان جسوراً حملتها الى آشور ، وفي السنة الثانية والعشرين سيقت الي الجزية من صور وصيداء وجبيل وبعدها وفدت علي الهدايا من ياهو ملك اسرائيل » .

ولقد جاء في الجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية [3] للدبس نص نقش وجد على صحيفة في كورخ ملخصه « إن سنغار ملك كركميش وغيره من الملوك وثقوا بقوتهم وهبوا لمحاربتي فتوكلت على قدرة نركال السامية وعلى الجيوش المظفرة الـتي حشدها إلي آشور سيدي فحاربتهم وشتتت شملهم وبسلت جنودهم (اهلكتها) بالنبال كالاله بالي (اله العواصف والصواعق) وامطرت عليهم طوفان نبـال وافعمت البرية من قتلاهم وذريت جثثهم كالتبن في الصحراء واخذت كثيراً مـن مركباتهم وخيولهم المروضة لجر المركبات واقمت رابية من رؤس قتلاهم على مدخل المدينة ودمرت مدنهم ودفعتها للهيب . »

وقد اورد المؤلف المذكور نص نقش ثان لهذا الملك مدون على مسلة له «٤» وقد قدمه بقوله ان لازمان روى ان سلمناصر بلغ بغزوته الى جبل امانوس (اللكام)واقام

«١»ص٨٩-٩٠ .

«٢» الارجح ان هذا هو الذي ذكره ادى شير باسم (اداد يدري)

«٣» ص٩٥ نقلا عن فيكور ومن كتاب له اسمه مسائل منثوره .

«٤»ص١٩٥-١٩٦

هناك نصباً ذكراً لانتصاره وسار حتى وادي العاصي فضرب جيش المتحالفين الذين تجمعوا هناك فلعبت بهم ايدي سبا وتجندل منهم في ساحة الحرب الفان وستمائة قتيل ووقع اربعة آلاف وستمائة اسير في الأسر فاستاقهم الملك الى نينوى ؛ ولكن لم يزايل ملك اشور بلاد الحيثيين ليضع غنائمه واسراه في مأمن الا وجيش حيثي آخر يتعقب اثره ويسترد المواقع التي كان يغادرها حتى بلغ الفرات فعاد سلمناصر على فنكل بالملوك الذين تجرأوا على معاودة العصيان وكان سنغار ملك الحيثيين قد حصن مدينة من املاكه تسمى سازابي فحاصرها سلمناصر وافتتحها عنوة وكتب على مسلة نصبها ما ترجمته « دنوت من مدينة سازابي احد حصون سنغار ملك كركميش فحصرتها وافتتحتها وقتلت كثيراً من الرجال ، وغنمت غنيمة ثمينة وخربت مدن ولايته واحرقتها وفرضت جزية على سنغار ثلث وزنة ذهب ووزنة فضة وثلاثين وزنة من النحاس ، ومئة من الحديد وعشرين وزنة من النسيج الأبيض والبرفير وخمسة اعراش وابنته مع حلاها ومئة بنت من الأشراف وخمسمائة ثور وخمسة آلاف خروف » ثم يقول « إنه تقدم الى سفح جبل امانوس وفرض على كايانا ملكه وزنة من فضة ووزنة من نحاس ووزنة من حديد وثلاثمائة ثوب من صوف وكتان وثلاثمائة ثور وثلاثةآلاف خروف ومئتي جائز (فسرها المؤلف بانها عوارض خشبية) من الارز وبناته مع حلاهن ؛ ثم يقول المؤلف « وجاء في الخطوط المنقوشة على الثيران التي اقامها في قصره في نينوي ــ اي تماثيل الثيران المجنحة ــ انه افتتح في احدى حملاته سبعاً وثمانين مدينة من بلاد سنغار ملك الحيثيين .

وقد اشار المؤلف الى نقش ثالث من نقوش هذا الملك وقدمه بقوله إن سلمناصر بعد ان اشتغل مدة في الحرب في بلاد ارمينيا سولت له نفسه ان يخضع لملكه سورية الوسطى ايضاً فعبر الفرات مرة اخرى واستوفى الجزية من ملك كركميش وباقي الخاضعين له في سورية الشمالية وسار الى وادي العاصي فتألب عليه ايركولينا [1] ملك حماه وابن هدد الاول ملك دمشق وعصابة كبيرة من فصائل الحيثيين فكان المتحالفون عليه اثني عشر ملكا من جملتهم اصاب ملك اسرائيل فاستعرت نار الحرب في كركر وكان النصر لسلمناصر ؛ فكتب في آثاره « انه قتل من الاعداء (١٤٠٠٠) ومع هذا جمع ابن هدد بقايا عسكره واضرم نار الحرب ثانية فلم يصادف نجاحاً ايضاً بل ترك في ساحة القتال عشرين الف وخمسمائة قتيل وانهزم نحو البحر وركب سفنا مع بعض قادته فاتبعه

«١» في مكان اخر جاء هذا الاسم بصيغة ارحوليني

سلمناصر وقد تفاخر بانه لحقه مع جنوده في وسط تيار البحر لكنه لم يدركه » .

واشار المؤلف الى نقش رابع لهذا الملك جاء في ترجمته [١] « في غزوتي الثامنة عشرة عبرت الفرات للمرة الواحدة والعشرين وسرت بجنودي على مدن حزائيل ملك دمشق واخذت الجزية من صور وصيدا وجبيلى » .

وفي المجلد [٢] الذي عقده المطران الدبس على تاريخ العبرانيين نصوص نقوش عديدة لسلمناصر ايضاً ؛ منها ما قرىء على لوح عثر عليه عند منبع دجلة وقد جاء في ترجمته « اني في السنه السادسة لملكي رحلت عن نينوي وجاوزت دجلة واخذت الجزية من ملوك غربي الفرات فضة وذهباً ونحاساً ورصاصاً وزحفت من عدوة الفرات الى مدينة هلمان (ويفسرها المؤلف بحلب) فخاف اهلها الحرب وترامو على رجلي فاخذت جزية منهم فضة وذهباً وسرت من هلمان الي ايركوليني ملك حماه واخذت ادينا وبرغا وارغانا حاضرة ملكه واستحوذت على اثاثه واموال قصره واحرقت دوره وزحفت من ارغانا الى كركر فدمرتها واحرقتها وكان في معسكرهم ١٢٠٠ مركبة و ١٢٠٠ فارس و ٢٠٠٠٠ راجل من قبل ابن هدد ملك دمشق ثم ٧٠٠ مركبة و ٧٠٠ فارس و ١٠٠٠ راجل من ايركوليني ملك حماه ثم ٢٠٠٠ مركبة و ١٠٠٠٠ راجل من احاب ملك سرلاي (اسرائيل) ، ثم يقول المؤلف انه ظل يعد باقي جيوش هؤلاء الملوك المتحدين ؛ حيث يدل على انه لم يورد ترجمة النقش كله .

وفي المجلد الآنف الذكر [٣] ذكر نقش آخر من نقوش هذا الملك في صدره حروبه مع سورية واليهود ترجمته « في السنة الثامنة عشرة لملكي عبرت الفرات المرة السادسة عشرة وكان حزائيل ملك سورية اعتمد على قوة جيشه ألب جنوده جمعاً غفيراً وتحصن في سانيرو في قمة الجبل المقابل للبنان فحاربته وكسرته كسراً تاماً وابدت بالسلاح ستة عشر الف من عساكره وغنمت منه الفاً ومئة واحدى وعشرين مركبة واسرت اربعمئة وسبعين فارساً مع ذخائرهم (جهازهم على الارجح) وفر هو لينجو من البوار فاتبعته الى دمشق حاضرة ملكه وحاصرتها وقطعت اشجارها وسرت الى جبال حوران ودمرت مدناً تشذ عن العد واحرقتها واخذت منها اسرى لا عداد لهم ، وفي هذه الايام اخذت

«١» المجلد الاول الجزء الاول ص ٣٠٦

«٢» ص ٤٢٦–٤٢٧

«٣» ص ٤٤٩

الجزية من صور وصيدا ومن ياهو بن عمري (ملك اسرائيل) .

وفي المجلد نفسه [1] اشارة الى انه عثر على مسلة عليها صورة سلمناصر وبجانبه رجلان من عظماء مملكته يحمل احدهما مظلة ويقدم الآخر اليـــه سفراء الملوك حاملين التقادم والجزيات وبين هؤلاء السفراء رجل يقبل الأرض خاراً امام الملك ومن ورائه وفـــد يقدمون تقادمهم للعاهل الآشوري وفي اعلى المسلة صورة ايلو الالـــه السامي (العربي) وقد نقش على اسفلها هذه الكلمات « جزية ياهو بن عمري) وصور على الوجه الثـــاني والثالث والرابع من المسلة صور التقادم محمولة على اكتاف اسرائيليين او اكفهم ونقش تحتها « جزية ياهو بن عمري فضة وذهب وسبائك ذهب وآنية ذهبيـــة واثاث ملكي وصولجان ليد الملك وعصا من ذهب ، وهذا ما اخذته » وقد خط على هذه المسلة ذكر حملة اخرى غزا بها سلمناصر حزائيل ملك دمشق في السنة الحادية والعشرين لملكه وهذه ترجمة النقش « في السنة الحادية والعشرين لملكي عبرت الفرات المرة الثانية عشرة وزحفت الى مدن حزائيل واخذت حصونه واستوفيت جزية صور وصيدا وكوبل (جبيل) » وهذه المسلة تعرف بمسلة نمرود وهي محفوظة في المتحف البريطاني ولها مثال في متحف اللوفر في باريس على مايقول المؤلف الذي اسهب في تاريخ سلمناصر مع فينيقية واسرائيل وعزا ما اورده من احداث ونقوش الى لانرمان الذي يرجح ان ما ذكره من احداث مستند كذلك الى نقوش .

ولقد اشار الدكتور جواد علي [2] الى نقوش عديدة لهذا الملك ممـــا له صلة بتاريخ العرب قبل الاسلام وصلاتهم مع الآشوريين ومما فيها احداث اوردها ادي شير كذلك.

وكل هذا يؤيد كما هو المتبادر ما قلناه من استناد ادي شير في مـــا اورده من سيرة هذا الملك الى النقوش .

ولقد اجتهد شمشي داد الرابع الذي استتب له الحكم كمـــا ذكرنا قبـــل في حفظ المملكة العظيمة الـــتي خلفها ابوه على مـــا يستفاد من سيرته التي اوردها ادي شير [3] ولقد كان الماديون والسريان ـــ يعني الآراميين ـــ وسكان بلاد نيري وغيرهم انتهزوا فرصة النزاع بينه وبين اخيه فامتنعوا عن اداء الخراج ، فاغار اولا على نيري واخضعها

«١» ص ٤٤٩ — ٤٥٠

«٢» تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٢٩٩ — ٣٠١

«٣» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ٧٤ — ٧٥

وسير حملة بقيادة قائد له اسمه متريز اسور الى ارارطو فدمر ثلاثمائةمدينة وقرية ، ثم سار القائد بعد ذلك الى بلاد ايران فاغار على ميزي فتحصن سكانها في الجبال فحمل عليهم واثخن فيهم ومن هناك هجم على كزيل بوندا وافتتح عاصمتها اوراش وقتل من محاربتها ستة آلاف ثم توغل في مادي وقتل منها خلقاً كثيراً ومن هنا رجع الى بلاد ازرياش فأتاه امراؤها العشرون وسلموا له طوعاً .

وممن اغتنم الفرصة ملك بابل ؛ وقد اغار شمشي داد على مملكته وقتل وسبى وضبط مدناً كثيرة واجبر الملك على الرضوخ لسيادة آشور كما كان . وعاد باوخدان الذي صار اليه العرش البابلي الى التمرد فاغار عليه الاثوريون ثانية واستمرت الحرب اكثر من سنة ومات شمشي داد في اثنائها .

ولما آل العرش الى ابنه اداد نيراري زحف على بابل على ما يستفاد من سيرته في تاريخ كلدو وآثور [1] وانتصر على الملك المتمرد واسره ونفاه الى نينوى ووطد سيادة آشور ثانية على بابل .

وحاولت سورية وفينيقية وفلسطين وبلاد مادي واراراط التمرد على آشور فزحف عليها واحدة بعد اخرى وسنة بعد سنة وتمكن من اخضاعها وقد وجد له نقش جاء فيه « اني حملت على بلد دمشق وحبست ملكها ماري في دمشق عاصمته ، فان خوف جلالة ربي آشور اسقطه على الارض فخر قدام رجلي مقراً بسلطتي وفي مدينة دمشق نفسها عاصمته وفي قصره ، واخذت منه ٢٣٠٠ وزنة فضة و ٢٠ وزنة ذهب و ٣٠٠٠ وزنة نحاس و ٥٠٠٠ وزنة جديد وثياباً مزركشة وسريراً من عاج وعرشاً من عاج واخذت جميع كنوزه وثروته » .

وفي المجلد الخاص بالعبرانيين للمطران الدبس [2] اشارة الى نقش لهذا الملك قرىء على جدار قصره ، ويبدو ان هذا النقش هو نفس النقش السابق لانه يحتوي نفس الأرقام غير ان فيه تفصيلا اكثر وهذا ترجمته « نيرار الملك العظيم الملك القدير ملك ارض آشور الملك الذي اتخذه آشور ملك الآلهة السبعة ابناً له ، من جهة الفرات اخضعت ارض الحثي وارض اهاري على اتساعها صور وصيدا وارض عمري (مملكة اسرائيل)

«١» ج١ ص ٧٦

«٢» ص ٤٥٧ — ٤٥٨

وبلاد الفلسطينيين حتى البحر الكبير في مغرب الشمس وفرضت عليهم الجزية ، وغشيت ايضاً ايمروسو لمحارية مريحا ملك ارض ايمروسو وحصرته في دمشق عاصمة ملكه ودوخته مهابة عظمة اشور سيدى فترامى على قدمي وجاهر بتذلله وخضوعه »ثم ذكرما اخذ منه مطابقاً للارقام السابقة .

ولقد ذكر سفر الملوك الثاني من اسفار العهد القديم ما لاسرائيل صلة به من هذه الأحداث حيث ورد فيه ان محكمة اسرائيل مناحيم بن جاري ادى لهذا الملك جزية مقدارها الف وزنة من الفضة .

وكانت الامبراطورية الأشورية في زمن هذا الملك تشتمل من الشرق على بلاد عيلام ومادي وباسرا ومناي ومن الشمال على بلاد نيري واراراط ومن الغرب على بلاد الحيثيين والعموريين والاراميين وفينيقية واسرائيل وآدوم ومن الجنوب على مملكة بابل .

وقد الم بالامبراطورية بعد هذا الملك شيء من الوهن ؛ فتمردت اراراط ثم استطاعت ان تبسط سلطانها على قسم كبير من الاقاليم الجنوبية المجاورة لها ، وحاول سلمناصر الرابع الذي تولى العرش بعده تلافي الخرق فلم يستطع فاستتب السلطان لمملكة اراراط على جميع المنطقة الشمالية الجبلية ؛ وتحرك الحيثيون واستقلوا ؛ واخذت علائم التمرد تبدو في سورية وفينيقية ، واستمر الوهن في اسرحدون الرابع الذي خلف سلمناصر الرابع ؛ فكان مما فسح المجال لمملكته اراراط لتقوى وتشتد وتمد سلطانها الى اقاليم اخرى في شرقها وغربها وجنوبها ، كما فسح المجال للحيثيين فاخذوا يقوون ويتبسطون في سورية وخلف اسرحدون الرابع اشور نيراري ، وكان هو الاخر ضعيفاً جباناً فثارت عليه نينوى وخلعته سنة (٧٤٥) وبايعت زعيم الثورة الذي عرف باسم تغلات بلاسر (تغلاة بيل اشور) الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق) بالسلطان فكانت هذه الحركة منقذة للامبراطورية لان هذا الزعيم استطاع ان يجدد قواها ، ويستأنف عهد مجدها [١] .

- ٧ -

وليس هناك ما يساعد على القطع بهوية هذا الزعيم ، ويترجح رأي الباحثين بين كونه من امراء الاسرة المالكة او من قواد الجيش البارزين .

وقد سلك على ما يستفاد من سيرته التي اوردها ادي شير [٢] اسلوباً جديداً مع

«١» تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ٧٧ - ٧٩

«٤» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ٨٠ - ٨٦ .

الاقاليم التابعة لسلطان آشور حيث صار يولي ولاة من رجاله ويقيم فيها حاميات في حين كان اسلافه يكتفون بالفتح والنهب وفرض الخراج .

ومما ذكره المؤلف المذكور من سيرته ان اول اعماله كان تأديب القبائل الآرامية الذين كانوا يتحرشون ويتمردون على آشور كثيراً . وقد امتدوا شيئاً فشيئاً على سواحل القنوات المحفورة بين الدجلة والفرات واحتلوا ايضاً سواحل الدجلة في حدود عيلام وصار لهم ممالك صغيرة كثيرة مستقلة عن بابل اشهرها بيت دقوري وبيت اموقاني وبيت شيلاني وبيت شلما ونبطا وبوقودا وكمبولا وايتوعا ؛ وكان الايتوعيون قد قووا بنوع خاص واحتلوا سواحل الزاب الاصغر ، وصاروا يغيرون على آشور وينقصون من اطرافها كلما سنحت لهم الفرصة ؛ فبدأ تغلات بهم واثخن فيهم واقصاهم عن سواحل الزاب وتمكن من ضبط كل البلاد التي كانوا مستولين عليها في شرق دجلة . ثم عبر النهر وزار مدن نيبور وسبارا وبابل وكاتا وكيشو وديل بات واوروك ليظهر فيها قوته وقرب فيها القرابين لبيل وزربانيت ونبو ونركال ، وقدم له ملك بابل نبو ناصر الطاعة وحذا حذوه جميع امراء القبائل الآرامية ، ولم يتعرض لحرية بابل واكتفى بان يكون له سيطرة عليها .

وفي سنة ٧٤٤ اغار على نمري واخضعها ومنها توغل في بلاد مادي مما لم يكن اسلافه قد وطأوه قبل فاستولى عليها وجعل منها ولاية آشورية وولى عليها والياً اشورياً ورجع الى كالح مستاقاً ٦٠٥٠٠ أسير وغنائم لا تحصى من الثيران والغنم والجمال والبغال ، وفي نفس الوقت كان قائد له اسمه اسور ديناني يتوغل في الجبال المحيطة ببحر قزوين ، وقد دب الذعر في تلك الأقطار فتقاطر عليه جميع ملوكها مقدمين الولاء والهدايا .

ثم اخذ يوجه همه الى اراراط ، وكانت هذه المملكة قد قويت واتسعت جداً ونقل ملوكها سرير الملك الى مدينة دوسبان — وهي وان الحالية — واستولى على بلاد ملاطية والحيثيين وجميع الممالك التي بين الفرات والبحر المتوسط اي على بيت اكوسي وقرقيش وكوكم وكماجين وشمأل وكيليكية ؛ وكادوا يمدون سلطانهم الى حماة ودمشق . وقد عبر تغلات في سنة ٧٤٣ الفرات وظهر تحت اسوار ارباد عاصمة اكوسي — قرب جبال الأمانوس — وكانت حصينة للغاية ولها السطوة على جميع البلاد التي بين الفرات وجبل حمانا — الامانوس — ولكنه علم ان شار دوري ملك اراراط مقبل اليه بجيوشه الجرارة فاسرع الى لقائه والتقى به في كماجين بالقرب من الفرات ، وكان عدد جيوشه اكثر

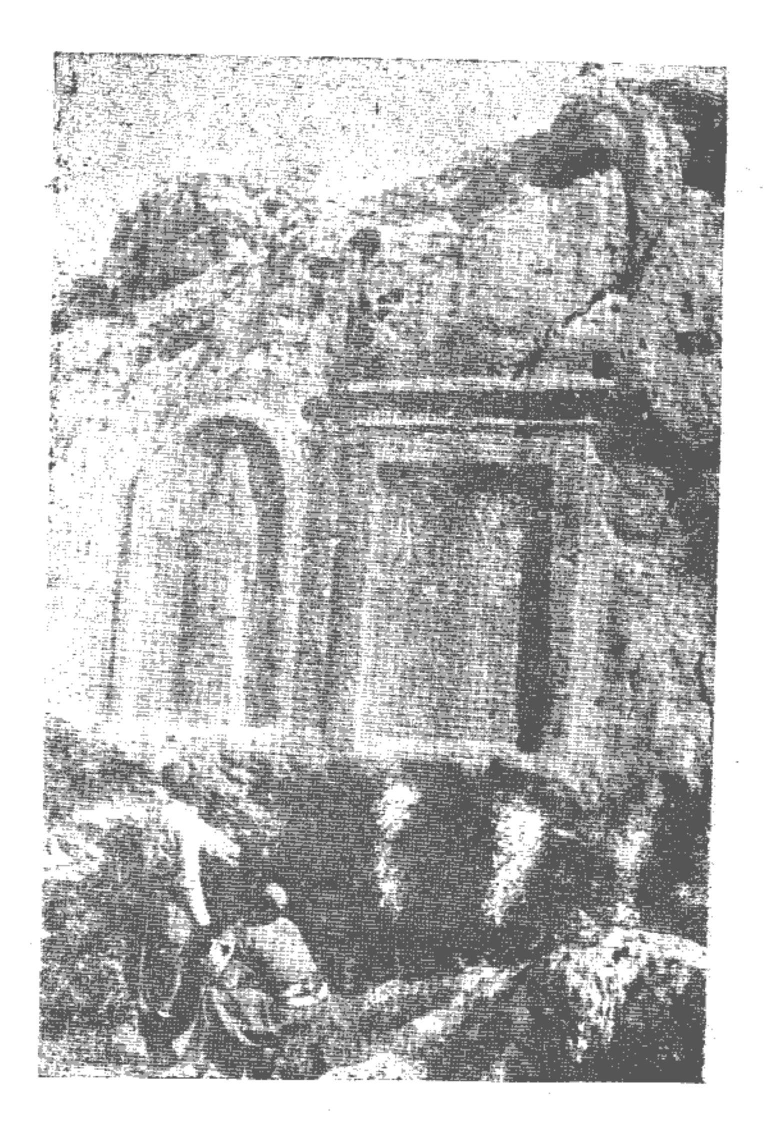
من عدد الجيوش الآثورية لانه كان فيها جيوش البلاد التي يسيطر عليها بقيادة ملوكها، وكان القتال شديداً . ودارت الدائرة عليها مما جعل شاردوري يـترك عربته ويركب حصاناً ويفر الى ان دخل بلاده .

وبلغ عدد الأسرى والقتلى من جيشه نحو (٧٣٠٠٠) وضبط الآثوريون كل ما كان في معسكره من عربات وحصن ومعدات ، وقد بقيت خيمة الملك منصوبة وفيها حليته الملوكية وعرشه فاحرقها تغلات اكراماً لآلهته ؛ وعاد الى نينوى .

فلما كان ربيع سنة ٧٤٣ خرج قاصداً سورية ، وكان ماتيلا ملك الاكوسيين قد تحصن في عاصمته ارباد فحاصره ثلاث سنين حتى افتتحها ، وقد كان الذعر دب في قلوب جميع الملوك المجاورين فتقاطروا اليه وسجدوا له وقدموا لـه هداياهم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وعاج وارجوان . وكان مـن جملتهم كوشتاشبي ملك كموجا وترحولار ملك كركم وبيريز ملك قرقيش واورباك ملك قوا ، وقد ارسل حيرام الثاني ملك صور وراسين ملك دمشق وفودهما اليه لتهنئته بالنصر ، وتخلف توتاما ملك اونقي عن تقديم طاعته فزحف عليه واستولى على عاصمته كينالوا ونهبها وولى عليها وعلى بيت كوسي ولاة آثوريين .

وفي سنة ٧٣٩ حمل على اراراط التي لم يظفر بملكها ، وقد استولى على قسم عظيم من بلاد نيري التي كانت تحت سلطانه ، وبينما كان يتأهب للتوغل في اراراط بلغه خبر حركة تمردية في سورية حيث تحالف عازر ياهو ملك يادي مع تسعة عشر ملكاً مـن ملوك البلاد الممتدة من حماة الى البحر المتوسط ومن كيليكية الى دمشق فاسرع الى هذه الناحية ونكل بها وسبى من اهلها خلقاً كبيراً واسكن مكانهم الأسرى الذين اسرهم من نيري وجعلها ولايات آثورية واقام عليها ولاة اثوريين . وحينئذ سارع ثمانيـة عشر من ملوك السريان ـ يعني الآراميين ـ وغيرهم من ملوك البلاد ومن جملتهم ملك صور وملك حماه وملك ميليدا ـ ملاطيـة ـ وملك الثوبال وزبيبي ملكة العرب ومناحيم ملك اسرائيل ورسين ملك دمشق الى اعلان ولائهم وتقديم هداياهم .

وقد ثارت في هذه الأثناء بـلاد نيري ولولومي ففتك الولاة الاثوريون بالعصاة وارسلوا جماً غفيراً من السبايا الى تغلات فوزعهم على بلاد اخرى ؛ مما ادى الى كسر شوكة البلاد الثائرة .

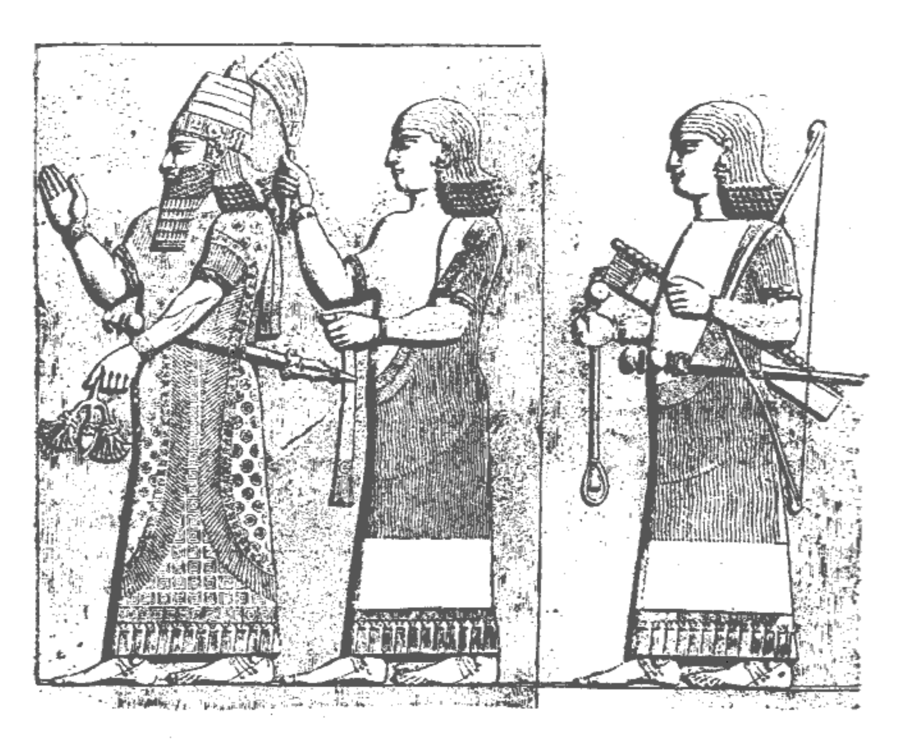


نصب تذكري لاحد ملوك أشور

في مضيق نهر الكلب



رسم يمثل حصار الأشوريين للمدن منقول عن آثارهم



موكب الملك سرجون الأشوري

وسرى العصيان الى مادي بتحريك ارارطو فحمل عليها تغلات سنة ٧٣٧ وقتل من اهلها مقتلة عظيمة وتتبع بعض الملوك المنهزمين الى الجبال وقبض عليهم وظل يحارب ويبطش حتى دان له جميع ملوك هذه البلاد . وكان يقيم انى ذهب اعمدة تذكارية لانتصاراته .

وفي سنة ٧٣٥ حمل على ارارطو وظهر فجأة تحت اسوار دوسبان عاصمتها وكانت حصينة جداً ؛ والطريق اليها عسيراً جداً وتحته هاوية عميقة ، فاخذ الآثوريون يقطعون اشجار البساتين ويدمرون القصور والمنشآت في ضواحي العاصمة والمدن الاخرى ويقتلون ويسبون من يقع في ايديهم .

وقد ذكر الاصحاح الخامس عشر من سفر الملوك الثاني ان ملك آشور فول جاء الى الأرض فاعطاه مناحيم ملكها الف قنطار فضة لتكون يده معه ويقره في الملك ؛ ومناحيم اخذ الملك عنوة بعد قتله الجالس على عرش دولة اسرائيل ، وظروف حكمه مصادفة لظروف حكم تغلات بلاسر هذا ؛ حيث يرجح انه هذا هو المقصود ، وقد ذكر الاصحاح نفسه ان تغلات غزا اسرائيل واستولى على منطقة واسعة من شمالها وشرقها وكان ملكها اذ ذاك فاقيح الذي اخذ الملك عنوة بعد قتله الجالس على العرش وهو ابن مناحيم حيث يحتمل ان يكون فعل هذا انتقاماً من فاقيح لعدوانه على ملك يعد في حمايته ؛ وحيث يفيد الخبر على كل حال ان فلسطين كانت من جملة ما دخل في سلطان هذا الملك .

وقد ذكر الاصحاح السادس عشر من السفر نفسه ان آحاز ملك يهوذا ارسل يستنجد بتغلات ايضاً لان رصين ملك دمشق وفاقيح ملك اسرائيل تحالفا وزحف على بلاده قائلا له : انا عبدك فتعال وخلصني من يدي ملك آرام وملك اسرائيل وارسل اليه جميع ما في خزائنه وخزائن المعبد من ذهب وفضة حيث يفيد الخبر كون دولة يهوذا كذلك كانت تحت سيطرة آشور . وقد سار تغلات الى نجدته وارسل جيشاً الى اسرائيل وصلت بعض كتائبه الى الممالك الفلسطينية في جنوب فلسطين ودخلت غزه ونهبتها وهرب ملكها حنون الى مصر وكان راسين ملك دمشق قد تحالف مع موتون الثاني ملك صور وميتيني ملك اشقالون [1] وشمسي ملكة عريبي . وتحصن هو في جبل لبنان الشرقي فهاجمه تغلات فانهزم الى دمشق فحاصرها الآثوريون الى ان افتتحوها وقتلوا رسين واسروا

«١» غزه واشقالون – عسقلان اليوم – من ممالك الفلسطينيين المديدة التي كانت في جنوب فلسطين .

ثمانية آلاف وارسلوهم الى قبر وغدت دمشق ولاية آشوريه على رأسها وال آشوري .

وقد هرب ملك اشقالون الى مصر كما فعل ملك غزه فملك الآثوريون عليها رجلا اسمه روقيبتا تعهد بالخضوع لهم ، وقام اليهود على فقح ملك اسرائيل وقتلوه وبايعوا ملكاً غيره اسمه هو شارع فاقره تغلات بعد ان تعهد بالخضوع وقدم كمية كبيرة من الفضة وعشر وزنات من الذهب .

وتوغلت شمسي ملكة العرب في الصحراء فتعقبها الآثوريون وانتصروا عليها فكان لذلك رنة عظيمة في كل بلاد العرب وتقاطر الى تغلات ملوك ميشا وتيما وسبا وعيفه واوياثبل ويدانا وقدموا اليه ولاءهم وهداياهم ثم حذت شمسي حذوهم ؛ وبينما كان ريجش الآثوري يتوغل في بلاد العرب ويخضعها كان تغلات في دمشق مشغولا في تدبير البلاد السورية وقد جاءه فيها خمسة وعشرون ملكاً ليسجدوا له ويقدموا اليه هداياهم النفيسة .

وكان تغلات يعتزم السفر الى مصر ليخضعها ايضاً ولكنه علم بثورة قامت في بابل حيث دخل اوكنزير ملك بيت اموقاني الآرامي بابل وقتل ملكها نبو شمشكين وحل محله فسارع الى العودة ثم زحف على بابل ودخلها واسر الملك الجديد ؛ ووضع يده بيد تمثال الاله بيل ونادى بنفسه ملكاً عليها ، وصار يلقب بملك آثور واكد وسومر والاقاليم الاربعة ، ولم يلبث بعد ذلك الا قليلا حتى وافاه أجله .

وهكذا تجدد مجد الامبراطورية على يد هذا الملك حتى كاد ان يفوق امجادها السابقة ولقد جاء في نقش من نقوشه[1] : « إنه اصاب قبيلة على حدود مصر عليها ملكة اسمها حبيبه فخلعها واقام رجلا من خاصته مكانها . وقد ذكر في هذا النقش اسماء اثنين واربعين شعباً وملكاً خضعوا لسلطانه من مجرى الزاب الى الفرات ومن بلاد الحيثيين الى البحر الأسود .

وغدا سلطان الامبراطورية يشمل ثانية بلاد مادي وبابل وارمينية وآسية الصغرى وسورية وفينيقية وبلاد العرب ، وتمتد من بحر قزوين وعيلام وخليج البصرة شرقاً الى البحر الابيض والبحر الأحمر وحدود مصر غرباً .

والارقام والأعلام الواردة في السيرة التي اوردها ادي شير ونقلناها عنه

«١» العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وما بعد .

تدل كما هو المتبادر كذلك على انها مقتبسة من منقوشات ومدونات قديمة كما هو شأن الملوك السابقين ، ولم يشر هو الى ذلك وانما ذكر المصادر التي اقتبس منها وهي كتاب تاريخ سني ملوك آثور لميتان والمجلة الاسيوية الافرنسية المجلد الخامس ٤٤١ ـ ٤٧٢ ومجلة الكتاب المقدس وماسبرو . ونرجح ان في هذه المصادر نصوص نقوش او مدونات قديمة اقتبس ادي شير منها .

ومن الجدير بالذكر ان سفر الملوك الثاني (الرابع في الطبعة الكاثوليكية) وسفر أشعيا من اسفار العهد القديم قد ذكرت احداثاً كانت بين مملكة اسرائيل وتجلاتفلاصر متصاقبة مع ما ذكره ادي شير كما ان المطران الدبس اسهب في ذكر هذه الأحداث في المجلد الذي كتبه عن العبرانيين بما يتطابق مع ادي شير ايضاً منها ما عزاه الى اسفار العهد القديم ومنها الى مؤلفين اجانب منهم فيكورو [1]، ولقد اشار بالاضافة الى ذلك الى نقوش على الواح محطمة لهذا الملك فيها كثير من سيرته ، منها ما ترجمته [2] « اخذت جنوده وابدتهم بالسيف . وساقة مركباته ـ وكسرت اسلحتهم ـ واخذت خيولهم ورجال حربه حاملي القسي والدروع والحراب . اما هو ففر ليقي نفسه ودخل في باب مدينته الاكبر ، وقبضت على قادة جيشه احياء وعلقتهم على صلبان ، وحاصرت مدينة دمشق وضايقت عليه كعصفور في قفص ومن اشجار مدينته التي تشذ عن العد لم ابق شجرة » ويكمل المؤلف من عنده فيقول وما يقوله مقتبس من النقش كما يبدو « ثم ذكر ما فتحه ودمره من المدن في انحاء دمشق وعدد من جلاهم منها وقال انه خرب ستة عشر عملا من اعمال سورية واسترسل الى ذكر شمسي ملكة العرب قائلا انها كانت تعبد الشمس .

وقال المؤلف ايضاً [3] : وكتب على صحيفة اخري محطمة ايضاً «انه اخضع سيميرا (بين ارواد وطرابلس حسب تفسير المؤلف) وعرقا وتوليت مدن جلعاد وابل ومعركة التي هي تخم ارض بيت عمري واخضعتها على اتساعها لمملكة آشور واقمت قادة جنودي حكاماً فيها . وحنون ملك غزه انهزم من وجه جنودي الى مصر فاخذت غزة وغنمت كنوزه وآلهته ونصبت تمثالي الملكي .. واخذت الجزية ، واخضعت سكان ارض بيت

«١» ص ٤٦٠-٤٧١

«٢» المصدر نفسه ص ٤٦٧-٤٠٨

«٣» المصدر السابق ص ٤٦٨

عمري وجلوت اوجه قومهم الى بلاد آشور مع اموالهم . وامرت بقتل فاقيح ملكهم . واقمت هوشع بمنزلة ملك عليهم واخذت منهم عشر وزنات ذهب والف وزنة فضة ، وذكر المؤلف [1] ان هذا الملك كتب في آخر حياته كتابة تباهى فيها وقال ما ترجمته « انا هو الملك الذي هزمت اعدائي من شرق الشمس الى مغربها ودوخت البلاد ودانت لي القبائل وحكمت في رجال الجبال والسهول وخلعت الملوك واقمت نوابي مكانهم ...

ولقد اشار الدكتور جواد علي [2] الى نقوش خلفها هذا الملك وذكر ما فيها من عبارات تتصل بتاريخ العرب قبل الاسلام مما فيه مطابقة مما اورده ادي شير في سيرته . وفي كل هذا توكيد لما ذكرناه .

- ٨ -

ولقد خلفه على العرش حينمات سنة ٧٢٧ ق م ملوك معظمهم اقوياء فكان ذلك عاملا في احتفاظ الامبراطورية الأشورية بما صارت اليه من عظمة شأن وانبساط سلطان نحو مئة سنة وهم [3]

١ ـ سلمناصر الخامس ابن تغلات بلاسر	٧٢٢_٧٢٧
٢ ـ سرجون الثاني	٧٠٥_٧٢٢
٣ ـ سنحاريب ابن سرجون	٦٨١_٧٠٥
٤ ـ اسور حدون ابن سنحاريب	٦٦٧_٦٨٠
٥ ـ اشور باني بال ابن اسور حدون	٦٢٨_٦٦٧
٦ ـ اشور بيل ياني ابن شور باني بال ٧ ـ شيشار سكين « « «	٦٠٨_٦٢٧

ومما ذكره ادي شير [4] من سيرة شلمناصر الخامس ان مصر حركت اسرائيل وفينيقية فسارع هذا الملك على رأس جيشه الى فلسطين فبادره الفينيقيون بتقديم الطاعة ، وفعل هوشع ملك اسرائيل مثلها وقدم له هدايا كثيرة ، ولما عاد الى نينوى عادت مصر الى التحريك فاستجاب لها هوشع ثانية وفي هذه الاثناء خرجت فينيقية

«١» المصدر السابق ص ٤٦٨
«٢» تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٣٠١ - ٣١٢
«٣» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ٨٦ - ١٣٥
«٤» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ٨٦ - ٨٨

ايضاً فقسم سلمناصر جيشه الى قسمين قاد احدهما الى فينيقية ووجه ثانيهما الى اسرائيل حيث ضرب الحصار على السامره عاصمة اسرائيل . وقد تمكن هو من اخضاع جميع فينيقية عدا صور التي كانت متحصنة بالبحر ؛ وقد جاول غزوها من البحر فاخفق بسبب تفوق الصوريين في عمل البحر حتى لقد استطاعوا ان يأسروا من رجاله خمسمائة . وحينئذ ضرب عليها الحصار ايضاً وعاد الى نينوى حيث توفي في ظروف غامضة ولقد ذكر المطران الدبس «١» هذا الملك في سياق ذكره الأحداث التي كانت بينه وبين فينيقية واسرائيل بما يتطابق مع النبذة المجملة التي اقتبسناها من تاريخ كلدو واثور عازياً الى لانرمان والى يوسيفوس اليهودي والى سفر الملوك الرابع [٢] .

- ٩

ولا تعرف نسبة سرجون الذي يسميه ادي شير شيركينا كما سمي اول ملك بهذا الاسم الى سلمناصر ، ويترجح الرأي بين كونه من الاسرة او من القواد .

ويعد هذا الملك من اعاظم ملوك آشور نشاطاً وحيوية واقداماً ، ومما ذكره ادي شير من سيرته [٣] ان البابليين خلعوه من ملك بابل ونصبوا عليهم مردوخ بيلدان الثاني ملك بيت ياقين الذي كان خاضعاً لأشور . وقد تحالف هذا مع ملك عيلام ضد آشور وارسل هذا جيشه الى بابل ليكون الى جانب جيشها فزحف سرجون على بابل وتمكن من الانتصار على الجيوش المتحالفة ونكل بالبابليين .

وفي عهده طلب ملك صور الأمان بعد ان اجهدها الحصار فمنحه لها على شرط اداء الجزية . وكذلك تمكن القائد الأثوري المحاصر للسامرة من فتحها وتقويض مملكة اسرائيل . وقد سبا من سكانها (٢٧٢٨٠) الى العراق فاسكنهم سرجون في مدن مادي وصلح وكوزان ووادي الخابور وارسل اقواماً من كوثا وعادا وغيرها الى السامرة فاسكنهم فيها محل المسبيين ، وغدت اسرائيل سنة ٧٢٢ ق م ولاية آثورية عليها وال آشوري .

وقد ذكر سفر الملوك الثاني (الاصحاح السابع عشر) خبر تقويض اسرائيل في عهد

«١» الجزء الاول من المجلد الاول تاريخ سورية ص ٣٠٩ ومجلد العبرانيين ص ٤٧١ .
«٢» ان الطبعات الكاثوليكية للعهد القديم تجعل اسفار الملوك اربعة بينما تجعلها الطبعات البروتستانية اثنين
«٣» تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ٨٨-١٠١

ملكها الاخير هوشع . وقد جاء في هذا الاصحاح « وصعد شلمناصر[1] ملك آشور الى اسرائيل فصار له هوشع عبداً ودفع جزية له . ووجد ملك آشور في هوشع خيانة ، لأنه ارسل رسلا الى سوا ملك مصر ولم يؤد جزية الى ملك آشور حسب كل سنة فقبض عليه ملك آشور واوثقه في السجن وصعد ملك آشور على كل الأرض وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنين ،وفي السنة التاسعة لهوشع اخذ ملك آشور السامرة وسبى اسرائيل الى آشور واسكنهم في جلح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي » وقد ذكرنا قبل ان سلمناصر ضرب الحصار على السامرة وعاد الى نينوى فتوفي فيها فيكون سقوط اسرائيل في عهد سرجون الثاني الذي خلفه ، وفي مجلد العبرانيين للمطران الدبس[2] انه وجد لسرغون اثران يؤيدان ذلك جاء في اولهما « انا حاصرت مدينة سامريتانا واخذتها وجلوت ٢٧٢٨٠ من سكانها واخذت خمسين مركبه حربيــة حفظتها لنفسي وتركت اموالها لجنودي ووليت عليها نوابا عني وفرضت عليها الجزية الــتي كانت تؤديها الى الملك السالف . وجاء في ثاني الأثرين وهو محطم ولكن الباقي منه واف بالغرض: «في بدء ملكي حاصرت وفتحت السامرة وجلوت ٢٧٢٨٠ من سكانها وحفظت خمسين مركبة لجانبي الملكي ، واتيت الى مكان مــن جلوتهم بسكان من البلاد التي ملكتها وفرضت عليهم جزية كجزية الآشوريين .

ولقد جاء في سفر عزرا على لسان الجماعات الذين ارسلوا من العراق واسكنوا في بلاد دولة اسرائيل ما يفيد ان الذي ارسلهم هو اسرحدون ، وهذا هو حفيد سرجون الذي ولي الملك بعد ابيه سنحاريب بن سرعون على ما سوف يأتي بعد ، وقد ادى مــا جاء في سفر عزرا الى شيء من اللبس في من قضى على دولة اسرائيل ، والذي يتبادر هو احتمال كون اسرحدون نفى جماعات من سكان دولة اسرائيل وارسل جماعات اخرى من العراق فاسكنهم مكانهم ، لأن سياق سرجون وكلام سفر الملوك الثاني يساعدان على الترجيح بان الذي نسف دولة اسرائيل هو سرجون الثاني .

اما ملك مصر المسمى في سفر الملوك الثاني فهو شباقا الاثيوبي على الارجح ، وقد مر ذلك في فصل مصر .

ولقد اضطرب ملك مصر نجوريس من استيلاء آشور على اسرائيل وغدوها ولاية

«١» المتبادر انه سلمناصر الخامس .

«٢» ص ٤٧٤ والدبس يقتبس هذه النصوص من لانرمان وفيكورو

آثورية لأن آشور على ابواب بلاده ، فأخذ يحرك ملوك سورية ويعدهم بالنجدة فاستجابوا اليه وحملوا السلاح بقيادة ابل بودي ملك حماه وطردوا الحاميات الآثورية من بيت اكوسي وفينيقية ودمشق وقد سارع سرجون الى الزحف ونشب بينــه وبين القوات المتحالفة قتال شديد في جهة قرقر ودارت الدائرة على الجيوش المتحالفة وظفر سرجون بقائدها ايل بودي وسلخ جلده ونكل بالعصاة مــن بيت اكوسي ودمشق والسامرة وغنم منهم غنائم كبيرة . ثم حمل على غزه وكان ملكها حنون قد رجع اليها منتظراً نجدة مصر ففر منها الى رابيح (رفح) وانضم الى الجيوش المصرية فيها فحمل سرجون عليها وهزمها وقبض على حنون وارسله اسيراً الى اثور ونهب رابيح واحرقها وسبى ٩٠٣٣ من سكانها ، وعاد الى نينوى غانماً منصوراً .

وقد اغتنم ملك ارارا ط فرصة انشغال سرجون في سورية وفلسطين واخذ يحرض البلاد المجاورة له على التمرد واستجاب اليه بعضها ، فاسرع سرجون الى الزحف واستولى على سونداخون ودوردكا اللتين استجابتــا للتحريض ودك اسوارهما وحرقهما ونفى سكانهما ، ولم يكد ينتهي من ذلك حــتى تحركت الفتنة في كيليكية حيث امتنع ملك شينوختار في شمال كيليكية عن اداء الجزية فحمل الأثوريون عليه وقهروه وقبضوا عليه وخربوا مدينته واستاقوه اسيراً مع ٧٥٠٠ من رعيته . ثم مشى سرجون على قرقيش لأن ملكها كان ضالعاً مع ملك ارارا ط ومتحالفاً مــع مشيلا ملك بيت اكوسي وميثا ملك الماشكيين على آثور ، وقد انتصر عليه واسره وارسله الى اثور وجعل مملكته ولاية آثورية عليها وال آثوري .

وبعد ذلك مشى الى بلاد مناي ، وكان موالياً لآشور وقد رفض الاستجابة لتحريض ارارا ط فاغرى ملك ارارا ط وملك زيكارتا به شعبه فثاروا عليه وقتلوه وانقادوا الى بكاداتي ملك اميلديش — في شمال ارمينية — فانقض سرجون على اميلديش واسر بكاداتي وسلخ جلده في المكان الذى قتل فيه الملك الموالي . ثم اخذ ينقض على بقية الممالك الأرمنية التي اعلنت عصيانها من حدود عيلام الى حدود الماشكيين وبــدأ بمناي فدمر عاصمتها ازيرتا ومدينتين من مدنها وقبض على ملكها اولوسون ثم عفا عنه رعاية لأبيه الموالي ؛ وثنى بانديا — في جنوب بحيرة ارومية — ونهبها وسبى منها ٤٢٠٠ ثم مشى الى زبكرتا ونكل بها فهرب ملكها الى الجبال ، ثم حمل على كرلا وقبض على ملكها وسلخ جلده ؛ وقبض على ملك الابريا ونفاه مع نصف شعبه الى حماه ؛ وفتح مدينتي نيكساما وشوركاريا

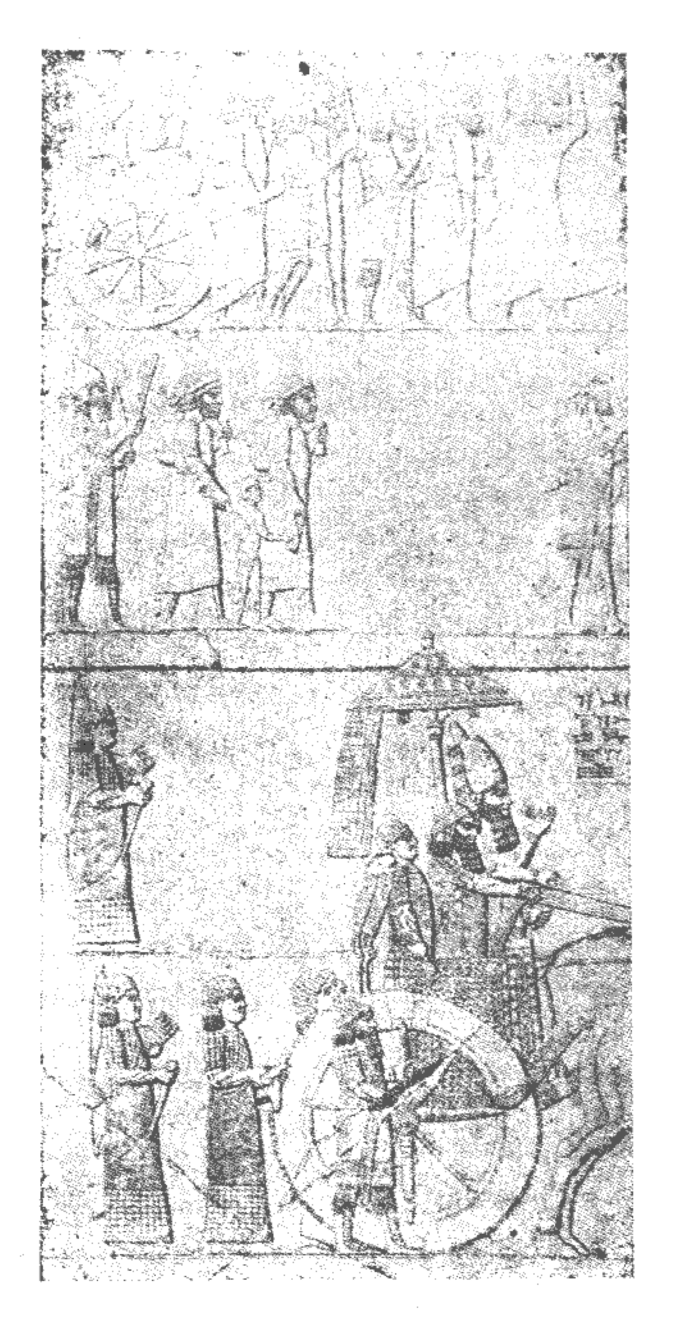
وضمهما الى ولاية بارسوا واسر ملك كيشزيم وارسله الى نينوى واستولى على مدينة خرخر وسماها كرخ سرجون وقهر ملك اليبي ورتب عليه الجزية وعاد ومعه غنائم عظيمة (٧١٦) .

وفي سنة ٧١٥ اعلنت الولايات الغربية العصيان وامتد حتى شمل سورية الشمالية . وفي ذات الوقت حرك ملك اراراط بلاد مناي واستولى على اثنتين وعشرين قلعة منها ، واخذ البدو يغزون اراضي آثور ، وهكذا واجه سرجون ثلاثة احداث خطيرة في ظرف واحد ؛ ولكنه قابلها بحزم وقوة ، وبدأ ببلاد الأرمن وصعد جبال ارمينية ودخل بلاد مناي واسترد القلاع التي اخذها ملك اراراط ؛ ثم قبض على ديوكا احد امراء مناي وكان متناحراً معه ونفاه الى حماة ، وجاءه ملك خربوشكيا خاضعاً وقدم له عدداً وافراً من الثيران والخيل والغنم ، ومشى سرجون الى انديا واسر ملكها ونصب لنفسه تمثالا في ايزيرتا وانقض على بلاد خرخر التي اندمجت في المؤامرة والعصيان فافتتح مدنها وقلاعها ؛ وسارع اثنان وعشرون من ملوك مادي وامرائها الى القدوم عليه والسجود له وتوكيد ولائهم له .

وفي اثناء حركاته هذه في المناطق الشمالية كان قواده يتتبعون العصاة في الغرب والجنوب ويثخنون فيهم ويستاقون منهم الأسرى وينهبون مدنهم . وقد ارسل سرجون كثيراً من الأسرى الى السامره واسكنهم فيها الى جانب الاقوام التي ارسلهم قبل والى جانب من بقي فيها من الاسرائيليين . وقد عظم صيت سرجون وهيبته في بلاد العرب وتقاضى الجزية ملكة اسمها سمسي وملك اسمة برعو ملك موسري وقبائل ثمود وخيابا ومرسمان وحطى على ما عرف من النقوش التي دونها [1] وعلى ما ذكرناه في الجزء الاول .

وبعد ان فرغ بال سرجون اعتزم على ضرب اراراط ضربة قاضية ، وفي ربيع سنة ٧١٤ تسلق جبال ارمينية وانقض على زيكارتا وافتتح عاصمتها باردا وحرقها ودمر ثلاث مدن واربعاً وعشرين قرية منها وهرب ملكها مثاتي في الجبال هائماً على وجهه . ثم سار نحو اراراط فتحصن ملكها روسا في اودية جبل اواواش فحمل عليه سرجون بشدة وانتصر عله وقتل من عسكره خلقاً كثيراً واسر حرسه الخاص . اما الملك فترك عربته وركب حصاناً وهرب مسرعاً كما فعل ابوه امام تغلات بلاسر ؛ وذعر الاراراطيون وطلبوا الامان وفتحوا مدنهم لسرجون ، وظل روسا هائماً في الجبال والاودية

«١» العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٣١٢ وما بعد .



تزيينات في جدران قصر سرجون وفيها موكب للملك نفسه

خمسة اشهر دون ان يجد ملجأ وكان سرجون يتتبعه ويقاصص بشدة كل من يساعده ؛ وكان مع روسا اوزانا ملك موازازيز ؛ وكانت حصينة جداً ولكن سرجون تمكن من الاستيلاء عليها وتدميرها ونهب اصنامها واسر افراد الأسرة المالكة وعدد عظيم من اهلها وغنم غنائم عظيمة من البغال والثيران والغنم والذهب والفضة والنحاس والحديد والحجارة الكريمة والأقمشة ، وفر الملك برأسه . وداخل روسا اليأس بعد ان سدت في وجهه سبل النجاة فما كان منه الا ان انتحر.

وفي سنة ٧١٣ اغار سرجون على مملكة كارلا لأن اهلها ثارت على الحاكم التي نصبه وعينت مكانه واحداً اسمه اميتشي ؛ ولم يكن من هذا الا ان اعلن خضوعه له وقدم له من الهدايا ما ارضاه عنه ، وجاءه ملوك بيت ديوكا واليبي والابريا حاملين هداياهم ، ثم توغل في بحيرة قزوين وسيطر على جميع تلك البلاد .

وفي هذه الاثناء سير احد قواده للتنكيل بالتوباليين لان ملكهم كان محالفاً لروسا ملك ارارط ، وقد قبض عليه وارسل اسيراً الى نينوى وضمت مملكته الى ولاية كيليكية .

وفي سنة ٧١٢ مشى على ترحونازي ملك ميليديا ـ ملاطية ـ لامتناعه عن الجزية فقهره واسره مع افراد اسرته و ٥٠٠٠ من شعبه ونفاهم إلى آشور وجعل مملكته ولاية آثورية وكان ترخولا ملك كركم قد قتل بيد ابنه ، وكان موالياً لسرجون فسار اليها وحمل على عاصمتها مركاسي ـ مرعش الحالية ـ واستولى عايها وصير المملكة ولاية آثورية .

وفي سنة ٧١١ وجه همه نحو الجنوب ومصر ، لان ملك مصر شبقون حرض الادوميين والفلسطينيين والفينيقيين والموآبين وكون منهم حلفاً ، وقد سير حملة بقيادة قائد اسمه الترتار فاستولى على اسدود فهرب ملكها الى مصر وكان الذعر قد دب في مصر فما كان من شبقون الا ان قبض على ملك اسدود وكبله وسلمه للآثوريين فداءً عن نفسه .

ثم وجه سرجون همه نحو بابل وكانت تحت حكم مردوخ بيلدان الذي كانت الظروف والاحداث يسرت له البقاء في مركزه ، بالرغم من اهل بابل ، واستنصاراً بالآراميين اهل عصبته ، ففي سنة ٧١٠ قسم سرجون جيشه قسمين فارسل احدهما الى مقاتلة الآراميين والعيلاميين على سواحل الخليج وقاد ثانيهما الى بابل لمقاتلة مردوخ بيلدان .

وقد تمكن القسم الأول من الاستيلاء اولا على كمبولا واسر عدد كبير من اهلها

ونهب عدد عظيم من ماشيتها مما جعل جميع القبائل المجاورة تطلب الأمان وتعلن خضوعها. ثم حمل على بقودا وغيرها من القبائل فاخضعها ثم اتجه نحو عيلام وتمكن من الاستيلاء على مدن كثيرة معها كما استسلم مدن اخرى خوفاً وذعراً وفر ملكها هائماً الى الجبال .

اما الجيش الذي قاده سرجون فانه اتجه نحو بيت دقوري واتخذها قاعدة لحركاته . فخاف مردوخ بيلدان وخرج من بابل مستخفياً وانزوى في مدينة دور ياقين عاصمته الأولى . وسارع اهل بابل فحملوا تماثيل آلهتهم وذهبوا بها الى سرجون ليقدموا اليه الطاعة ويدعوه الى بابل فسار معهم بموكب عظيم وقدم الذبائح للآلهة وجلس على سرير المملكة وفي سنة ٧٠٩ جاء الى بابل ليتتوج فيها فقدم القرابين للاله بيـل ومسك بيد تمثاله وتناول منها تاج ملوك بابل المقدس . وبعد ذلك حمل على بيت ياقين التي تحصن فيها مردوخ بيلدان بعد ان حصنها وقوى جيشه فيها ولكن سرجون تمكن من هزيمة هذا الجيش والاستيلاء على المدينة واسر ٩٠٥٨٠ من اهلها مع كمية كبيرة من الحصن والبغال والجمال وغيرها ودمرها ودك اسوارها وقصورها وهياكلها . وتمكن مردوخ من الهرب ، وانتشرت شهرة سرجون الى دلمون ــ البحرين ــ فاتاه ملكها يقدم الطاعة والهدايا .

ولقد انتشر اسم سرجون في البحر الأبيض والبلاد اليونانية ودب الذعر في قلوبهم حتى ان سبعة من ملوك ــ جزيرة يمنا ــ قبرص ــ اعلنوا خضوعهم له وارسلوا اليه الخراج ، وقد ارسل اليهم الملك الآثوري صورته منحوتة على عمود من مرمر اسود حيث نصبوه في مدينة كيتيو . وقد وجد هذا العمود في اثناء التنقيبات التي اجراها بعض الالمان ونقل الى برلين . وقد قرىء عليه ما ترجمته « ان سبعة من ملوك جزيرة يمنا الذين لم يسمع الملوك سلفائي باسم بلدهم ابداً بلغهم ما عملت في بلاد الكلدان وحثو فرجفت قلوبهم واستولى عليهم الخوف فاتوني وانا في بابل بالذهب والفضة وغير ذلك وقبلوا رجلي فاعطيتهم صورتي منقوشة على عمود كتبت عليه عظائم آلهتي واسماء كل الشعوب الذين اخضعتهم شرقاً وغرباً » .

وفي سنة ٧٠٨ امتنع موتلو ملك كموحا عن الجزية فحمل عليه الآشوريون ونهبوا مدنه واسكنوا فيها الآراميين الذين اسروهم من بيت ياقين ، وجعل سرجون هذه المملكة ولاية ولى عليها القائد الذي افتتحها واقام معه حامية مؤلفة من ١٥٠ عربة و١٥٠٠ فارس و٢٠٠٠ حامل قوس و١٠٠٠٠ حامل ترس .

وفي سنة ٧٠٧ سير سرجون جيشاً الى بلاد اليبي ــ في حدود لورستان في ايران ــ لان ابني ملكها تنازعا فاستنجد احدهما بملك عيلام وثانيهما بسرجون ، وقد انتصر جيشه واجلس الابن المستنجد مكان ابيه .

وفي سنة ٧٠٦ وثب عليه جندي غريب فاغتاله .

هذا ومع كثرة انهماك سرجون بالحروب فانه لم يقصر في الاعمال العمرانية،فقدرم القنوات القديمة وحفر قنوات جديدة واصلح مدناً قديمة وانشأ مدناً جديدة .

ومن اشهر منشآته مدينة في شمال غربي نينوي سماها باسمه « دور سرجون » ونقل اليها سرير الملك . وقد بنى فيها قصراً فاخراً على تل مصنوع ، وكان للقصر بابان عظيمان على جانبي كل منهما ثوران عظيمان برأس انسان واجنحة طير وبين الثورين تمثال لجبل جاموس وهو يخنق اسداً . والبابان مزينان بضروب من النقوش والاشكال والتصاوير العجيبة . وكان داخل القصر مزيناً كله كذلك بنقوش عجيبة وبأوان ذهبية وفضية وعاجية وخزفية وتروس وسيوف وغير ذلك من الاسلحة المتنوعة والتحف الجليلة . وعلى جدرانه صور بشرية وحيوانية مختلفة الحركات والهيئات . وقد بنى بجانبه زقرتا ــ برجاً ــ عظيمة عالية ذات سبع طبقات مكرسة للآلهة السبعة ومصبوغة بالألوان المختلفة ،فالاولى بالابيض والثانية بالاسود والثالثة بالقرمز والرابعة بالازرق والخامسة بالأحمر والسادسة كانت محلاة بالفضة والسابعة بالذهب . وبقرب القصر بستان واسع الارجاء فيه كل انواع الشجر والنباتات والحيوانات الأهلية والبرية ، وقد ردمت هذه المدينة وبقيت تحت الردم الى سنة ١٨٤٢ ق م حيث كشف عنها بوطا قنصل فرنسة في الموصل وخرائبها تدعى اليوم باسم خرص آباد ، وربما كان هذا الاسم تحريفاً لاسم خسرواباد ــ اي مدينة كسرى ــ حيث يحتمل ان يكون الفرس قد اتخذوها مركزاً لهم حينما قوضوا المملكة الأشورية على ما سوف نذكره بعد ، وقد نقل القنصل الافرنسي ما وجده من آثار الى متحف باريس .

وقد وصف جميل المدور الآثار المكتشفة في خرائب خرص آباد في كتابه تاريخ بابل وآشور [1] فقال فيما قال « لقد بقي من زخارف القصر وبديع نقوشه واشكاله ما يدل على انه كان من الجمال والاتقان ما لا يدانيه شيء من منشآت تلك العصور ، وآثاره ما تزال الى الان اكمل وابين من جميع ما شوهد من الأبنية الآشورية ولم يبق في شيء

«١» ص ٥٥–٥٦

منها ما بقي فيه من الأدوات والمشاهد ، وهو قائم على قمة . وبجانبها قمة اخرى ادنى منها ارتفاعاً واصغر حجماً عليها بناء آخر تابع للقصر ، وهذا البنـــاء ينقسم الى قسمين ؛ وبذلك صار جملة القصر وما يليه ثلاثة اقسام ، وبناء القصر من الآجر وفي داخلـــه حجرات فسيحة يبلغ طول الواحدة منهـــا ١١٦ قدماً وكلها مزينة بالنقوش والصور والآنية الذهبية والفضية والعاجية والخزفيـــة والتروس والسيوف والاسلحة المتنوعة . وهي ست حجرات ، وعلى جدرانها صور الانسان والحيوان في اشكال وهيئات متنوعة من جنود وجبابرة ومعارك وحصارات وفتوحات ومن قاتل اسداً ومساور نمراً ومجهز على عدو وذابح ذبائح وساجد للآلهة ومن عساكر يخرجون الى القتال وقتلى يقاسون النزع وغير ذلك مما يطول شرحه . وكثير من هذه الصور ما برح الى اليوم على الوانـــه الاولى ، وقد وجد عرش الملك المرصع بالعاج والجواهر الكريمة المتنوعة ، هذا في القسم الاول المتخذ بلاطاً للملك . وفي القسم الثاني الاصغر المتخذ داراً للحريم ثلاث حجرات وهي اكمل اتقاناً من حجرات البلاط وابهى زينة واكثر ادوات ومتعة . وقد وجد فيها النقابون من الذخائر والنفائس ما يجل عن الوصف وما لا يقوم بثمن ، ويصل بين هذا القسم والبلاط سرداب تحت الأرض ينزل فيه الملك اذا اراد الافضاء الى دار حريمه . والقسم الثالث للحشم وهو متصل بقسم دار الحريم ، ومن حولها مساكن بعضها للعبيد وبعضها للكراع وبعضها للسائمة ، وبين دار الحشم والبلاط رواق طويل غاية في الاتقان والزخرفة وقد وجد فيه النفائس التي اتى بها سرجون من فتوحاته وكاثر بها سائر الممالك والملوك ، وقد وجد فيه كثير من الجنان والانية والادوات المختلفة فحملت الى باريس حيث هي هناك الى اليوم . وفيما يلي دار الحريم اخربة على شكل هرم قال بعضهم انـــه كان سبع طبقات يعلو بعضها بعضاً وكل واحدة منها أصغر من التي تحتها حتى تنتهي الى السابعة وهي صغراها ؛ وعرف كذلك ان كل طبقة منها كانت مخصصة لكوكب مـــن الكواكب السيارة السبعة وملونة بلون خاص وان اولاها لزحل وثانيتها للزهرة وثالثتها للمشتري ورابعتها لعطارد وخامستها للمريخ وسادستها للقمر وسابعتها للشمس .

ولم يذكر ادي شير من نقوش سرجون الثاني الا النقش القصير المكتوب على عمود جزيرة يمنا . ولكن الاسماء والاعلام والاعداد المحورة تدل على انها مقتبسة من منقوشات ومدونات قديمة هي الأخرى . وقد اشار الى المصادر التي اقتبس منها ما اورده مـــن سيرته والتي نرجح انها احتوت نصوصاً قديمة وهي مجلة الكتاب المقدس وماسبرو وآثار نينوى لبوطا وتاريخ سني ملوك آثور لمينان وكتاب آثار دور شركون لأوبير .

ولقد اورد جميل المدور [1] نص نقش طويل قال انه قرىء على جدران قصر سرجون الذي كشف عنه في خرائب خرصا باد ؛ وفيه سجل لأعماله وحروبه وبينه وبين ما اورده ادي شير مطابقه كبيرة مما يؤكد ما قلناه ، وهذا ما اورده جميل المدور من ترجمة ذلك النقش : « من لدن استيلائي على زمام الملك الى منتهى الغزوة الخامسة عشرة من غزواتي ، كان استيلائي على الملك يوم الخسوف التام .

وقد قهرت كانيغاز ملك عيلام ؛ ثم حاصرت مدينة السامرة واخذتها واجليت ٢٧٢٨٠ نسمة من سكانها . وتحالف حنون ملك غزة وفرعون مصر على قتالي فنازلتها واوقعت بهما في ارض رافيا (رفح) فانهزما شر هزيمة وسكنت نأمتهما ابد الدهر . ثم اني ضربت على فرعون ملك مصر وعلى شمسي ملك العرب وشيع امر ملك سبأ اتاوة من الذهب والعقاقير العطرية والخيل والابل والبقر ، وبعد ذلك حاول عبيد المالك في حماة ان يحرش اهل دمشق والسامرة فزحفت بجنودي المظفرة الى قرقر ودارت بيني وبينه وقائع هائلة كانت العاقبة فيها عليه فدككت سور المدينة واعملت الهدم في سائر ابنيتها حتى جعلتها ركاماً ثم قتلت زعماء الأحزاب وقبضت على الملك وسلخت جلده . ولما ملك ارانزو في وان كانت في حوزة يدي فلما مات بايع الاهالي ابنه آسا رعقدوا بينهم وبين اورساما الارمني حلفاً سرياً على ان يعاونهم على رد استقلالهم فسرت اليهم بالجيوش الآشورية وضربتهم ونسفت قلاعهم عن آخرها وقبضت على الملك الخائن وسلخته وقطعته واخضعت الجميع لسلطاني . وفي اثناء ذلك انتهز آزوري ملك اسوط فرصة انشغالي باولئك الاقوام وامتنع عن حمل الجزية فدمرت مدائنه واستحوذت على آلهته وعلى امرأته وبنيه وكل من ينتمي اليه . ثم اخذتني الرحمة فاعدت عمارة المدائن التي خربتها واسكنت فيها الاقوام الذين اجليتهم من مشارق الشمس ووليت امرهم لواحد من قوادي وادخلتهم في عداد الآشوريين . .

ثم يقول جميل المدور « وبعد ذلك ذكر ـ اي سرجون ـ عدة مواقع بينه وبين مردوخ بيل دان كان النصر فيها له واستولى على الفسطاط الذي كان لمردوخ من الذهب وغنم كنوزه وذخائره واسر عدداً كبيراً من جنوده ودمر مدينة دور ياقين .

وان ملوك يطنان السبعة الذين لم يسمع اسلافه بذكرهم بسطوا له يد الاذعان

---

(1) تاريخ بابل واشور ص ٩٨

ووفدوا عليه بالهدايا والطرف من الذهب والفضة والانيـــة الثمينة وخشب الابنوس ثم عدد ـ أي سرجون ـ كثيراً من الحروب التي عملها بعد ذلك مما يطول شرحه» حيث يؤيد هذا ما قلناه آنفاً من ان سيرة سرجون الثاني واعماله مقتبسة من نقوشه .

ولقد اوردنا قبل بعض نصوص لنقوش من نقوش سرغون نقلا عن الدبس الذي نقلها بدوره عن لانرمان وفيكورو .

وفي الجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية لهذا المؤلف [١] نص من نصوص هذا الملك نقلا عن مينان الذي ينقل عنه ادي شير جاء فيه فيما جاء « وفي حملتي الخامسة كان بيزيرس ملك كركميش عصى كبار الآلهة واوفد سعاة الى ميتا ملك بلاد موشكي لاشهار العداوة للآشوريين وعقد على ذلك عهوداً ومواثيق فرفعت يدي الى آشور سيدي خاشعاً فقيض لي ان اخرجته من مدينته واخذت خزائنه وكبلته بقيود الحديد وغنمت ما كان من الفضة والذهب في قصره وجلوته مع سكان كركميش الى بلاد آشور لانهم شاركوه في ثورته واخذت اموالهم وغنمت منهم خمسين مركبة واسرت مئتي فارس وثلاثة آلاف راجل ووسعت املاكي واسكنت قوماً من بلاد آشور في مدينة كركميش بعد ان نقلت اهلها الي آشور » ، ولقد اشار الدكتور جواد علي [٢] الى نقوش عديدة لهذا الملك وذكر محتويات ما يتصل منها ببلاد العرب ومن ذلك ما ذكره من فرضه الجزية على شمسي ملكة عربيي واخذه الذهب من جبالهم والخيول والجبال وغلبته على قبائل ثمود وعبابيد وخبابا ومرسمان من سكان البادية الذين لم يدفعوا جزية لاحد قبلــه مما اورده ادي شير ايضاً ؛ وفي هذا وذاك توكيد آخر بان سيرته مقتبسة من النقوش.

— ١٠ —

ومما ذكره ادي شير [٣] من سيرة سنحاريب الذي تولى العرش بعد ابيه سرجون والذي كان على غراره نشاطاً واقداماً وشجاعة انه لما انتشر خبر اغتيال سرجون بدت بوادر التمرد في الاقاليم ، وكان اول من تمرد مملكة بابل لأنه ولى اخاه عليها ولم يتوج فيها فعد اهل بابل ذلك انتقاصاً من قيمتهم فقاموا على ملكهم الجديد ـ اخي سنحاريب ـ

«١» ص ٢٠٠

«٢» تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٣١٢

«٣» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ١٠١ – ١١٤ ويقول ادي شير ان معنى سنحاريب « الاله سين يقاتل » اما جميل المدوو فانه يقول ان معنى الكلمة الاخ الاخر القمر تاريخ بابل واشور ص ١٠٠

وقتلوه وملكوا مكانه رجـلا اسمه مردوخ زاكير شوما . ولم يمض على ذلك الا شهر حتى ظهر مردوخ بيلدان الملك الاول الذي كان مختفياً وعمل على اغتيال شوما وجلس على العرش البابلي ثم اخذ يتصل بملوك عيلام وسورية وفينيقية وفلسطين وشرق الاردن ومصروقبائل العرب والكوسيين والاليبيين ويتآمر معهم على آشور ؛ واخذت نتائج اتصالاته وتحريضاته تظهر هنا وهناك .

وقد واجه سنحاريب الموقف بشجاعة وحزم فحمل اولا على بابل سنة ٧٠٤ ففر مردوخ بيلدان منها تاركاً كل ما كان في معسكره مـن عربات وخيل وبغال وجمـال للاثوريين غنيمة باردة ، وفتحت المدينة ابوابها لسنحاريب فدخل ونهب قصرها وكل ما في خزائنها وملك عليها رجلا بابلياً اسمه بيل بيني ؛ كان قد تربى في كنفه ؛ ثم افتتح اكثر من خمس وسبعين مدينـة واربعمائة وعشرين قرية وطرد كل الجنود الآرامية والعربية التي كان مردوخ بيلدان قد وضعها في اوروك ونيبور وكيش وكوتا وسيبار ؛ وغزا القبائل الارامية التي على سواحل الفرات وفي حدود عيلام منصوراً ومعه ٢٠٨٠٠ اسيراً و٧٢٠٠ حصاناً و١٠٧٣ حماراً و٥٢٣٠ جملا و٨٠١٠٠ ثوراً .

وفي سنة ٧٠٣ هجم على الكوسيين ولم يبال بما كانت عليه الطريق اليهم من صعوبة شديدة . وقد افتتح عدداً من مدنهم والحقها بولاية اسمها ارابخا ، ومن هنا عبر الى اليبي ولم يستطع ملكها الوقوف في وجهه فاخذ يفر من مدينة الى مدينة وسنحاريب يطارده ويدمر مدنه وقلاعه ثم ضم هذه البلاد الى ولاية اسمها خرخر وهنا وافاه الملوك مـن اقاصي مادي مقدمين له الطاعة والهدايا .

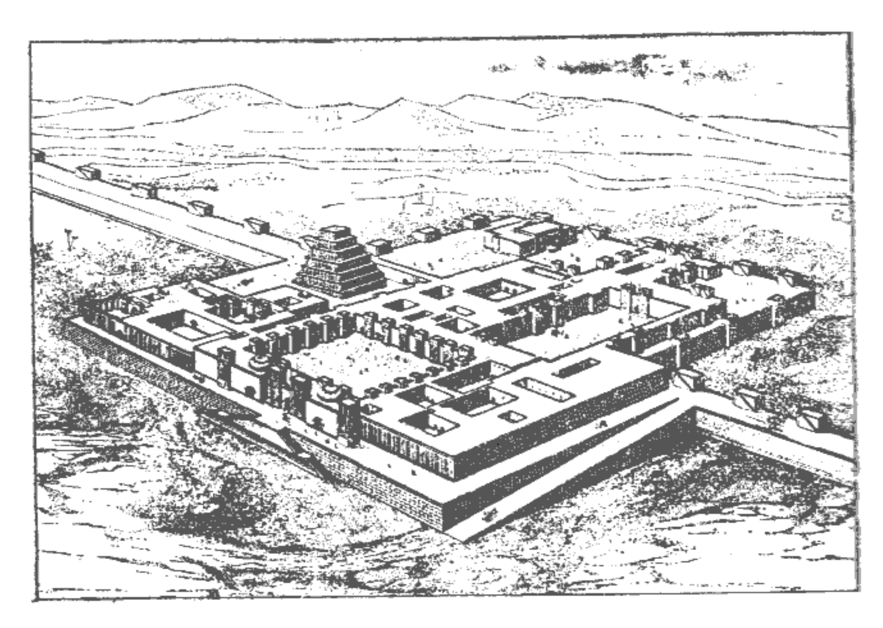
وفي سنة ٧٠٢ حمل على بلاد الشام وكان الملوك الذين اعتزموا التمرد ينتظرون نجدة مصر فخاب املهم ففر ملك صور اياولاي الى قبرص حيث مات غماً .

واستولى سنحاريب على صيدا وبيت زيت وصار بيتا (صرفند اليوم على مايفسرها الدبس) ومحليبا واوشو واوشو واوكزيب (الذيب اليوم) واكو (عكا اليوم) وسارع جميع الملوك المجاورين وقد دب الذعر في قلوبهم الى اعلان الخضوع ومن جملتهم مناحيم ملك شمشيورنا وعبـد بليني ملك ارواد واور ملك عمون وكموش ندبي ملك مؤاب وملكرام ملك ادوم ومتندي ملك اشدود ؛ وتأخر عنهم صدقا ملك اشتالون وحزقيـا ملك يهوذا فزحف سنحاريب على اشقالون وافتتح كل مدنها المحصنة اي بنت داغون ــ بيت دجن ــ ويافا وبني براق وازور واشقالون وقبض على الملك وكبله بالاغلال ونفاه

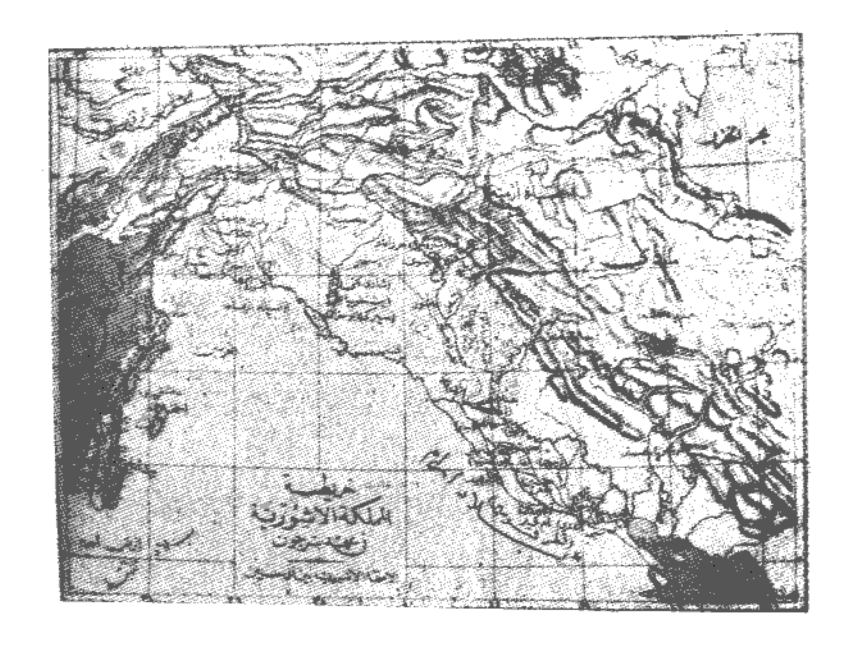
هو واسرته الى آثور ونصب مكانه شخصاً اسمه شرلوداري . وفي هذه الاثناء جاءت النجدات المصرية التي ارسلها ملك مصر شبيتقا فدارت معركة طاحنة بينها وبين سنحاريب وجيوشه بين تبنه وعقر (عاقر) كانت النصرة فيها للآثوريين وهرب المصريون تاركين في ميدان الحرب قسماً من عرباتهم بعد ان قتل منهم خلق كثير ؛ وحينئذ فتح الآثوريون مدينتي ثمنه وعقرون ونهبوها ؛ ثم سار سنحاريب على يهوذا فاستولى على ست واربعين مدينة من مدنها المحصنة وعدد كبير من قراها ونهبها واسر منها (٢٠١٥٠) نفساً ثم صعد نحو اورشليم العاصمة فذعر حزقيا ذعراً شديداً وارسل الى سنحاريب قائــلا اني اخطأت واني مستعد لكل ما ترتب عليّ فرتب عليه ٣٠٠ وزنة من الفضة و٣٠ وزنة من الذهب. ولم تكف الفضة التي في خزانته فدفع ما في بيت الرب منها وقشر الذهب عن ابواب الهيكل والدعائم ودفعه . وقد جاء في احد نقوش سنحاريب في شأن حزقيا « انيهجمت على مدينة اورشليم دار الملك حزقيا وحبسته في داخلها كما يحبس العصفور في القفص ووهبت مــدنه المفتوحة لميتتي ملك اشدود وبادي ملك عقرون واشمال ملك غزه . ولما رأى حزقيا بأسي ضاقت عليــه المذاهب فارسل الي رسلا يعرضون علي المهادنة والصلح وان اضرب عليهم ما شئت من الأموال فاخذت مــنه ٣٠ وزنة من الذهب و ٨٠٠ وزنة من الفضة (هكذا) وكثيراً من الاحجار الكريمة واللؤلؤ والياقوت والعاج وجلود الفيل والاخشاب المتنوعة وثيابا ثمينة ارجوانية واسلحة كثيرة لا تحصى وذهبت بها الى نينوي » .

وقد ذكر هذا الحادث في الاصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الثاني باسلوب متطابق الا في عدد وزنات الفضة حيث ذكره الاصحاح (٣٠٠) وليس (٨٠٠) وقد ذكر الاصحاح ان ملك آشور ارسل وفداً لملك يهوذا ينددبه ويوبخه على خيانته واتكاله على مصر التي يشبهها بالقصبة المرضوضة .

وفي سنة ٧٠٠ اشتغل سنحاريب بامور بابل . فان مردوخ بيلدان لم ينفض يــده فجدد حلفه مع عيلام ، وتحزب مع اهل بابل ومردوخ شازيب احد امراء الاراميين على سواحل البحر فاخذ يتحرش بالعساكر الآشورية، فسارع سنحاريب الى الانقضاض عليه واستول على يتوتا التي كانت عاصمة مردوخ شازيب ومعه مردوخ بيلدان فيها ،ففرا منها حاملين تماثيل آلهتهم و كنوزهم الى بلاد عيلام وفر معهم معظم اهــل بيت ياقين فنهب سنحاريب كل مدن كلدو الجنوبية ثم دخــل بابل واسر ملكها بيليني وساقه إلى



رسم تخيلي مأخوذ من الآثار الباقية لقصر سرجون في خرص آباد



آثور مع اسرته ونصب ابنه اسور نادينشوما ملكاً على بابل ، وق . اراد ان يطارد مردوخ بلدان ويضربه ضربة نهائية ، ولكن فتنة نشبت في حدود مملكة ارارط شغلته عن ذلك حيث اعلنت قبائل تومورا في جبل نيبور العصيان واخذت تغير على السهول وتنهبها ، فسارع سنحاريب الى هذه البلاد واخذ يطارد العصاة رغم ماكان من صعوبة المنطقة ووعورتها واستطاع ان يضربهم ضربة قوية ويقهر ملك مانيا ويهزمه ويضبط عاصمته اوكي وثلاثاً وثلاثين مدينة وقرية وينهبها وكان ذلك سنة ٦٩٩ .

وفي سنة ٦٩٨ نشرت كيليكية لواء العصيان فسارع سنحاريب اليها وقبض على رأس الفتنة كيروا وسلخ جلده حياً ونقش انتصاره على عمود نصبه في مدينة ايلوبري .

وفي سنة ٦٩٥ زحف سنحاريب على الثوباليين واخضعهم من جديد وملأ يده بالغنائم .

وفي سنة ٦٩٤ اعتزم الانتهاء من قضية مردوخ بلدان الذي التجأ الى القبائل الآرامية التي كانت منتشرة في ما وراء الخليج ، فاستعان بالفينيقيين واليونانيين على صنع السفن ثم ركبها وانقض بها فجأة على الملجأ الذي كان فيه مردوخ بيلدان مع جيوشه واهل بيت ياقين فبدد جيشه واسر اهل بيت ياقين ودمر ما وقعت يده عليه . وفي هذا الحادث يقول في احد نقوشه « اني اسرت اهل بيت ياقين وآلهتهم وخدام ملك عيلام وسقتهم الى آثور واخربت مدن تلك البلاد وهدمتها وجعلتها رماداً ودفنتها تحت انقاضها » .

ولم يكد يصل نينوى حتى حمل حلوروش ملك عيلام على بلاد الكلدان التي استجاب اهلها لتحريضه وتضامنوا معه في العصيان على آثور ؛ وقام البابليون على ملكهم اشور نادينشوما واسروه واقاموا مقامه رجلا آخر اسمه شوزوب تعهد بالتضامن معهم ضد آشور. وقد قاتل هذا الملك ببسالة حينما زحف سنحاريب للمرة الثانية على كلدو وكسب الجولة الأولى ثم دارت عليه الدائرة ووقع اسيراً ؛ وكان ذلك سنة ٦٩٣ .

واقام البابليون ملكاً آخر اسمه موشزيبي مردوخ ، واخذ هذا يتصل بملك عيلام وتحالف معه ؛ وتجمعت جيوش الطرفين في بابل ، وزحف سنحاريب وتمكن من قهرها وهزيمتها بعد ان قتل واسر منها عدداً عظيماً وكان ذلك سنة ٦٩١ ق م .

وفي سنة ٦٩٠ اغارسنحاريب على بلاد العرب وتوغل فيها وانتصر على حزائيل[1] وغنم منه غنائم عظيمة .

وفي هذه الآثناء كانت الاتصالات والمؤامرات ضد آشور تجري بين ملك مصر ترهاقه وملك يهوذا حزقيا ؛ وكان سنحاريب قد عسكر في مدينة لخيش ؛ فارسل حملة حاصرت اورشليم ؛ وجاء ترهاقه الى حدود فلسطين فانتقل سنحاريب اليها للقائه غير انه اضطر الى العودة الى نينوى بسبب وباء ظهر في جيشه فلم يقع اشتباك بينه وبين ترهاقه كما ان الآثوريين فكوا الحصار عن اورشليم بسبب ذلك . وقد اشير الى هذا في سفر الملوك الثاني من اسفار العهد القديم .

وقد كان ملك بابل قد فر حينما زحف سنحاريب سنة ٦٩١ فاغتنم فرصة غياب سنحاريب في بلاد الشام والعرب فظهر واخذ يغير على بعض انحاء آثور . فلما رجع سنحاريب عزم على استئصال شأفة بابل وسير حملة قوية تمكنت من اعتقال الملك وتكبيله بالاغلال وارساله مع عدد عظيم من الأسرى الى آثور وقتل عدد عظيم آخر من اهل بابل حتى ان الجثث تكومت بعضها فوق بعض في الأزقة ودهاليز الهياكل ثم اخذت تنهب كنوز القصور والهياكل وبيوت الأعيان ثم دكت اسوار المدينة وقصورها ، وقد اشار سنحاريب في احد نقوشه الى ذلك فقال « اني استأصلت المدينة والهياكل واخربتها واحرقتها بالنار واخربت الحيطان والاسوار ومعابد الآلهة والزقرات المبنية بالآجر واللبن وملأت قناة ارحتا من انقاضها » .

ويقول ادي شير ان سنحاريب قد استراح من الغارات والغزوات بعد تدمير بابل لان ما انزله على هذه المدينة من ضربة صاعقة قد القى الرعب في قلوب جميع الأمم فلم تحرك ساكناً ولعله باشر غزوة لم يصل الينا خبرها . ولقد ذكر في سياق سيرة ابنه اسرحدون انه عين هذا الابن ملكاً على بابل ، فالظاهر انه فعل هذا في اثناء المدة التي قضاها مرتاحاً .

هذا ؛ ومع ان ما اثبته ادي شير من نصوص نقشية من مخلفات سنحاريب شيء قليل الا ان ما اورده من اسماء واعلام واعداد يدل كذلك على ان ما ذكره من اعماله مستمد من نقوش ومدونات قديمة . وفي كتاب تاريخ آشور نصوص نقوش عديدة له سجل فيها اعماله وحروبه وبينها وبين ما اورده ادى شير من سيرته تطابق كبير مما فيه توكيد لما قلناه .

«١» حزائيل هذا ملك عربي لمملكة قيدار على ما سوف يأتي شرحه في جزء اخر .

ومما جاء في هذا الكتاب من نصوص نقوشه [١] « اول غزوة لي كانت على مردوخ بيل دان ملك بابل وجيش عيلام . وكانت الواقعة بيننا في موقع كيش فما تطاول امد القتال حتى اجفل الملك وفر فلحقت به واطلقت يدي في بلاده سبياً واسراً وقتلاوغنمت امواله وخيوله واسلحته وسائر كنوزه وذخائره وكان فيهـــا من الذهب والفضة والآنية الثمينة والملابس الملكية شيء كثير . ثم وجهت نفراً من رجالي فقبضوا على امرأتهواعوانه وسائر من ينتمي اليه ذكراناً واناثاً واسرت بقية جنده وبعت الجميع عبيداً ، ثم اني بامداد ربي آشور وحوله اقمت الحصار على تسع وسبعين مدينة من مدائن الكلدان الكبيرة وثمانمائة وعشرين قرية فاخذتها جميعها وغنمت منها الغنائم الطائلة وسبيت نساءها وبعت الرجال عبيداً .

وفي غزوتي الثالثة [٢] وجهت بأسي نحو الديار الشامية وعليها يومذاك ملك سخيف ضعيف اسمه ايل اولي كان بلغ خوفي في قلبه كل مبلغ حتى انه لما اتصل به خبر مقدمي عليه لم يتمالك ان فر الى احدى جزر البحر تاركاً لي جميع حوزته وما ملكت يداه مغنماً فاخذت مدائن صيدا الكبرى وصيدا الصغرى وما يتبعها من المصانع والمعاقل والهيا كل ثم عدت عنها واستعملت عليها ايتوبعل على خراج يدفعه لي ، وفي اعقاب ذلك كان ايتو بعل الصيداوي وعبد نبت الاروادي وميطنتي الآسوطي وبادول العموني وكموش ناداب المؤابي وملك رام الادومي وسائر ملوك فينيقية يتزلفون الي بالهدايـــا والطرق ويعملون على جلب مرضاتي الا صدقيا العسقلاني فانه ذهب بنفسه مذهب الكبر وزين له الغرور شق عصا الطاعة فزحفت عليه بجندي ومنحني ربي عنقه فقبضت عليه وحطمت آلهته وآلهة آبائه واسرت امرأته وبنيه وبناته واخوته وجميع اعقابه معه وقفلت بهم راجعاً إلى آشور . وفي تلك الأثناء ائتمر زعماء ميغرون [٣] وفئة مـــن اشرافها بملكهم بادي ليقتلوه لانهم نقموا على ميله إلى آشور واحترامه لسطوتها فحملوه الى حزقيا ملك يهودا

«١» ص ١٠١ وما بعدها

«٢» قال المدور « وبعد وصفه الغزوة الثانية على بلاد مادي وارمينية واراضي البرجيين والكوماجيين اقبل على وصف غزوته الثالثة فقال ثم اخذ يسرد محتوي النص ، وهذا يعني ان المؤلف اختصر من النص الطويل القسم المتعلق بالغزوة الثانية ولخصه بالعبارة السابقة .

«١» في كتاب تاريخ كلدو وآشور « عقرون » بدل ميغرون وهي احدى ممالك فلسطين غير اليهودية مثل اسدود وعسقلان وغزة .

وسلموه الى يده وكان لسكان ميغرون طمع في مظاهرة ملوك مصر والحبشة لهم اذا نشبت الحرب بيني وبينهم فتأهبوا جميعاً لمنازلتي وحشدوا جيوشهم من كل اوب وخرجوا الي بخيلهم ورجلهم فالتقينا ببقعة اللبيكا والتحم بيننا القتال فكانت العاقبة لي عليهم فبددت جموعهم واثخنت فيهم قتلا وجرحاً واسرت منهم وغنمت ما لا يدخل في نطاق حصر ، وبعد ان تمزقوا من امامي وانهزموا بنبالي انثنيت الى ميغرون فقتلت من بها من الاكابر وزعماء الاحزاب وقبضت على اهل الفتنة فبعتهم عبيداً ثم ارسلت الى اورشليم في طلب بادي ملكها فاعدتها الى ملكه فاقام في ظل بأسي وزاد يقيناً بان رأيه في لم يكن الا صواباً . اما حزقيا اليهودي فبقي شامخاً بانفه ممتنعاً عن الاستسلام لدولتي استعظاماً لامر نفسه واستخفافاً ببأسي وقدرتي وكانت له اربع واربعون مدينة محصنة وعلى اسوارها من الابراج المنيعة ما يفوت العدد فدهمته بجيش كالجراد المنتشر وخيمت حول تلك المدن وبنيت عليها المتاريس وسددت اليها آلات الحصار وما زلت اضربها حتى اذقتها امر البلاء وفتحتها عنوة ودخلتها بسيفي واعملت فيها النار وانبث رجالي في كل وجه يسبون وينهبون حتى لم يبقوا ولم يذروا فكان فتحاً كبيراً لم يسمع بمثله فيما مر من الدهر . وكان جملة ما سبيته وغنمته مئتي الف نفس ومئة وخمسين نفساً من كبار وصغار رجالا ونساء ومن الخيل والحمير والبغال والابل والبقر والشاء وسائر الغنائم والاموال ما لا يحصى عدده ولا تقدر جملته وسقت هذا العديد كله الى آشور . وهو المصداق لما كان من ذلك الفتح والنصر ، وبعد ذلك وجهت الحملة الى مدينة اورشليم دار الملك حزقيا فحبسته في داخل المدينة كما يحبس العصفور في القفص وابتنيت في ارباض المدينة ابراجاً كثيرة وبثثت رجالي حول السور فاذا خرج احد من المدينة تخطفوه وفي تلك الاثناء استعملت على المدن التي فتحتها ولاة من اشياعي وهم ميطنتي ملك اسوط وبادي ملك ميغرون واسمابعل ملك غزه ، فاما ما كان من امر حزقيا فانه لما رأى بأسي وما احاق به من الخطر الشديد ضاقت عليه مذاهب النجاة ولم يجد للثبات سبيلا فاوفد علي رسله يعرضون المهادنة والصلح وان اضرب عليهم ما شئت من الأموال ففعلت وجاؤوا نينوى دار سلطتي ومقر حكمي ووضعوا بين يدي ثلاثين وزنة من الذهب واربعمئة وزنة من الفضة وكثيراً من المعادن الثمينة والحجارة الكريمة واللؤلؤ والياقوت الكبير والعروش الملكية والكهرباء الخالصة وسروج الجلد والبقر البحرية والاخشاب المتنوعة ومنها خشب الابنوس والجواري الحسان والعبيد الكثيرين ذكراناً واناثاً .

وقد اورد المطران الدبس [1] ترجمة نقش من نقوش سنحاريب التي تعرف بصفيحة تيلور جاء فيها : « في غزوتي الثالثة مشيت على بلاد الحيثيين فراعت رهبة عظمتي لولي ملك صيدا ففر الى محل شاسع في وسط البحر فاخضعت بلاده لسلطتي صيدون الكبرى وصيدون الصغرى وسربيتا وبيت زيتي ومحاليبا وحصا واكسيب وأكو ، فان مخافة جنود آشور سيدي حلت في مدنه المحصنة وقلاعه المسورة وفي مخازن عدده وذخائره وفي مراعي مواشيه فخضع كل ذلك لسلطاني ، واقمت توبعل على العرش الملكي ملكاً عليهم وافترضت عليهم جزية سنوية دائمة بمنزلة فدية تقدم لعظمتي ، واما مناحيم ملك شمشيوربا وتوبعل ملك صيدا وعيد بايث ملك ارواد واور ملك جبيل ومتيني ملك اشدودوبودويل ملك بيت عمون وكموش نذاب ملك مواب ومليكرام ملك ادوم وجميع ملوك احاربي (المغرب) وكل ملوك ساحل البحر فهؤلاء جميعاً قدموا لي تقادمهم النفيسة وهداياهم الثمينة وقبلوا اقدامي » .

وقد اشار الدكتور جواد علي [2] الى نصوص لسنحاريب ورد فيها ذكر اعماله وغزواته في بلاد العرب بنوع خاص ؛ وهو ما اشار اليه ادي شير في سياق اعماله وقد ذكر فيها مما ذكر اسماء يطيعه وتلخوني ملكتي اريبي او عربيي وحزاقيل ملك ملك قيدار في جملة من كان يستجيب الى تحريكات مردوخ بيلدان ملك بابل وفي جملة من كان سنحاريب يزحف عليهم او يسير الحملات عليهم وينكل بهم ، ومما ورد في النقوش التي اشار اليها الدكتور ان سنحاريب استولى على كمية كبيرة من الابل وانه اضطر تلخوني وحزاقيل في احدى المرات إلى التشرد والالتجاء الى قلعة ادوماتو التي يظنها الباحثون انها دومة الجندل المشهورة ، وفي هذا ايضاً توكيد لكون سيرته مقتبسة من النقوش والمدونات القديمة وكون ما جاء في هذه النقوش متطابق مع ما اورده ادي شير من هذه السيرة .

ولقد كان سنحاريب كأبيه مولعاً بالاعمار كما هو مولع بالحروب . وقد اهتم خاصة لاعمار نينوى وتوسيعها وتزيينها ، وبنى لنفسه قصراً يعد من عظائم المنشآت وكان مزيناً بمختلف ضروب الزينة والزخرفة وبتماثيل السباع والثيران والآلهة ومشاهد العيد ومعارك

«١» المجلد الاول الجزء الاول تاريخ سورية ص ٣١٢-٣١٣ وقد يلحظ ان كثيراً من محتويات هذه الترجمة ورد في نقوش اوردناها قبل قليل مع اختلاف في العبارة ، فمن المحتمل ان تكون هذه وتلك من نقش واحد :

«٢» تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢١

الحروب ؛ وبجانبه بستان عظيم . وقد انشأ (١٨) قناة جلب فيها الماء الى نينوى من كل جهه . وشجع الصناعات والفنون فبلغت في ايامه اسمى درجة ، وقد قال رولينسون في ذلك ما ملخصه « ان التصاوير التي صنعت في زمن سنحاريب من الدقـة في الرسم والشبه بالصور الطبيعية ما يقضي بالعجب . ففي عهده جرت العادة ان يصوروا الحادثة الواقعة مع كل تفاصيلها وظروفها حتى الجبال والصخور والطرق والجداول والبحيرات والبساتين والحقول والغدران مع النبات والحيوان فترى الحيوانات هاربة والطيور تحوم من شجرة الى شجرة او تطعم فراخها في اوكارها من والاسماك تعوم والصيادين يصطادون والفلاحين يفلحون ؛ الخ [١] .

ولقد احتوى كتاب تاريخ بابل وآشور للمدور وصفاً لنينوى يثير العجب بما كانت عليه من فخامة وضخامة ؛ وهذا المؤلف يستند على الآثار والنقوش . وقد جاء في هذا الوصف [٢] فيما جاء « ان نينوى كانت ابعـد مدن آشور شهرة واعظمها شأناً ، وكانت معظم شهرتها في عصر سنحاريب واعقابه الذين اتخذوها دار ملكهم فبلغت من العز والغنى ما لم تبلغه مدينة اخرى ، ويعرف موقعها اليوم باسم قيونجق في منطقة الموصل وكان هناك تل عظيم المحيط والارتفاع وحوله اخربة مبثوثة يحيط بهـا اثر سور يبلغ طوله من الغرب ٢٦٠٠ ياردة ومن الشرق ٣٥٠٠ ياردة ومن الشمال ٢٠٠٠ ومن الجنوب ١٣٧٠ واول من نقب فيه قنصل فرنسة في الموصل في اواسط القرن السابق ثم جاء بعده اللورد لايرد الانكليزي فامعن في الحفر والبحث ، وكان من جملة ما كشفه قصر لسنحاريب يعد من عظائم تلك العصور حتى ليقال انه لم يكن اعظم منه ، وقـد بلغ طول حجرة فيه (١٨٠) قدماً . وكان هذا القصر مزيناً بجميع الزخرفة وفيـه كثير من تماثيل الثيران ذات الرؤوس البشرية يبلغ طول الواحد منها نحو عشرة اذرع ، وهناك صور عديدة ومشاهد صيد وغـيره انيقة الصنعة ، وابـدع تلك الصور شكلا واكملها صناعة صورة سنحاريب وبجانبه رجال من بني اسرائيل ينكل بهـم وصورة اخرى تمثله على عرشه . ثم جاء بعده اللورد الانكليزي افرنسي آخر اسمه لوفتس فنقب في خرائب نينوي وكشف اشياء اخرى اجلها قصر لاسور نابال الخامس وجد فيه تحفاً كثيرة حمل منها جانباً كبيراً الى باريس فسقط اكثره في نهر دجلة ولم يسلم منه الا قليل من جملته صورة ــ اسور بانيبال المذكور صاحب القصر وقطع من الآجر عليها كتابات مسمارية .

«١» تاريخ كلدو وآثور ج١ ص١١١ – ١١٢

«٢» ص ٤٥ وما بعدها ويقول هذا المؤلف ان خرائب نينوى تعرف اليوم باسم قيو نجوق ص ٥١

ولقد جاء في الاصحاح الثالث من سفر يونان احد اسفار العهد القديم وصفاً عيانياً لسعة وعظمة نينوى التي زارها يونان بنفسه فقال « اما نينوي فكانت مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة ايام » وفي هذا ما فيه من وصف سعة محيط المدينة ، وقد جاء في الاصحاح الرابع من هذا السفر « افلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائمهم كثيرة ... وفي هذا ما فيه من وصف كثافة سكانها .

— ٤ —

ولقد كان مصير سنحاريب كأبيه قتلا في سنة ٦٨١ . فقد كان عين لولاية عهده ابناً له اسمه اسرحدون [١] ؛ وكان له أبناء آخرون اكبر منه ؛ فنقم احدهم على ابيه من اجل ذلك وتآمر مع بعض رجال الدولة على الاستيلاء على الحكم واقدم على قتل ابيه، غير ان اسرحدون الذي كان يمارس منصب الملك في بابل سارع الى نينوى وطارد اخاه فاستتب له الملك .

ولقد كان هذا الملك مقداماً نشيطاً كأبيه على ما يستفاد من سيرته في كتابي ادي شير وجميل المدور [٢] فاحتفظت الدولة في عهده بقوتها وحيويتها وسلطانها .

ومما ذكره ادي شير من سيرة [٣] اسرحدون ان الكلدان الذين هم على سواحل خليج العجم — الغالب انه يعني الآراميين الذين يسميهم احياناً الكلدان — واهل صيدا على شواطىء البحر المتوسط اعلنوا العصيان ؛ وان نبوزير بن مردوخ بلدان ملك الكلدان اغار على مدن كلدو الشمالية ؛ وقد سير اسرحدون حملة على هذا الملك فلم ير طاقة له بها ففر الى عيلام ، وخاف ملك عيلام من العاقبة فقبض على الملك اللاجىء وقتله ؛ وكان لهذا اخ معه اسمه نعد مردوخ فما كان منه الا ان جاء الى نينوى خاضعاً عائذاً فقبل اسرحدون منه وعينه ملكاً على بابل بعد ان تعهد بالخضوع والجزية .

وبينما كان يستعد للزحف على صيدا بلغه غارات اقوام برابرة عرفوا باسم كمريين على حدود مملكته الشمالية وكانوا يسكنون فيما وراء جبال القفقاس ؛ واغتنم ملكهم

«١» خبر ولاية اسرحدون للعهد ذكره طه باقر في الجزء الاول من كتابه مقدمة في الحضارات القديمة ص ٣٩٥

«٢» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ١١٤—١١٢ وتاريخ بابل واشور ص ١١١ وما بعدها .
«٣» ص ١١٤—١٢٢ تاريخ كلدو واثور ج ١

قبوشيا فرصة اغتيال سنحاريب فحمل على الجيوش الآثورية في كباد وكيه وانضم اليه بعض سكان كيليكية فزحف اسرحدون عليه وقاتله وهزمه وطارده الى مـــا وراء نهر هاليس ثم حمل على كيليكية ونكل بها وافتتح احدى وعشرين مدينة من مدنها ونهبـــا وسبى اهلها .

وفي هذه الاثناء اغار امير ارزاينا في اقاصي بلاد العرب الجنوبية على حدود آثور فحمل عليه الحاكم الآثوري واعتقلـــه وارسله الى نينوى حيث وضع في قفص في باب المدينة في مكان فيه دبب وكلاب وخنازير .

ثم زحف نحو فينيقية للتنكيل بصيدا سنة ٦٧٩ وتمكن من القبض على ملكها عبـــد ملكوت الذي كان يحاول الفرار من البحر وقطع رأسه ونهب صيدا واحرقهـــا وبنى تجاهها مدينة سماها كرخ اسرحدون ونقل اليها اقواماً من بلاد الكلدان الجنوبية ، وولى عليها والياً آشورياً ، وقد قدم عليه اثنان وعشرون ملكاً من ملوك سورية وفنيقية يعلنون خضوعهم ويقدمون هداياهم منهم بعل ملك صور ومنسا ملك يهوذا وقدموه ملك آدوم وموصوري ملك مواب وزلبيبل ملك غزه وميتنتي ملك عسقلون وايتوزو ملك عقرون وملكي اصاف ملك جبيل وماتان بعل ملك ارواد وابي بعل ملك شمرون وبودويل ملك بيت عمون واحي ملك اشدود وعشرة ملوك من قبرص على ما جاء في احد نقوشه (١) .

و كان احد ملوك كيليكية شاندواري ضالعاً مع ملك صيدا في العصيان فقبض عليه وقطع رأسه كذلك ، وعاد الى نينوى بغنائم عظيمة وعدد وافر من الأسرى في جملتهم افراد اسرتي الملكين القتيلين ومقادير كبيرة من الذهب والفضة والعـــاج والابنوس والارجوان .

وحدثت احد ملوك الاشكوزيين نفسه بالعصيان وحرض اهل مناي واخذت قواتهم المشتركة تغير على البلاد الخاضعة لآشور فحمل عليهم الآشوريون وكسروهم وطردوهم الى ما وراء بحيرة ارومية وكان ذلك سنة ٦٧٨ ق م

وفي السنة التالية ظهرت حركة عصيانية جديدة من فريق آخر مـــن الاشكوزيين المتحالفين مع الماديين واهل مناي فزحف اسرحدون الى هذه البلاد بنفسه وتوغل فيها ونكل باهلها وأسر ملكين وارسلها مع اهلها واموالها الى آثور ؛ فالقت هذه الحركة الرعب في الماديين حتى ان ثلاثة من ملوكهم لم يكونوا قد خضعوا لاشور اتوا الى نينوى مقدمين خضوعهم وهداياهم .

«١» ذكر هذا ايضاً المطران الدبس في الجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية ص٣١٤-٣١٥

وفي سنة ٦٧٥ اشتغل اسرحدون بالعرب على حد تعبير ادي شير. فقد كان سنحاريب اخذ تماثيل آلهة قيدار فجاء ملكهم حزائيل الى نينوي يلتمس رد هذه الآلهة (الاصنام او التماثيل) فاجابه الى ذلك بعد ان نقش عليها اسم آشور ومناقبه. ومات حزائيل بعد قليل فحاول زعيم اسمه وهاب ان يغتصب العرش فامر اسرحدون باعتقاله وملك يعلو بن حزائيل مكان ابيه ورتب عليه عشرة امنان من الذهب والف حجر كريم وخمسين جملا جزية سنوية، ثم بدا له امرأة اسمها طابويا كانت قد تربت في نينوي وتخلقت باخلاق الآثوريين ملكة وضم الى الخراج الذي ضربه ابوه خمسة وستين جملا ..

وقد حدثت اسرحدون نفسه بالتسلط على بلاد العرب فتوغل في هذه السنة في الجنوب وادخل بلاد بازو وخازو في جملة الولايات الآشورية وقتل في خازو ثمانية ملوك؛ وعاد ومعه آلهتهم وغنائمهم وعدد من اسراهم. وجاء ملك باريا ليلى احد ملوك هذه البلاد الى نينوى خاضعاً والتمس رد آلهته فنقش اسرحدون عليها تسابيح آشور ربه وردها اليه وسلم له بلد بازو ورتب عليه خراجاً سنوياً، وقد ذكر اسرحدون ذلك في احد نقوشه.

وبعد ذلك فكر في اخضاع مصر التي كانت تحرك ملوك سورية على الفتن والعصيان. وكان ملكها هو ترهاقه الحبشي، ففي سنة ٦٧٤ زحف على مصر ولكن ترهاقه تمكن من صده في الجولة الأولى، وشجع ذلك ملوك بلاد الشام فحالف بعضهم ترهاقه وفي مقدمتهم ملك صور اولاني وملك يهوذا منسي، فسير اسرحدون حملة تمكنت من اخضاع يهوذا واسر منسي وارساله مكبلا الى بابل؛ ولم يطلقه اسرحدون الا بعد ان تعهد بالخضوع التام. ثم مشت الحملة نحو صور فضربت عليها الحصار، وكان في نية اسرحدون ان يأتي بذاته ولكن اهل شوبريا في ارمينية خلعوا الطاعة بتحريض اندرايا ملك لوبدي فرأى ان ينكل به اولا فزحف عليه وحاصره في عاصمته ايومي مما اثار الرعب في قلب الملك وجعله يخلع ثوبه الملكي ويلبس ثوباً رثاً ويصعد الى السور باكياً طالباً الأمان؛ ومعلناً خضوعه وتوبته؛ وابى ان يقبل منه الا بعد ان يفتح العاصمة وقد فتحها فعلا وقبل التوبة ثم حمل على شوبريا ونكل باهلها وجعلهم عبيداً.

وفي سنة سنة ٦٧٠ خرج على رأس جيشه قاصداً مصر. وارسل الى شيوخ العرب لينتظروه في رافيا في اقصى بلاد فلسطين الغربية ــ لعلها يافا او رافح ــ ومعهم جمالهم ليحملوا الماء للجيش، ووصل الى حدود مصر واشتبك مع طلائع الجيش المصري

وانتصر عليها ثم جاء الجيش بقيادة ترهاقة فانتصر عليه كذلك ودخل مصر وحاصر منف وافتتحها ونهبها ؛ ويقول ادي شير ان الفتح كان سريعاً حتى ان ترهاقة لم يتمكن من نقل حاشيته ؛ وان الاثوريين اسروا الملكة وجواريها وولي العهد وغيرهم من اولاد الملك وافراد عائلة الملكين شبقون وشبتيقو . وقد اقام اسرحدون نخاو على الحكم والى جانبه عمال وقواد آثوريون ، وضرب عليه خراجاً سنوياً مقداره ست وزنات من الذهب وستمائةوزنة من الفضة وكمية وافرة من الأقمشة الكتانية والمنسوجات وجلود الحيوانات والخيل والحمير والغنم ورجع بعدد لا يحصى من الأسرى وبغنيمة لا تقدر .

وفي عودته نظف مدن سورية وطرقها من العصابات المصرية والحبشية ــ يعني الحاميات على الاغلب ــ التي كان اهل سورية يتكلون عليها ، ونقش على صخور نهر الكلب صورته الى جانب صور رعمسيس الثاني ملك مصر وتغلات بلاسر الأول وشلمناصر الثاني ملك آثور . واقام ابنية تذكارية اخرى في امكنة ثانية لغزواته ، وقد كشف عن آثار له في خرائب زنجيرلي عليها صورته وقد ركع ترهاقه ملك مصروالحبشة وبعل ملك صور قدامه وفي انفيها حلقة علامة العبودية ، وقد نقش عليها من خبر انتصاره ما نصه : « اما ترهاقة صاحب مصر والحبش فاني سرت الى منف عاصمة ملكه وتعقبت جيوشه وضربتها كل يوم دون انقطاع على مسير خمسة عشر يوماً ، اما هو فضربته بالقوس والسيف وجرحته جرحاً مميتاً ، وحاصرت مدينةمنف قاعدة ملكه وفتحتها رغماً عن مناجيقها ثم نهبتها واحرقتها » .

وكلام ادي شير قد يفيد ان ترهاقة لم يقتل وانه فر في حين ان النقش يفيد موته . وقد ذكرنا في فصل مصر ان بريستيد لم يذكر خبر مقتل ترهاقة وذكر اناشور بانيبال اشتبك معه ففر من امامه الى طيبة ومنها الى نباتا حيث حكم مدة من الزمن وهذا ماقاله ادي شير [١] ايضاً في سياق سيرة اسور بانيبال .

ولا ندري كيف يمكن التوفيق بين هذا وبين نص النقش الذي يفرض انه اوثق ولعل في الامر خلطاً او التباساً بين ترهاقة وخلفائه او تجوزاً في ترجمة النقش .

وقد تلقب اسرحدون بعد هذا النصر العظيم بالقاب « الملك العظيم القدير ملك العالم وملك آثور ونائب ملك بابل وملك شومير واكاد وملك كردونياش وملك ملوك مصر وملك صعيد وملك الكوشيين » .

«١» تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ١٢٣

ولم يورد ادي شير نصوصاً نقشية كثيرة ولكن الاعلام والاسماء والاعداد التي اوردها تدل على انه اقتبسها من نقوش او مدونات قديمة .

وفي كتاب تاريخ بابل وآشور [1] ذكر لنقوش خلفها اسرجدون جاء فيها فيما جاء « اول ما اخلدت الى الغارات وجهت طلائع بأسي جهة فينيقية فحاصرت مدينة صيداء التي على فم البحر فدككت اسوارها ونسفت مصانعها وهياكلها وطرحت انقاضها في البحر وقتلت من فيها من الكبراء والزعماء وفر ملكهـا عبد الملكوت فاوغل في البحر فتعقبت مسيره وشققت الامواج وراءه شق الأسماك حتى ادركته فقبضت عليه وجدعت انفه ثم عبرت فاستحوذت على ما في خزائنه من الذهب والفضة والحجارة الكريمة والكهرباء والجلود المطيبة بالافاويه العطرة وخشب الابنوس والانسجة المصبوغة بالنيل والارجوان . واستقت من مملكته الرجال والنساء والبقر والشاء والدواب وسائر ما تهيأ لي نقله وحمله الى مملكتي . وبعد ذلك شيدت حصناً منيعاً سميته دور اسرجدون وشحنته بالرجال الذين اجليتهم من البحر الأعلى من ناحية مشرق الشمس . » وقد قال المؤلف بعد هذا « وبعد ان تم كلامه في هذه الغزاة ذكر انه سار من هناك الى مملكة يهوذا يريد التهامها فنازلها وقهر ملكها منسي وقاده اسيراً الى بابل ثم رق له فاعاده الى ملكه على اتاوة يرفعها اليه كل سنة » قال ثم خرجت من هناك قاصداً اقليم وان ونواحي بحر الخزر فدوختها جملة وبينما انا في تلك الأطراف وقد ترامت المسافة بيني وبين مملكتي اغتنم نبوزرسمتات بن مردوخ بلادان هذه النهزة واغرى من تحت يده من الطوائف القاطنة عند خليج فارس بالنشوز عن طاعتي فانصرفت اليهم واوقعت بهم ووليت مكان نبوزرسمتات اخاه نهيد مردوخ بعد ان ضربت عليه خراجاً ، وعدت من بعد ذلك الى بابل فلما بلغتها وجدت سجلات هيكل بورسيبا قد استولى عليها رجل كلداني اسمه سما سبني وفربها الى مدينة يقال لها بيت دكوري فتوجهت اليه فيها وانتزعت من يـده السجلات المغصوبة في بورسيبا ووكلت الاحتفاظ بها الى نبو سليم بن بعازو وهو مـن الثقات القائمين بحرمة الشرائع وصيانة القوانين » ثم قال « وكان ابي قد غزا الى بلاد العرب وافتتح مدينة دومة الجندل وهي عاصمة البلاد فجددت الغـارة على تلك البلاد وقهرتها وغنمت منها واجلبت جمعاً غفيراً من اهلها ، وبعد ذلك وفد علي الرسل مـن عند ملكتهم يحملون الي الهدايا السنية والبضائع التي يعز وجودها في غير البلاد العربيـة

«١» ص ١١٢-١١٥

ويسألونني ان امنّ عليهم بالاصنام التي غنمتها مـن ارضهم ، فاستجبت مسؤولهم وامرت النحاتين فاصلحوا ما تعطل منها ثم امرت فنقشت عليها تسابيح اشور وعظائم اسمي المبجل ، وبعد ان مضت على ذلك مدة من الدهر تغير رأيي فيهم فوجهت اليهم طابويا احدى نسائي تتولى الحكم عليهم وقلت لها اذهبي فقد جعلتك سيدة على العرب كلهم ، وعهدت اليها ان تأخذ لي منهم في كل سنة خمسة وستين وقرجمل علاوة على ما كانوا يؤدونه الى ابي سنحاريب » ثم ذكر « انه بعد ذلك توجه لتدبير اقليم الحجاز وعاصمته اذ ذاك مدينة يثرب وعليها ملك اسمه حسن فلما قضى نحبه قلد مكانه ابنه يعلي وضرب عليه اتاوة جزيلة ، ثم اوغل من هناك في بلاد العرب حتى اتى اليمن ودخل حضرموت وغنم منها الغنائم الطائلة وعطف منها على بلاد فارس فدوخها واسر بعضاً من ملوكها وقفل عنها ظافراً مؤيداً » .

وبين هذه النصوص وبين ما اورد ادي شير من سيرة اسرحدون مطابقـة في نقاط كثيرة مما فيه توكيد لما قلناه ؛ مع التنبيه على ان المدور ينفرد في ذكر غزو اسرحدون ليثرب والحجاز وحضرموت . فلم يذكر هذا ادي شير ولم يشر اليه جواد علي صاحب الدراسات الواسعة في تاريخ العرب قبل الاسلام . ونخشى ان يكون مترجم النقش في كتاب تاريخ بابل وآشور متجوزاً .

ولقد ذكر الدبس في الجزء الاول من المجلد الاول مـن تاريخ سورية [1] سيرة اسرحدون في بلاد الشام واشار الى ما ذكرته نقوشه من احداث ومما اورده من ترجمة هذه النقوش وفيه مطابقة لما جاء في نصوص جميـل المدور وسيرة ادي شير « ضربت مدينة صيدون التي على ساحل البحر واهلكت سكانها على آخرهم ودمرت اسوارهـا ومنازلها والقيت موادّها في البحر ونقضت الهياكل وفر ملكها عبد ملكوت في البحر كسمك ايختفي عن وجه عزتي فاجتذبته الي من بين الامواج واستحوذت على خزائنه من ذهب وفضة وحجارة كريمة وكهرباء وصندل وابنوس ومنسوجات من الصوف والكتان وكل ما حواه قصره . وجلوت الى آشور جمعاً غفيراً من الرجال والنساء واخذت ايضاً بقراً وغنماً ودواب الركوب والحمل واقمت سكان ساحل سورية في انحاء شاسعة وبنيت في وسط بلاد الحيثيين مدينة سميتها دار اسرحدون واسكنت فيها القوم الذين قهرهم ذراعي في الجبال التي في جبال مشرق الشمس واقمت عليهم احد عمالي حاكماً

«١» ص ٣١٥

وبعد ذلك قال « وقال (اي اسرحدون) في أثر آخر انه دعا اليه الملوك الخاضعين له في بلاد الحيثيين اي في سورية وفونيقي وفي الجزر فكانوا اثنين وعشرين ملكاً وعددهم هكذا : بعل ملك صور ــ منسا ملك يهوذا ــ قدموه ملك ادوم ــ موصوري ملك مؤاب ــ زليبل ملك غزه ــ ميتينتي سلك عسقلون ــ ايتوزو ملك عقرون ــ ملكي اصاف ملك جبيل ــ ماتان بعل ملك ارواد ــ ابي بعل ملك شمروت ــ يودويل ملك بيت عمون ــ احي ملك اشدود » ثم يعدد عشرة ملوك في مدن قبرس .

ولقد اشار الدكتور جواد علي[٢] الى نقوش كثيرة خلفها اسرحدون وسجل عليها اعماله وذكر من هذه الأعمال ما يتصل منها ببلاد العرب خاصة . وفي ما ذكره هـذا المؤلف وما اورده ادي شير مطابقة في نقاط عديدة مما فيه كذلك توكيد لما قلناه ، وقد ذكر المؤلف اسماء الملوك الثمانية التي قال ادي شير ان اسرحدون قتلهم من ملوك العرب نقلا عن النقوش وهم كيسو ملك خالديلي واكبرو ملك ايل بياتي وبنيتي ومنسكو ملك مجل أني والملكة يافا ــ يفي ــ ملكة دخراني وخبيصو ملك قدباء ونخـارو ملك جعباني والملكة يا ايلو ملكة اخيلو وخبا تمرو ملك بداء ؛ ومما ورد في النقوش التي اشار اليها المؤلف ان ليلي ملك يادي تمكن من النجاة غير انه ذهب الى نينوى وطلب العفو والصفح فقبل اسرحدون منه ذلك وتآخى معه واعاد اليه اصنامه وعينه ملكاً على ارض خازوا على ان يدفع اليه الجزية . »

ففي كل هذا توكيد آخر لما قلناه من ان سيرة اسرحدون هي الاخرى مقتبسة مـن النقوش .

وكان هذا الملك كأبيه وجده ايضاً مولعاً بالعمران . وقد اهتم لاعمار وتزيين بابل وسلخ في ذلك خمسين سنين . وانشأ وعمر في آشور واكاد ستة وثلاثين معبداً وصفح ابوابها بصفائح من الذهب والفضة ، وبـنى لنفسه في نينوى قصراً فاق جميع القصور السابقة ، وكان سقفه من خشب الأرز الذي جلبه من لبنان ومستنداً على اعمدة مـن سرزوه مطوقة بالذهب والفضة وعلى ابوابه تماثيل اسود وثيران ؛ وقد اقتبس من مصر صورة ابي الهول فصنع تماثيل عديدة على غرارها ووضعها على ابواب القصر [٣] .

«١» العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٣٢٠ – ٣٢٤

«٣» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ١٢٢

وكان هذا الملك على ما يقول ادي شير [١] بالاضافة الى كثرةفتوحاتهوولعهبالعمران يفوق اسلافه سماحة مع مماثلته لهم بالجرأة والحماسة فكان عوضاً عن ان يسلخ جلود المغلوبين او يصلبهم يلاطفهم ويكرمهم ، وكان اسلافه يدمرون البلاد المفتوحة وكان هو يجتهد في تعمير ها .

ويقول جميل المدور [٢] ان اسرحدون مرض واعضلت علته فجمع اكابر دولته وعقد بحضرتهم بيعة الملك لولده اشور بانيبال ولم يبق لنفسه سوى مدينة بابل واعمالها وكان ذلك سنة ٦٦٨ وعاش بعدها سنة واحدة ثم ادركته الوفاة .

-١٣-

ولقد كان اسور بانيبال ابن اسرحدون الذي تولى العرش يعده من الملوك الاقوياء العظام ايضاً فاحتفظت الامبراطورية الآشورية بعظمتها وسلطانها في عهده كذلك .

ومما عرف من سيرته التي اوردها ادي شير [١] انه بدأ بتتويج اخيهشمشوكينملكاًعلى بابل باحتفال عظيم . ولقد كان تمثال الاله في نينوى وكان من للعادة ان يمسك ملكبابل بيده في معبده ليكون ملكه شرعياً ، فاخرج الثمثال من نينوى وسير بـه الى بابل في موكب عظيم مشى فيه أسور بانيبال واخوه شمشوكين واستقبله سكان بابل بالأناشيد والافراح حتى ادخل الى المعبد وامسك شمشوكين بيده .

ولقد كان ترهاقة ملك اثيوبيه قد كر من اثيوبيه على مصر ونكل بانصار الآثوريين فيها وفرض سلطانه ثانية عليها ، فسير عليه اسور بانيبال سنة ٦٦٧ حملةبقيادة قائد اسمه ترتان وتمكن هذا من الانتصار على ترهاقة في الدلتا وهزيمته ، وفر هذا الى طيبة فتعقبه الاثوريون اليها ، وقد عزز اسور بانيبال الحملة بمدد جديد ضم اليه قوات بعض ملوك الشام الاراميين الذين ينعتهم ادي شير بالسريان وامر الفينيقيين ان يذهبوا بسفنهم الى الدلتا ويصعدوا في النيل الى طيبة ثم سار بنفسه ليشرف بنفسه على الحركة ؛ مما اثار الرعب في ترهاقة وجعله يفر الى نافاطا (نباتا) عاصمة بلاد الحبشة ، وطلب اهل طيبه الامان حينئذ ودخل الأثوريون المدينة واخذوا نصف ما كانفيخزائن هيكل امون ورجع اسور بانيبال الى نينوى غانماً منصوراً .

وعاد ترهاقة الى الحركة والتآمر مع حكام مصر وعلم الاثوريون بذلك فقبضوا على

«١» نفس المصدر

«٢»ص١١٥

«٣» تاريخ كلدو واثور ج ١ ص١٢٣ — ١٢٥

المتآمرين وارسلوهم الى نينوى ونكلوا بمدنهم ، وكان من بينهم نخاو ملك مصر فاكرمه اسور بانيبال وخلع عليه ورده ملكاً على سايس (صان) وعين ابنه بسماتيك اميراً على اتريب .

وبينما كان الاثوريون يحاربون في مصر أغار تانداي امير كيريت في الجهة الشرقية على اقليم يموتبال فحمل عليه الاثوريون وقبضوا عليه ونفوه هو وشعبه الى بلاد مصر .

وفي هذه الاثناء اي في سنة ٦٦٧ ارسل جرجي ملك لودية رسلا مع هدايا كثيرة الى نينوى ، وقد ذكر اسور بانيبال ذلك في نقش له فقال « ان جرجس ملك لودية وراء البحور التي لم يكن اسمها قد طرق مسامع اجدادي قال له آشور ربي في الحلم اذهب واركع عند قدمي اسور بانيبال ملك الآثوريين فانك بمجرد اسمه تقهر اعداءك فارسل الي رسله ونقل ما رآه في الحلم ولم يعرف احد من الذين في معيتي لسانه ففتشت في مملكتي الواسعة ووجدت اخيراً من يعرف اسمه .

وكان ترهاقة قد مات سنة ٦٦٦ في بناتا (تافاطا) وجلس مكانـــه صهره تندماني (يعني تانوت آمون) فجـــاء واستولى على مصر وفتح منف وانتصر على الآثوريين وحلفائهم المصريين ، وقتل نخا في هذه المعركة وهرب ابنه بساطيق الى سورية واضطر الحكام الى الخضوع له .

وكان اسور بانيبال مشغولا في هذه الاثناء بمحاربة عيلام لان ملك شوشان تحالف مع القبائل الآرامية التي على سواحل الخليج وعبر دجلة وهاجم كلدو سنة ٦٦٥ ولم يكن لشمشو موكين طاقة به فاستنجد باخيه فبادر اسور بانيبال الى نجدته ممـــا جعل ملك شوشان يفر الى بلاده حيث مات فجأة وجلس اخوه مكانه واراد هذا قتل اولاد اخيه فالتجأوا الى اسور بانيبال .

ولم يكد يهدأ باله من هذه الناحية حتى زحف على مصر وكان ذلك سنة ٦٦٤ واستعد تندماني للقائه في ثيبيس (طيبه) فصعد الآثوريون اليه وهاجموا طيبه وفتحوها ونهبوها واسروا جميع سكانها وارسلوا ما وجدوه فيها من ذهب وفضة ونحاس وحجارة كريمة الى نينوى ؛ ومن جملة ما ارسلوه هرمان كبيران « يعني مسلتين على الارجح » كانا على باب احد الهياكل ثقلهما مئة وزنة ، وهرب تندماني [1] الى الحبشة . فاجلس اسور بانيبال بساطيق ملكاً مكان ابيه ورجع الى نينوي بغنيمة عظيمة .

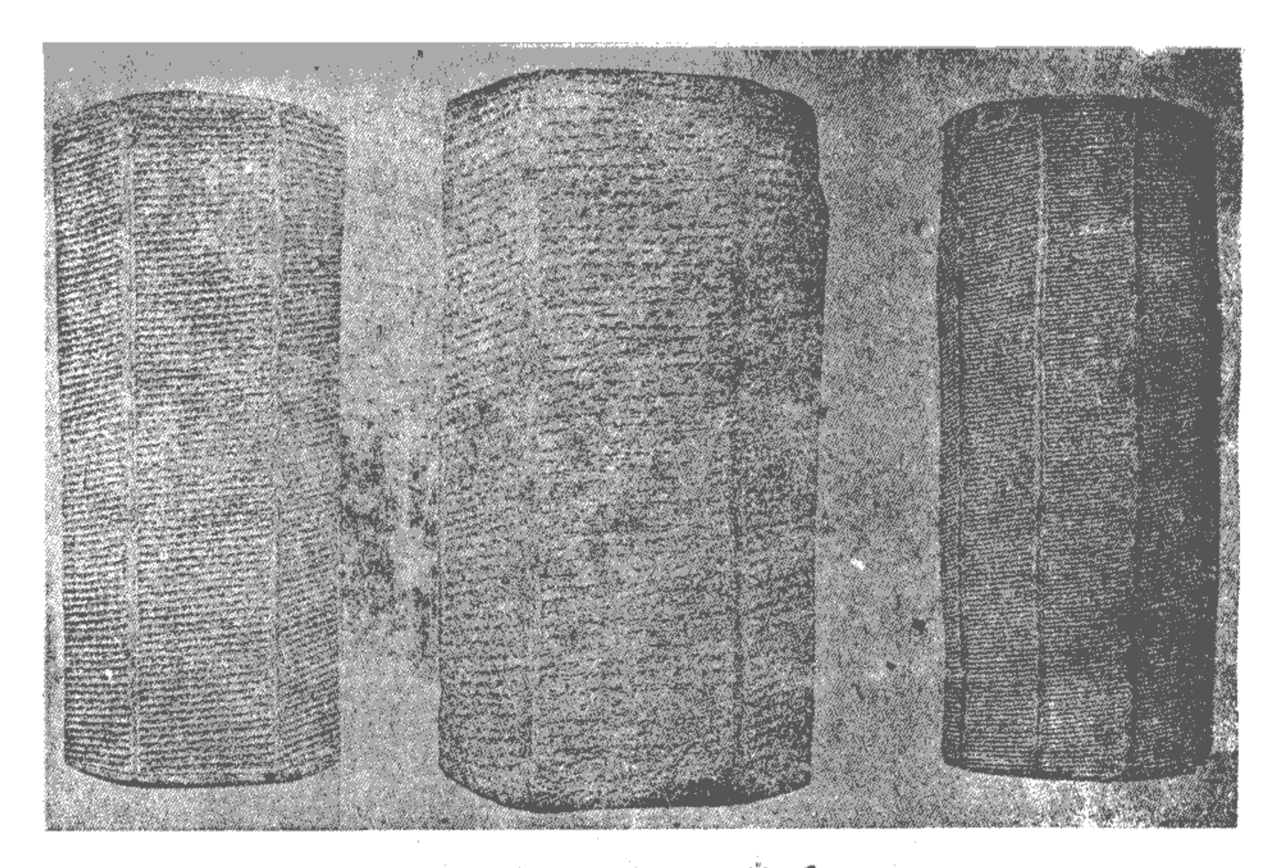
«١» هو الذي ذكر في تاريخ مصر باسم توات مياموت او تانوت امون .

وحاول احشيري ملك مناي ان يتفلت من سلطان آثور وانقض على حين غفلة على الحامية الآثورية ولكن الأثوريين تغلبوا عليه وهزموه وافتتحوا ثماني مدن من مدنه الحصينة ونهبوها وتحصن حشيري في قصر له في الجبل فوثب به رجاله فقتلوه والقوا جثته خارج المدينة وبايعوا ابنه الذي أعلن خضوعه وقدم الهدايا الجزيلة للآثوريين .

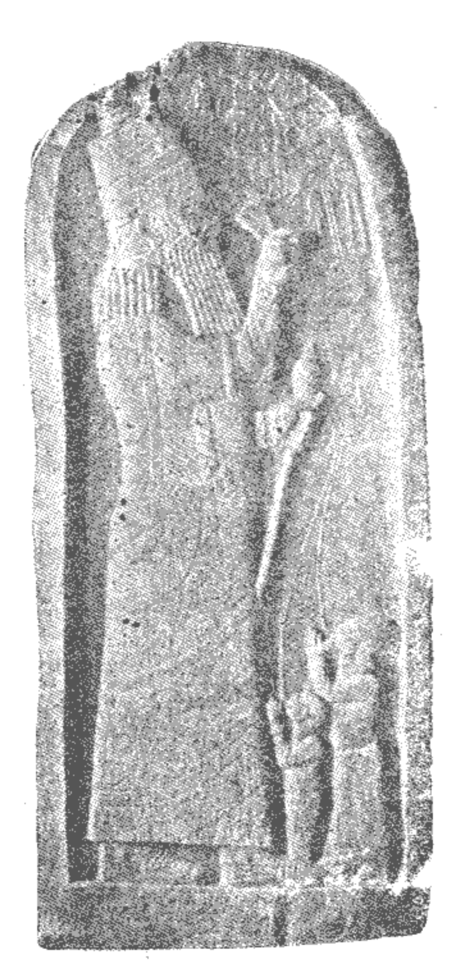
وتحاول احد امراء مادي مع ملكين من ملوك زاحي واغار على الحدود فقبضت الحاميات الأثورية عليهم وارسلوهم الى نينوى .

وحاول ملك عيلام التمرد واخذ يحرض الاقوام الارامية مرة اخرى ثم طلب من اسور بانيبال اخراج اولاد الملك القديم من نينوى ، فرفض هذا واعلن على ملك عيلام الحرب وزحفت قواته عليه واشتبكت مع قواته في حرب طويلة وانتصرت في النهاية عليها وسقطت ميسرتها في نهر اولاي حتى امتلأ النهر بالجثث والخيل والأسلحة وانقاض العربات اما الميمنة ففرت مكسورة مذعورة ولحق بها الاثوريون يثخنون فيها وظفروا بالملك وابنه وقتلوهما وارسلوا رأسه الى اسور بانيبال الذي كان يحتفل بعيد عشتار في اربيال ، واضطربت الفتنة في عيلام ضد الأسرة المالكة وخرج اهل شوشان وعليهم ثياب العيد لاستقبال الأثوريين ويتقدمهم الكهان والمغنون ، ونصب اسور بانيبال چوسبانيحاش ابن الملك ارتاقو ملكاً على عيلام بعد ان اخذ منه عهداً بالخضوع والجزية وقد انثنى الأثوريون على كمبولا التي كانت ضالعة مع ملك عيلام فاعتقلوا ملكها وارسلوه الى نينوى حيث سلخ جلده وهو حي .

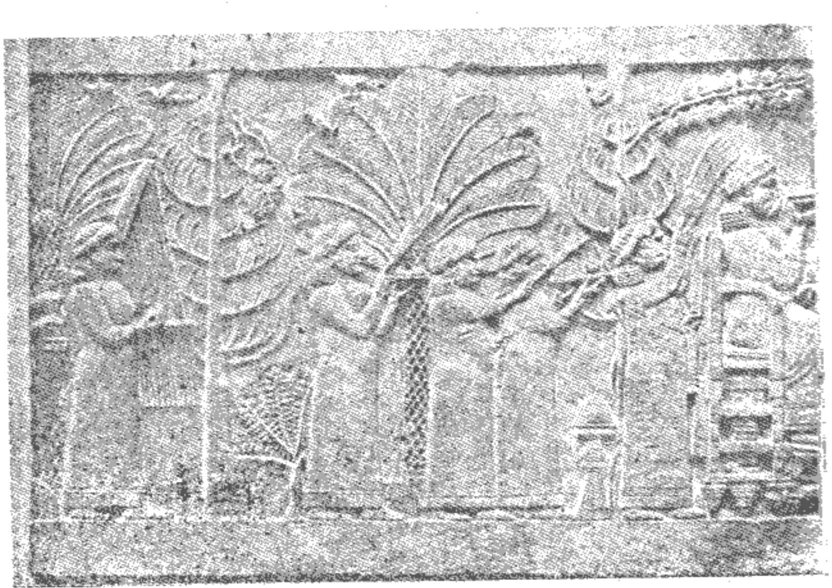
وكان شمشوموكين اخو آسور بانيبال وملك بابل يشعر بالغضاضة من تبعيته لأخيه ويغار مما صار له من الصيت العظيم فاضمر في نفسه النضال والاستقلال ، واخذ يحصن بابل من جهة ويتصل بالملوك الذين كانوا يستثقلون وطأة سلطان اسور بانيبال من جهة اخرى ، وقد استجاب اليه الكلدان ــ يعني الاراميين ــ الذين على سواحل البحر والفرات وملوك فينيقية والعرب وتعهد ملك قيدا باشغال حدود سورية وعويتة بن ليلى بارسال نجدة الى بابل ودخل في المؤامرة ملك عيلام برغم مما كان من احسان اسور بانيبال اليه ؛ وارسل شمشوموكين بعض رسله الى آثور لتحريك الفتنة فيها ايضاً ؛ وذر قرن العصيان في عيلام اولا وتبعهم الاراميون . واخذت الاشتباكات تقع بين العصاة والقوات الأثورية وكانت الايام متداولة بين الطرفين وفي هذه الاثناء نشبت الفتنة في عيلام فيسر ذلك النصرة للآثوريين ، وانفرد شمشوموكين وحده في الميدان وضربت القوات الاشورية



مراسيم ملكية لآشور بانيبال واسرحدون وسنحاريب



تمثال للملك الاشوري
اسرحدون



موكب لاشور بانيبال مع زوجته

على بابل الحصار حتى بلغ الجوع والجهد في اهلها اشد مبلغ وصاروا يأكلون كل شيء حتى اولادهم ، وحاول العرب ان يزعجوا القوات الأشورية ويعطلوها عن بابل فاخفقوا فاستسلموا وتمكنت القوات الاثورية في النهاية من دخول بابل وانف شمشوموكين ان يقع اسيراً في يد اخيه فاحرق قصره وباد بالنار هو ونساؤه واولاده قاطبة ، وقد نكل اسور بانيبال بالذين تآمروا مع اخيه في بابل وفي ذلك يقول في احد نقوشه « حل غضب سادتي الآلهة العظيمة عليهم ولم يتخلص منهم احـــد ولم يشفق على واحد منهم ، كلهم وقعوا في يدي . واتوني بعرباتهم وعدتهم الحربية ونسائهم وخزائن قصورهـــم ، إني قطعت السنة الذين خانوني وائتمروا علي وعلى آشور ربي واهلكتهم تماماً ورميهتم الى الخندق وجعلتهم فريسة للكلاب والجوارح . اما سائر بني بابل وكوتا وسبار الـــذين احتملوا العذاب ومشقة الجوع فقد غفرت لهم ووضعت عليهم سنة آشور وبيلتي الهي آثور وضربت عليهم الخراج والجزية المضروبة على سائر ولايات مملكتي » .

وقبل خروجه من بابل قبض على يدي الأله بيل ونادى بنفسة ملكاً عليها ثم ولى احد قواده حاكماً ورجع الى نينوى ظافراً . وكان ذلك سنة ٦٤٨ .

واراد اسور بانيبال ان يقاصص الذين استجابوا الى تحريك شمشومكين وبدأ بالعرب ففوّض الى حكام ادوم ومؤاب وعمون وحوران ودمشق تأديب ملوكهم وامرائهـــم فحملوا عليهم وقهروهم وقبضوا على كثير منهم وارسلوهم الى نينوى .

ثم اتجه نحو عيلام وكان ملكها قد اجار بعض امراء الكلـــدان ـــ الاراميين ـــ وفي جملتهم نبو بيلشوم ملك بيت ياقين فارسل يقول له « ان لم تسلم لي هؤلاء فاني ازحف واخرب المدن واستأسر اهل شوشان ومادكتو وحيدلو وانزلك عن عرشك واسحقك كما سحقت يتومان قبلك » وقبل وصول طلب اسور بانيبال قام عظماء عيلام على ملكهم وقتلوه وارسل اسور بانيبال تماريتا ملك عيلام السابق الذي كان اسيراً في نينوى ليستولي على العرش فانضم اليه كثير من العيلاميين ونشبت بينه وبين الملك الـــذي ولاه عظماء عيلام الفتنة والحرب ، وساعدته القوات الاثورية فاحرز النصر وجلس عـــلى العرش ؛ وقد قتل الأثوريون خلقاً كبيراً من بيت ايمي التي قاومته واسروا من بقي من أهلها وارسلوهم الى آثور .

وجنح الملك تماري الى خيانة آثور التي ساعدته فقبض الاثوريون عليه وارسلوه مكبلا الى نينوى ثم عادوا من حيث اتوا فعاد الملك الاول الذي ولاه العظماء ثانية الى

العرش ؛ وفي سنة ٦٤٦ اغار اسور بانيبال على عيلام واخذ يفحش فيها وهرب ملكها ودخل اسور شوشان للمرة الثالثة واستولى بالاضافة اليها على عشرين مدينة اخرى ، وقد اعمل الاثوريون في شوشان والمدن الاخرى النهب طيلـة شهر كامل وقد ذكر اسور بانيبال ذلك في احد نقوشه فقال « اني بارادة آشور واسنارا دخلت قصورهـا واسترحت فيها وفتحت الكنوز واخذت الذهب والفضة وكل ما وجدت من اموال وخيرات . واخذت ايضاً تمثال الاله سويشناك الساكن في الغابات والذى لم يكن احد رأى وجهه الالهي واخذت تماثيل الآلهة سمدو ولغار وامان كشيبار وادوران وشفاف وسبيت الى آثور كل هذه الآلهة والإلاهات مع ثروتها وكنوزها وكهنتها وارسلت ايضاً الى آثور اثنين وثلاثين تمثالا من تماثيل الملوك وكانت كلها من الذهب والفضة والنحاس وكسرت الاسود المجنحة التي تحرس قصور عيلام .

وكانت عيلام قد اخذت تمثالا لاله اشوري في الأزمنة القديمة اسمه نانا فكان مـن جملة التماثيل التي اخذها اسور بانيبال بعد ان بقي في عيلام ١٦٣٥ سنة منفياً على حـد تعبير ادي شير الطريف .

اما ملك عيلام الهارب فقد رجع بعد عودة اسور بانيبال ، فارسل عليه حملة واخذت تطارده في الجبال والاودية حتى ظفرت به وسيق الى بابل فالقي في السجن واستولى اسور بانيبال على عيلام وولى عليها قواده .

وفي هذه الاثناء امتنع عبياته ملك العرب الجديد ـ الارجح انه يعني ملك قيدار ـ لان قيدان كانت هي المملكة العربية البارزة حينئذ ـ عن اداء الخراج واقتدى بـه نادان ملك النبطيين في اطراف حوران والملك هوينه ، فلما كانت سنة ٦٤٢ خرجت القوات الآشورية من نينوى وعبرت الفرات وتوغلت في الصحراء واجتازت ببـلاد ماش وازلا وقيدار وهي تقطع الاشجار وتسد الآبار وتحرق الخيم وتستاق الناس والمواشي ثم وصلت الى دمشق بغنيمة عظيمة ، وخرجت منها متوجهة نحو النبطيين في اطراف حوران وحاصرت مدينة حلمولتي وافتتحتها واستولت على كل تلك البـلاد واسرت الملك عبياثه وضربت الجزية على الملك نادان . وفى رجوعها نكلت بمدينتي عكا واوشا في فينيقية لعصيانهما على هذه القوات . ورجعت الى نينوم بغنيمة جسيمة حتى ان اجمل بيع على ابواب نينوى بنصف مثقال فضة .

ولقد اغتنم بسماطيق ملك مصر فرصة انشغال اسور بانيبال بفتنة اخيه فاستبد بالحكم

وطرد الحاميات الآثورية ؛ ولم يفكر اسور بانيبال باخضاعه ثانية لسلطانه .

كما انه لم يباشر حرباً بنفسه ولم تذكر الآثار احداثاً حربية في عهده بعد انتقامه من بابل والعرب .

وقد كانت مملكته تشمل بلاد كلدو الشمالية والجنوبية وعيلام ومادي وفارس ومناي وارارطو مع ارمينية كلها والتوبال والماشك وكيليكية ولودية وقبرص وسورية كلها واسرائيل ويهوذا وفلسطين وفينيقية وعمون ومواب وقبائل العرب المتعددة وشملت مصر مدة ما بل تعد مصر من جملتها .

وقد صرف بقية حياته على بناء اضيا كل وزخرفة القصور . فجدد القصر الذي بناه جده سنحاريب وزخرفه وشيد ابنية كثيرة في آثور وبابـل وأور واوروك وبورسيبا وكوتا ونيبور . وبلغت صناعة النقش والتصوير في ايامه الى درجة سامية من الكمال كما تدل على ذلك التصاوير التي صنعت في زمانه . ومما اشتهر به حبه للعلـوم والآداب . وقد استجلب من المدن الكلدانية كل ما وجده من الكتب القديمـة في آداب الكلدان وعلومهم وصنائعهم وتواريخهم ودياناتهم واستنسخها وانشأمكتبةجليلةفي نينوى ، حفظ الدهر منها بقايا كثيرة ووجدت بين خرائب نينوى ونقلت الى لندن ، وقد بلغ عـدد الالواح الآجرية التي تمثلها عشرين الفاً .

وقد كتب الدكتور بتزولد الانكليزي بتكليف من ادارة المتحف البريطاني كتاباً فيها وصنفها ووصف محتوياتها فيه . ومما عرف عنها انه كان لكـل موضوع صفائح متعددة على هيئة معلومة وقطع واحد ولها هوامش مضبوطة وتذييلات وتصحيحاتتدل على شغف بالتنظيم والترتيب ومعرفة باصول التدوين .

ولم يورد ادي شير غير نقش واحد من النقوش التي سجل اسور بانيبال فيها اعماله غير ان ما اورده في سيرته من اسماء واعداد واحداث محددة يسوغ القول انه استند في ذلك الى نقوش ونصوص قديمة . ولقد نبه على مراجع لتاريخ اسور بانيبال مثل تاريخ اسور بانيبال لسميث ومجلة الكتاب المقدس وماسبرو المطول ؛ ونرجح ان هذه المراجع قد احتوت نصوصاً قديمة عول عليها ادي شير في ما اورده من سيرة هذا الملك .

ولقد اشار الدكتور جواد عـلي [1] الى نقوش عديـدة لاشور بانيبال ولكنـه لم يورد نصوصها وانما اكتفى بالتنبيه على ما فيها من احداث متصلة بالعرب مثـل

---

(1) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٣٢٩-٣٣٤ .

التجاء ملك عربي اسمه Waite عويطة اليـــه وكان مغضوباً عليه مـــن اسرحدون واسترضائه واسترداد اصنامه التي اخذها ابوه ؛ ومثل تآمر بعض ملوك العرب مع اخيه شمشوكين وتنكيله بهم مما فيه تأييد لما ذكرناه لان هذه الاحداث ممـــا ذكرها ادى شير ايضاً .

ولقد ذكر جميل المدور [1] شيئاً مقتضباً من سيرة اسور بانيبال متطابقاً اجمالا مـــع ما اسهب فيه ادي شير هذه السيرة . وهـــذا المؤلف يستند على نقوش ونصوص قديمة فيما يكتبه وقد اورد نصوص من نقوش عديدة لملوك عديدين مـــن الآشوريين . ولكنّه خلافاً لعادته لم يفعل كذلك بالنسبة لسيرة اسور بانيبال . على انه ذكر فيما ذكر تضييق هذا الملك على الملك هويتع الذي يرجح انـــه Waite الذي ورد ذكره في النقوش التي اشار اليها جواد علي حيث يدل هذا على انه هو الآخر اطلـــع على نقوش لاسور بانيبال وانه استند اليها في ما ذكره من سيرته وانه لم يذكر ذلك صراحة .

وقد وصف هذا المؤلف هويتع هذا بانه ملك الحجاز وقال إنه كان في مدينة يثرب وان اسور بانيبال حاصره فيها زمناً الى ان ضايقه وسد عليه المنافذ فاستأمن اليه فأمنه ودخل المدينة سلماً وطلب منه اثنين من قواده فاتاه بهما فامر بسلخ جلدهما وهما حيان ثم امر بصلبهما وانصرف قافلا الى نينوى . هذا في حين ان جواد علي قال عن هويتع ان اسرحدون نصبه ملكاً على قيدار وانه تآمر على آشور بعد ذلك فغضب عليه ملوكها .

ولقد انفرد جميل المدور فى ذكر خبر غزوة اسرحدون للحجاز ويثرب . وهو ينفرد هنا في ذكر غزوة اسور بانيبال ليثرب والقول بان هويتع كان ملكاً على الحجاز . وقد قلت في تلك المناسبة اننا نخشى ان يكون متجوزاً ونرى ان نقول هذا في هذه المناسبة .

ولقد اورد المطران الدبس [2] نقشاً لاسور بانيبال جاء فيه « ذللت بعلا (ملك صور) وجعلته يعرض عن اطاعه ويخضع عنقه لنيري واشخصت لدي بناته واخوات اخيـــه ليكن لي اماء وأتى ياملك ابنه يبدي خضوعه لي ويقدم لي تقادم لم يسبق الي مثلها ويدفع الي رهينة بنته وبنات اخوته فعفوت عنه ونصبته ملكاً على البلاد » .

ويستفاد من سياق المطران ان هذا الحادث وقع في سنة ٦٦٤ ق م وفي سياق تمرد ترهاقة على اشور وزحف اشور بانيبال على مصر . ولم يذكر ادي شير هـــذا الحادث

«١» تاريخ بابل واشور ص ١١٦ ١١٨

«٢» الجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية ص ٣١٧-٣١٨

ولكن نص النقش الذي يعزوه المطران الى لانرمان يؤيد صحته كما هو المتبادر فالظاهر ان تمرد مصر اغرى ملك مصر وغـيره بالتمرد فتعرضوا لتنكيل اسور بانيبال اسوة بتر هاقة .

-١٣-

نهاية الامبراطورية الاشورية (١)

ولقد كان عهد اشور بانيبال آخر عهود القوة لهذه الامبراطورية . وقد خلفه على العرش ولدان قتل احدهما الآخر وجلس مكانه وهما اشور يتيلاني وبيلز يكير يسكين الذي يسميه ادي شير باسمين آخرين وهما سركوس وسين شاريشكين وقد اختلف في اسم السابق واسم اللاحق مع الترجيح ان الاول كان اشور بتيلاني والثاني سين شاريشكين.

ولم يكن الاثنان ذوي حزم وحيوية ومواهب كاسلا فهما وقد استشرى النزاع بينهما فشغلا عن الدولة ، وانتهزت الاقاليم الفرصة فاخذت تتمرد على سلطان آشور ، وقـد تمرد من الجملة الماديون الذين كانت بلادهم تمتد من بحر قزوين شمالا الى جبـال ذكرا جنوباً . وقد كانوا في البدء في نزاع مرير مع العيلاميين في الجنوب الشرقي فلـما خضد الآشوريون شوكة هؤلاء قووا وتمكنوا في مناطقهم ، ومع ان الاشوريين كانوا يبسطون سلطانهم عـلى الماديين الا انهـم لم يخضدوا شوكتهم بالمـرة ؛ فلم يكد اسور بانيبال يتوفى حتى اعلنوا تمردهم من جهة واخذوا يتبسطون في السيطرة علي المناطق المجاورة لهم من جهة اخري بقيادة الملك الذي يسميه ادي شير كواصار وقد تحالف هذا الملك مـع حاكم بابل نبو لا نصر الذي كان بدوره قد اعلن التمرد على نينوى ونادى بنفسه ملكاً على بابل ، وقد تصاهر الملكان فتزوج نبوكدلانصن ببنت كواصار فكان ذلك مـن عوامل تدعيم الحلف بينهما ، وفي سنة ٦٠٩ مشت قوات الحليفين على نينوى وضربت الحصار عليها مدة سنتين حتى تمكنت من فتحها ، ولم ير ملكها سين شاريشكين ان يقع في ايدي اعدائه فاشعل النار في قصره وذهب هو واسرته وقصره طعمة للنار ؛ ولما دخلت الجيوش المدينة اعملت فيها يد النهب والتدمير حتى صارت كلها ردماً . وقد قال ادي شير ان البابليين لم يشاركوا الماديين في نهب الهياكل وحرقها للآلهة الآشورية التي كانت آلهة البابليين ايضاً .

«١» هذه النبذ مقتبسة من تاريخ كلدو وآثور ج١ص١٣٥- ١٣٩ وقد ذكر المؤلف مرجعه فيها وهو كتاب نزاع دولة اثور وانقراضها لمؤلف اسمه دي مور .

وهكذا زالت هذه الامبراطورية العظمى خلال مدة تقل عن عشرين سنه دون تدرج في السقوط والانهيار حيث كانت في عهد اسور بانيبـــال في اوج عظمتها وسلطانها . ولقد نبه ادي شير الى ذلك واعتبره نتيجة لعيوب سياسة ملوك هذه الامبراطورية الذين كانوا يسيرون على خطة التوسع الواسع في الفتوح والاستيلاء دون راحة ولا تنظيم ولا تركيز ولا تأنيس ولا تأليف ولا دمج ، وكان معظمهم يعمد الى اذلال الشعوب وتدمير البلاد واستعمال القسوة البالغة مما اثار الاحقاد المريرة في قلوب الاقوام وكان يحفزهم على التمرد الدائم والاستجابة لكل تحريض واغتنام كل فرصة للتفلت من السيطرة الاشورية وقد تعرضت الامبراطورية للانهيار اكثر من مرة بسبب هذه السياسة حينما كان يعتلي عرشها ملوك ضعفاء كما حدث بعد تغلات بلاشر الاول واداد نـــيري الثالث واسور بانيبال وقد استطاعت ان تعود فتقف على اقدامها في المرتين الأوليين ولكن المرة الثالثة كانت القاضية عليها .

-١٤-

ولقد عقد طه باقر الفصل التاسع والفصل العاشر من كتابه على الاشوريين [١] اكد فيها انتماءهم الى جزيرة العرب وجنسيتهم السامية اي العربية في اصطلاحنا وقـــدم طروئهم على العراق . وقد قسم تاريخهم الى ثلاثة ادوار القديم والوسيط والحديث ، وقسم الاول الى طورين ، وقال عن الطور الاول انه متصل بما قبل التاريخ وعن الثاني انه كان يقوم فيه دويلات مدن على ما نحو مـــا كان في العراق الجنوبي ، وان هـــذه الدويلات خضعت للامبراطورية الاكدية ثم لامبراطورية اور الثالثة ، ثم اخذت تستقل وتتطور الى مملكة قوية مستقلة .

ولا يسرد المؤلف تاريخ الاشوريين واسماء ملوكهم وسيرتهم سرداً تاريخياً وانمـــا يذكر الاحداث والأسماء البارزة ، ويتطابق في نقاط كثيرة مـــع ادي شير ، مؤلف تاريخ كلدو وآثور . ويذكر مع ذلك احداثاً لا يذكرها ادي شير ، ويتخالف معـــه في نقاط .

ويسمي باقر ايرمي شوم الذي يورده ادي شير في رأس قائمة الملوك الاولين باسم « ايلو شوم » ويقول انه من الملوك الأقوياء وانه كان معاصراً لسوموابوم مؤسس دولة بابل الكبرى الاولى ، وانه اثر عنه قوله « إنه حرر الاكديين ومدنهم » مما يدل على انه

«١» مقدمة في الحضارات القديمة ج ١ ص ١٦٣ – ٢٠٢

مملكة أشور كانت قويت وتفلتت من نفوذ الجنوب ثم استطاعت ان تساعد هذا الجنوب على عدو كان يغزوها هو في الغالب العيلاميون الذين كانوا متسلطين على العراق الجنوبي قبل حمورابي كما مر بيانه، ويقول باقر عن شمسي داد احد ملوك الدور الاول الذين ذكرهم ادي شير ان المملكة الآشورية بلغت في زمنه مبلغاً من القوة مكنها من فرض سلطانها على القسم الشمالي من بابل ولا سيما مملكة اشنونا وعلى قسم كبير من سورية بل وعلى بابل نفسها زمناً قصيراً وانه قضى على مملكة مادي في الفرات وعين ابناً له اسمه « يسمح ادد » والياً عليها على ما تفيده الرسائل التي عثر عليها في خرائب هذه المدينة، وانه عاصر حمورابي في اواخر عهده ؛ وان ابنه « يسمع ادد خلفه على العرش ، وهذه البيانات غير واردة في كتاب ادي شير .

ومما يذكره باقر ان المملكة الآشورية بعد شمسي داد دخلت ضمن امبراطورية حمورابي ردحاً من الزمن ثم انتهز زعماؤها فرصة الضعف الذي الم بهذه الامبراطورية بعد حمورابي فاستعادوا استقلالهم وكان هذا بداية العهد الوسيط .

ويحدد هذا المؤرخ بداية هذا العهد بالقرن السادس عشر ونهايته في نهايـــة القرن العاشر ويذكر الملك « ادد نيرارس الثا[illegible] ر سوده . ويتطابق مع ادي شير في بعض ما سرده من احداث هذا الدور البارزة . ويشيد خاصة بالملك اسور او بالط ويقول انه قوى جيشه وخلص بلاده من نفوذ الميتانيين ثم تحالف مـــع ملك الحيثيين على المملكة الميتانية وقضوا عليها واقتسموها ؛ وصاهر ملك بابل الكشي ولما قتـــل صهره نتيجة لثورة قامت ضده في بابل زحف عليها وانتقم لصهره وبسط سلطانه عليها ، وبعض هذه الاحداث اوردها ادي شير في سيرة آسور بيليت حيث يصح ان يقال انهما واحد وان هناك التباساً في قراءة المقطع الثاني من الاسم .

ويشيد كذلك بنشاط شلمناصر الاول وبابنه الذي يسميه توكليتي نينورتا وسماه ادي شير تغلات نينيب وما كان مـــن عظمة الدولة في عهدهما ، ويشير الى ما كان مـــن ثورة ابن تغلات على ابيه وارتباك الدولة وانتعاش بابل زمناً ما الى ان برز تغلات بلاسر الذي يسميه تجلات بلزر ويشيد بما كان مـــن لمعان الدولة وصولتها وعظمتها في عهد هذا الملك ثم انتكاسها بعده الى اواخر القرن العاشر باقتضاب يتطابق اجمالا مع ما اورده سابقاً نقلا عن ادي شير مفصلا .

وقد نوه المؤلف بما كان من بروز الآراميين وانتشارهم وصيالهم مع الآشوريين في حوض الفرات وازعاجهم لهم في هذه الحقبة .

وقد قسم العهد الحديث الى دورين دور الامبراطورية الاولى ودور الامبراطورية الثانية ، وذكر كثيراً من اسماء ملوك الدورين التي اوردناها تحت النبذ (٦ و ٧ و ٨) نقلا عن ادي شير واسهب في سيرتهم اكثر من عادته ولكنه اكثر بكثير مما اورده ادي شير وجميل المدور ، وما ذكره متطابق مع ما اورده المؤلفان المذكوران اجمالا ، سواء في سيرة الملوك في الدورين أم نهاية الامبراطورية الأشورية .

في دليل المتحف العراقي [1] سلسلة اسماء الملوك الاشوريين في مختلف الحقب والادوار . وعددهم ثمانية وثمانون . منهم من ذكر في الفصول السابقة ومنهم من لم يذكر ومن الذين ذكروا منهم في هذه الفصول ما هو متقارب في التهجئة ومنهم ماهو مختلف بعض الشيء فيها ، واللمحة العربية غير خافية على هذه السلسلة سواء منها الذين ذكروا في الفصول السابقة ام الذين لم يذكروا . والاسماء الثلاثون الاولى بدون تاريخ والاسماء التي تأتي بعدها وضع امام كل منها تاريخ حكمه . ويبدأ اول تاريخ بسنة ١٦١٩ ق م وهكذا يكون الثلاثون الاولون قد حكموا قبل هذا التاريخ وهو مطابق لما اوردناه من قدم قيام المملكة الأشورية . وقد ذكرت بعض حلقات الاسماء المؤرخة تحت عناوين خاصة . اما التي قبلها فقد ذكرت بدون عناوين ، وقد رأينا اتماماً للفائدة ان ننقل هذه السلسلة في فصل الأشوريين وهي كما يلي :

١ ــ اوشبيا	١٦ ــ رموش
٢ ــ كيليا	١٧ ــ اداسي
٣ ــ انليل ــ كبكبو	١٨ ــ انليل باني
٤ ــ بوزر ــ اشر	١٩ ــ شباي
٥ ــ شالم ــ اخم (ابن)	٢٠ ــ شرما اداد الاول
٦ ــ ايلوما ــ شوما	٢١ ــ جزلسن
٧ ــ ايريشم الاول (ابن)	٢٢ ــ زمزاي
٨ ــ اكوتم (ابن)	٢٣ ــ للاي
٩ ــ شروكين اوسرجون الاول ابن	٢٤ ــ شي تنوا
١٠ ــ بوزرا اشرالثاني	٢٥ ــ شرما اداد الثاني
١١ ــ اخي اشر	٢٦ ــ ايريشم الثالث
١٢ ــ ريمسن ملك لارسه ابن	٢٧ ــ شمشي اداد الثاني
١٣ ــ ايريشم الثاني	٢٨ ــ اشمي دجان الثاني
١٤ ــ شمسي اداد الاول	٢٩ ــ شمسي اداد الثالث
١٥ ــ اشمي دجان	٣٠ ــ بوزر اشرالثالث

(١) ص ٥٠ ــ ٥٥

٣١ ـ انليل ناصر	١٦١٩ ـ ١٥٩٧
٣٢ ـ نور ايلين ـ نور ايلي	١٥٩٦ ـ ١٥٧٤
٣٣ ـ اشمي دجان الثالث	١٥٧٣ ـ ١٥٥١
٣٤ ـ آشور نراري الاول	١٥٥٠ ـ ١٥٣١
٣٥ ـ بوزر اشر الرابع	١٥٣٠ ـ ١٥١١
٣٦ ـ انليل ناصر الثاني	١٥١٠ ـ ١٤٩١
٣٧ ـ اشور رابي الاول	١٩٤٠ ـ ١٤٧١
٣٨ ـ اشور نراري الثاني	١٤٧٠ ـ ١٤٥١
٣٩ ـ اشور بيل نيشيشو	١٤٥٠ ـ ١٤٣١
٤٠ ـ اشور رام نيشيشو	١٤٣٠ ـ ١٤١١
٤١ ـ اشور نادن اخى	١٤١٠ ـ ١٣٩٣
٤٢ ـ اريبا اداد الاول	١٣٩٢ ـ ١٣٨١
٤٣ ـ اشور اوبالط الاول	١٣٨٠ ـ ١٣٤١
٤٤ ـ انليل نراري	١٣٤٠ ـ ١٣٢٦
٤٥ ـ ارك دن ايلي	١٣٢٥ ـ ١٣١١
٤٦ ـ اداد نراري الاول	١٣١٠ ـ ١٢٨١
٤٧ ـ شليمنصر الاول	١٢٨٠ ـ ١٢٦١
٤٨ ـ نكلتي ننورتا الاول	١٢٦٠ ـ ١٢٣٢
٤٩ ـ اشور نادن ايلي	١٢٣١ ـ ١٢١٤
٥٠ ـ اشور نراري الثالث	١٢١٣ ـ ١٢٠٨
٥١ ـ انليل كودري آصر	١٢٠٧ ـ ١٢٠٣
٥٢ ـ ننورتا ابال اوكر	١٢٠٢ ـ ١٧٧٦
٥٣ ـ اشور دان الاول	١١٧٥ ـ ١١٤١
٥٤ ـ ننورتا تكلتي اشور	١١٤٠ ـ ١١٣٨
٥٥ ـ موتكل نسكو	١١٣٧ ـ ١١٢٨
٥٦ ـ اشور رشي ايشي	١١٢٧ ـ ١١١٦
٥٧ ـ تجلات بيلاسر الاول	١١١٥ ـ ١٠٩٣

٥٨ ـ ننورتا ابال اوكر الثاني	١٠٩٢ـ١٠٨٣
٥٩ ـ اشور بيل كالا الاول	١٠٨٣ـ١٠٦٦

انحطاط اشور يستمر حتى القرن العاشر

٦٠ ـ انليل رابي	١٠٦٥ـ١٠٦٤
٦١ ـ اشور بيل كالا الثاني	١٦٠٣ـ١٠٦٢
٦٢ ـ اريبا اداد الثاني	١٠٦١ـ١٠٥٦
٦٣ ـ شمشي اداد الرابع	١٠٥٥ـ١٠٥٠
٦٤ ـ اشور ناصر الاول	١٠٤٩ـ١٠٣١
٦٥ ـ شيلمنصر الثاني	١٠٣٠ـ١٠١٩
٦٦ ـ اشور ثراري الرابع	١٠١٨ـ١٩١٣
٦٧ ـ اشور رابي الثاني ٦٨ ـ اشور رش اش الثاني	١٠١٢ـ٩٦٧
٦٩ ـ تجلات بلاصر الثاني	٩٣٣ـ٩١٢

الامبراطورية الآشورية

٧٠ ـ اداد نراري الثاني	٩١١ـ٨٩١
٧١ ـ تكلتي ننورتا الثاني	٨٩٠ـ٧٨٤
٧٢ ـ اشور ناصر بال الثاني	٨٨٣ـ٨٥٩
٧٣ ـ شيلمنصر الثالث	٨٥٨ـ٨٢٤
٧٤ ـ شمشي اداد الخامس	٨٢٣ـ٨١٠
٧٥ ـ سمير اميس	٨٠٩ـ٨٠٦
٧٦ ـ اداد نراري الثالث	٨٠٥ـ٧٨٢
٧٧ ـ شيلمنصر الرابع	٧٨١ـ٧٧٢
٧٨ ـ اشور دان الثالث	٧٧١ـ٧٥٤
٧٩ ـ اشور نراري الخامس	٧٥٣ـ٧٤٦

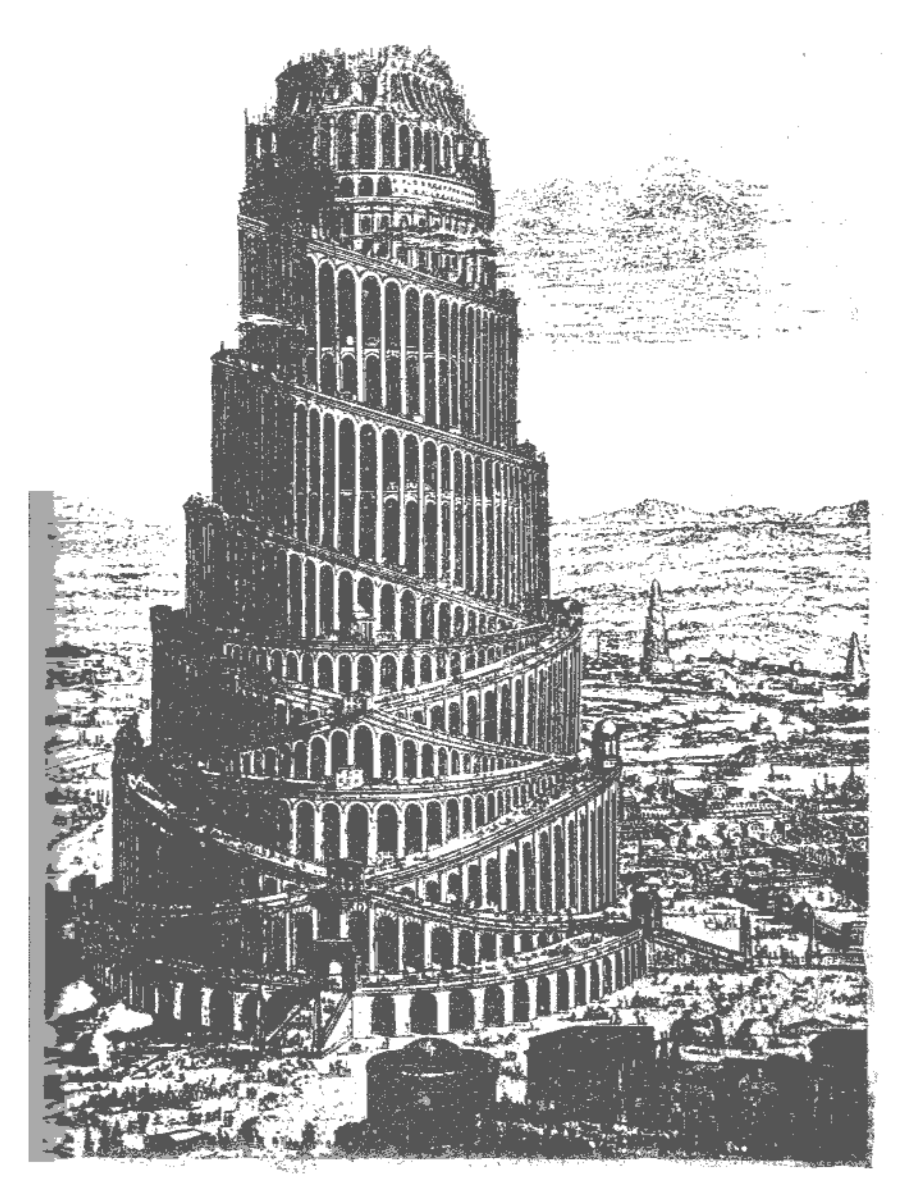
السلالة السرجونية

٨٠ ـ تجلات بيلاسر الثالث	٧٤٥ـ٧٢٧

تبوأ عرش بابل باسم بولو او فول [١]

٨١ ــ شيلمنصر الخامس	٧٢٢ـ٧٢٧
تبوأ عرش باسم الوالو	
٨٢ ــ سرجون الثاني	٧٠٥ـ٧٢١
٨٣ ــ سنحاريب	٦٨١ـ٧٠٥
٨٤ ــ اسرحدون	٦٦٩ـ٦٨٠
٨٥ ــ اشور بانيبال	٦٢٦ـ٦٦٨
غزوة الاشكوزيين	
٨٦ ــ اشور اطل الاني ٨٧ ــ سن شار اشكن	٦١٢ـ٦٢٦
٨٨ ــ اشور او بالط الثاني	٦١٠ـ٦١١

«١» لعله بيل اسم اله بابل حيث وضع يده في يد تمثاله على ما مر ذكر ذلك في احـــد الفصول السابقة .



رسم تخيلي لبرج بابل

دولة بابل الثانية العظمى

الدولة البابلية الثانية العظمى

- ١ -

نقصد بهذه الدولة التي انشأها نبو لانصر في بابل نتيجة لتحالفه مع الماديين ضد آشور على ما شرحناه آنفا ، وقد رأينا تخصيصها ببحث خاص لما كان من لمعانها القوي الذي جعلها تبرز كدولة عظمى .

وجمهرة الباحثين على ان هذه الدولة سامية اي عربية الجنس حسب اصطلاحنا [١] ، وقد رجحنا في مبحث « الآراميون ودولهم في العراق » ان منشىء هذه الدولة من الآراميين . وقد تطابق طه باقر معنا في ذلك [٢] بقطع النظر عن نعته اياهم بالكلدانيين مما علقنا عليه في المبحث المذكور آنفاً بما تراءى لنا انه الاوجه .

ولقد عمرت هذه الدولة نحو سبعين عاماً (٦٠٨ـ٥٣٨) ق م وتولى عرشها بعد نبو لانصر مؤسسها سبعة ملوك من ذريته وهم :

١ ـ نبوخذ نصر ابن نبو لانصر	٦٠٤ـ٥٦٢
٢ ـ ايل مردوخ ابن نبوخذ نصر	٥٦٢ـ٥٦٠
٣ ـ نرخ ايل شار نصر	
٤ ـ ببل شار نصر	
٥ ـ نبونهيد	
٦ ـ ببل طاشسر	
٧ ـ نبو لانصر الثاني الملقب بالجليل .	

واللمحة العربية بادية على الاسماء التي تماثل في الوقت نفسه مع اسماء ملوك الآراميين في بابل .

«١» القرون القديمة لبريستيد ص ١٢٦ ومقدمة في الحضارات القديمة لطه باقر ج ١ ص ٢٠٣ وتاريخ كلدو وآشور ج ١ ص ١٣٩ مثلا .

«٢» مقدمة في الحضارات القديمة ج ١ ص ٢٠٣

ولقد لمعت هذه الدولة لمعانها القوي في عهد ملكها الثاني نبوخذ نصر حتى شمل سلطانها جميع بلاد العراق ثم جميع بلاد الشام ثم مصر .

- ٢ -

وفي كتابي ادي شير وجميل المدور شيء غير قليل من سيرة هــذا الملك بنوع خاص وسيرة بقية ملوك الدولة بوجه عام .

ويستفاد مما ورد فيها وكذلك مما وردفي تاريخ مصر لشارو ويم وبريستيد [1] ان بسماتيك ملك مصر اغتنم فرصة ماطرأ من الوهن على الامبراطورية الآشورية قبيل سقوطها فاعلن استقلاله واخضع الأمراء المصريين الاخرين لسلطانه ، ومد ابنه نخاو يده الى فلسطين وسورية فبسط سلطانه عليهما حتى وصل هذا السلطان الى حوض الفرات .

فلما استتب الملك لنبولانصر بعد تقويض الامبراطورية الاشورية سير ابنه نبوخذنصر بحملة قوية نحو الغرب لتوطيد دولته على الاقاليم الغربية التي اعتبرها ارثاً له وكانت من حصته من الاقاليم الامبراطورية الأشورية ؛ فعبر الفرات سنة (٦٠٤) حيث لقــي جيوش مصر وحلفائها او اتباعها تنتظره فاشتبك معهــا بمعركة طاحنة قرب قرقميش كتب فيها النصر له فتشتت شمل الجيوش المتحالفة وانفتحت امامه بلادهم ؛ وحينئذ سارع ملوك سورية وفينيقية ويهوذا الى اعلان خضوعهم ، وبعد ان رتب سلطانه على هذه الانحاء اتجه نحو مصر ؛ غير ان وفاة ابيه جعلته يعود الى بابل لاستلام زمــام الدولة بعده . وقد امتد حكمه اكثر من اربعين سنة ٦٠٤ ــ ٥٦٢ وكان هذا مع ما تحلى به من مواهب الاقدام والنشاط والرغبة في الأعمار مما جعل اسم بابل واسم دولته خالدين في عداد الدول الكبرى التي قامت في مهاجر العرب وملوكهم .

ولقد تحرك بسماتيق الثاني الذي آل اليه عرش مصر بعد موت ابيه نخاو الثاني بعــد عودة نبوخذ نصر الى بابل وحرك ملوك فلسطين والأردن وسورية وفينيقيــة والف معهم حلفاً . وكان اول المجاهرين بالعصيان ملك يهوذا يواقيم . وكان نبوخذ نصر قد فرغ من توطيد عرشه فزحف نحو الغرب وكان اول همه التنكيل بيهوذا فاستولى على اورشليم عاصمتها (٥٥٩ ق م) ونهب ما كان في الهيكل من كنوز واخذ الرهائن مــن الملك على الولاء والخضوع واخذ معه كثيراً من ذوي المهن .

«١» تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ١٣٩–١٥٣ وتاريخ بابل واشور ص ١٢٠ والكافي في تاريخ مصر لشاروويم ج ١ ص ١٤٣–١٥٦ وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد ٣٨٢–٤٠١

ولم يكف ماوك مصر عن التحريك فثارت هذه المرة سورية وفينيقية واندمج في الحركة يوياكين ملك يهوذا الذي خلف اباه يواقيم فزحف نبوخذ نصر ثانيةواستولىعلى اورشليم وقبض على الملك الجديد ونفاه الى بابل مكبلاً بالحديد مع نسائه واسرته وعدداً كبيراً آخر من البارزين من السكان واخذ ما وجده في بيت الرب وبيت الملك واقام متينا عم يوياكين ملكاً وسماهصدقيا وكان ذلك سنة ٥٩٨ . وعادت مصر الى التحريك وعادت بلاد الشام الى الاستجابة واندمج في الحركة صدقيا فزحف بختنصر لثالث مرة سنة ٥٨٩ وقد قسم جيشه قسمين ارسل قسماً منه لاخضاع فينيقية وانقض بالثاني على فلسطين ، وبينما هو محاصر لاورشليم علم ان نجدة مصرية آتية فسارع الىلقائهاوهزمها هزيمة شديدة قرب غزة ثم عاد الى اورشليم فاستولى عليها وقبض على ملكها وامر بذبح اولاده وبعض عظماء رجاله امامه ثم فقأ عينيه وشده بالسلاسل وارسله الى بابل معذباً مهيناً ودمر اورشليم ودك اسوارها ونهب جميع ما فيها حتى القدور والرفوش والصحون والمجامر واجلى معظم من بقي من اهلها الى بابل بحيث لم يبق من اليهود فيها الا الفقراء والفلاحين فكان ذلك نهاية هذه الدولة ايضاً (٥٨٦ هـ)وغدت ولايةبابلية يتولى ادارتها وال من قبل نبوخذ نصر [١] .

ولقد طالت مقاومة صور ولكنها سقطت اخيراً فأمر نبوخذ نصر بدكها حتىصارت قاعاً صفصفاً وأسر ملكها ايتوبعل وكثيراً من اعيان قومه ونفاهم الى بابل كما فعــل باليهود ؛ فلم يكن من بقية ملوك فينيقية وسورية الا ان اعلنوا خضوعهم وقد سير حملة على حدود شرق الاردن فوطد سلطانه فيها ثم وطد سلطانهكذلك على الامراء العرب في اطراف الجزيرة وقبائلهم .

وبعدانفرغ من هذا زحف علىمصر فسارع ملكها الى اعلان خضوعه ؛ فابقاه بعد ان تعهد باداء الجزية والطاعة وعاد الى بابل غانماً منصوراً .

على ان مصر لم تبق على عهدها بالخضوع ، فان ملكها ايريس اعلن استقلاله ثم مد يده الى سورية وفينيقية ، فزحف نبوخذ نصر للمرة الثالثة سنة ٥٦٧ فوطد سلطانه على سوريةوفينيفية ثم على مصر .

«١» السفران المذكوران آنفاً ايضاً انظر ايضاً مقــال في العبرانيين للمطران الدبس ص ٥٣٦ وما بعدها .

— ٣ —

ومات نبوخذ نصر سنة ٥٦٢ فخلفه على العرش ابنه مردوخ . ولم يلبث ان قام صهره نرغ ايل شار نصر[١] عليه وقتله وجلس مكانه ، فكان ذلك سبب استشراء الفتنة في الدولة واستمرارها امداً طويلا الى ان قضت عليها .

ولقد اخذت الاقاليم تتمرد على سلطان بابل ، وكانت بلاد فارس قد اخذت تبرز وتقوى في الشرق بقيادة زعيمها كورش الذي انقض على دولة مادي اولا سنة ٥٤٩ فقوضها ثم بسط سيطرته على جميع الاقاليم الشرقية والشماليه التي في حوزتها ، وبعد ذلك بقليل اي سنة ٥٣٨ زحف على العراق بجيوش جرارة واخذ يستولي عليه ناحية بعد ناحية ثم زحف على بابل فقوض دولتها ؛ وقد اقتدى بملوك آشور الأولين فدخل هيكل بيل وصافح بيدء تمثاله ونادى بنفسه ملكاً على بابل .. وقد اعتقل نبونهيد ملكها ونفاه . وحاول ابنه بلطشاسر تحريك المدينة فاخفق وقتل في اثناء محاولته ؛ وحاول امير آخر بعد قليل اسمه نبولانصر الجليل اثارة الناس ونادى بنفسه ملكاً وجمع جموعاً للحرب سنة ٥١٩ غير ان الفرس احبطوا حركته ايضاً وقتلوه فكان ذلك نهاية الدولة الكلدانية البابلية التي كانت آخر نجم عربي الجنس قبل العروبة الصريحة سطع بقوة في سماء العراق ولو لفترة قصيرة .

— ٤ —

ولقد كان نبوخذ نصر نجم هذه الدولة التي يعود اليه فضل ذلك السطوع القوي .

ولقد عني ابوه ثم هو من بعده بتجديد مدينة بابل حتى غدت اجمل مدن العالم في تخطيطها وهندستها وقصورها وشوراعها ومعابدها وحدائقها . واستخدم مهرة الصناع المصريين والسوريين والفينيقيين والاسرائيليين في عمله هذا .

ولقد زار هيرودوت مدينة بابل بعد سقوط هذه الدولة بنحو قرن وكانت ما تزال تحتفظ بشيء من روعتها فانبهر بجمال ما رأى وغرائبه ووصفه وصفاً شائقاً في كتابه الباقي الى اليوم[٢] . ولقد كشف النقابون عنها فظهر من آثارها ما يؤيد هذا الوصف ومن جملة ما كشفوا عنه شارع عظيم لمرور المواكب في ايام الأعياد . وباب هيكل عظيم

«١» هذا ما ذكره مؤلف تاريخ كلدو واشور . وقد ذكر ابن العبري ان الذي ثار على ايل مردوخ وقتله اخوه بيلشانصر ولم يذكر مصدراً لروايته .

«٢» تاريخ بابل واشور ص ١٤ وما بعدها .

لعشتاروت ، ومن منشآت نبوخذ نصر العظمى برج هائل في مكان قريب لبابـل كان يسمى بورسيبا اي مدينة البرج ، ولا تزال اطلاله قائمة . وقد نقب فيها روبنسون الانكليزي ، وعثر فيما عثر عليه على قطعة من الخزف سجل عليهـا نبوخذ نصر تاريخ انتشائه لهذا البرج وسببه ووصفه باسلوب طريف ننقله فيما يلي عن كتاب تاريخ بابـل وآشور لجميل المدور[١] :

« انا بختنصر ملك بابل ولدني مردوخ الاله العظيم وامرني بتشييد معابـده . إن الهرم هو اعظم هيكل في السماء وعلى الأرض وهو مقام مردوخ ابي الآلهة . وانا جددت مقدسه مكان قرار جلا له بالذهب والفضة ومعـادن اخرى وبالآجر المرصع بالميناء وخشب السرو والأرز واتممت زينته ، والبنية الأولى التي هي هيكل قواعـد الأرض القائم بها تذكار بابل قد اتممتها واقمت اعلاها بالآجر والشبه واما البنية الثانية التي هي هيكل سبعة انوار المسكونة القائم بها تذكار بورسيبا فكان قد شرع في بنائها اول الملوك ولم يتمها الى ان اعدتها ، وبيني وبينه اثنان واربعون زمناً . ثم اهملت دهراً مديداً وداعياً الملوك الذين سلفوني تشييدها فاخذتها السيول والعواصف وزعزع زلزال الارض اللبن وحطم الآجر المطبوخ واتلف لبن الطباق فكان روابي مركومة ، فشدد مردوخ الاله الكبير عزمي لاعادة بنائها فاعدتها من غير تغيير في موقعها ولا تعطيل في اسسها . وفي شهر الختام في النهار السعيد حوطت الطباق من اللبن والآجر المطبوخ باروقة وجددت السلم المستديرة ، ونقشت اسمي المجيد في افريز الاروقة ، وقد اسست البناء وجددته على وفق ما رسمه من تقدمني حتى عاد كأنه قد بني في سالف الأزمنة » . ويستمر مؤلف الكتاب الذي نقلنا منه هذا النص على الكلام فيقول : وهذا البرج من اهول ما بنـاه البابليون واجله خطراً واعظمه شأناً ، وكان بمنزلة هيكل سباعي للآلهة السبعة التي يلقبونها بسبعة انوار المسكونة وكان له سبع طباق كل طبقة خصصت بواحد من تلك الآلهـة . فاول طبقة وهي السفلى لزحل ولونها اسود والثانية للزهرة ولونها ابيض والثالثة للمشتري ولونها بردقاني والرابعة لعطارد ولونها ازرق والخامسة للمريخ ولونها قرمزي والسادسة للقمر ولونها فضي والسابعة للشمس ولونها ذهبي ..

ويستمر المؤلف المذكور في تعداد مآثر نبوخذ نصر العمرانية فيقول [٢] ان مـن

«١» ص ٣٠

«٢» ص ١٦٢ وما بعد وفي تاريخ كلدو واثور وصف رائع لمنشآت نبوخذ نصر وبابل ايضاً ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٨

منشآته العظمى قصر له في بابل على شاطىء الفرات الذي كـــان ينساب وسطها ؛ وان ديودور الصقلي قد وصفه وصفاً شائقاً وقال فيما قال عنه إن محيطه كان نحو كيلو متر وحوله سور عال من الاجر ويليه سور آخر وعليه صور حيوانات رائعة الصنعة والاتقان يخيل للناظر انها حية . والبساتين المعروفة بالبساتين المعلقة والتي كانت تعد من عجائب الدنيا هي بساتين هذا القصر لتكون منتزهاً لحريم الملك على ما يقول المدور . وكانت ارصفة عظيمة مدرجة بعضها فوق بعض ملئت بالتراب وزرع فيها الأشجار والزهور النادرة وركب عليها مضخات عظيمة لرفع المياه اليها من النهر . وما تزال اطلالها قائمة شاهدة على المجد العربي القديم .

وكانت مدينة بابل محاطة باسوار عالية عريضة على ما يذكر المدور ؛ ويقول ان هيرودوت ذكر ان محيطها كان (٤٨٠) غلوة اي ٨٦ كيلومتراً مما يـــدل على عظيم سعتها .

وكان ارتفاع الاسوار ٢٠٠ ذراع وعرضها ٣٥ وكانت من اللبن المشوى بالنار وعلى كل جانب منها ابراج وحولها خندق عميق مملوء بالماء . وكانت شوارع المدينة خطوطاً مستقيمة ومتعامدة وفي ضواحيها الحدائق والمروج الفسيحة اليانعة .

وقد انشأ نبوخذ نصر معابد عديدة في بابل بلغت ثمانية وكان اعظمها معبد مردوخ وقد احضر له خشب السنديان والارز من لبنان وصفح اعمدته بالذهب والفضة .

وقد عني فيما عني به مسألة تنظيم الري فحفر الترع والاقنية الجديدة ورمم القديمة . وقد انشأ بحيرة عظيمة قرب بابل محيطها سبعون كيلومتراً لتكون خزاناً في ايام ارتفاع النهر .

ولم تكن عنايته باعمار انحاء المملكة قليلة ؛ فانه لم يمت حتى كان له في كل مدينة اثر عمراني منقوش اسمه عليه .

وقد زهت التجارة في عهده حتى غدت بابل المركز التجاري الأول في آسية جميعها ترد اليها وتصدر عنها سلع الشرق والغرب براً وبحراً . وكانت البضائع تأتي من البحر الى خليج البصره ثم تنقل على زوارق جلدية صغيرة فتمخر في الشط ثم في دجلة والفرات بسهولة ويسر . وقد تقدمت كذلك الفنون والصنائع وترقت الآداب في عهده كما تشهد بذلك المنقوشات المكتشفة .

ويتطابق طه باقر مع ادي شير وجميل المدور في كثير مما نقلناه عنهما وخاصة في صدد نشاط نبوخذ نصر ومآثره ولمعان الدولة في عهده [١] .

ويقول بالنسبة لخلفائه [٢] إن الكهان تدخلوا به واشتركوا في التآمر على ابنه وتنصيب صهره الذي يسميه نرجال شار ؛ وان هذا لم يقم بعمل مهم سوى بعض الاعمال البنائية ؛ وان ابناً له اسمه لباشي مردوخ خلفه مدة قصيرة ثم تدخل الكهان ثانية وخلعوه وعينوا نبونهيد مكانه بسبب ما كان عليه هذا من تقى وورع واهتمام لشؤون الدين ومصالح الكهان . وليس هو من السلالة المالكة وانما كان ابن كاهن معبد القمر في حران . ومما يذكر له تجديد وترميم بعض المنشآت في بابل وبعض المدن الاخرى ، وولعه بالتنقيب عن الاحجار المنقوشة ودراسة التاريخ وتدوينه ، وقد تحالف مع الفرس ضد الماديين وقاد حملة ضد الحامية المادية في حران نتيجة لذلك وخلص المدينة من الاحتلال المادي وجدد معبد الاله سين فيها ، وقد غزا سورية بعد ذلك ووصل الى جبال الأمانوس ؛ ووجه قسماً من جيشه الى فلسطين حتى وصل الى غزه ؛ وقاد قسماً من جيشه غزا به شرق الاردن وقتل ملك آدوم فيه ثم اتجه منه نحو تيماء وقتل ملكها وانشأ قصراً فيها اقام فيه نحو اربع سنين [٣] ولم يذكر باقر اسباب هذه الغزوات.. وكان ابنه بيل شاصرينوب عنه في بابل .

وفي هذه الأثناء كان كورش الفارسي حليف نبونهيد ينشط لتأسيس دولته ويرى من حقه بعد ان انتصر على الماديين ان يستولي على ما كان خاضعاً لهم من اقاليم العراق وارمينية وكبدوكيه وسورية ، ويجتهد في سبيل تحقيق مصالحه هذه ؛ ولما نجح في ما اراد لم ير ما يمنعه من نقض حلفه مع نبونهيد والاستيلاء على بلاده ايضاً ؛ وكان هذا قد عاد في هذه الاثناء الى بابل فاشتبك معه في معركة كتبت الغلبة فيها لكورش ووقع في اسره وحينئذ دخل كورش بابل فاتحاً وصار يتلقب بلقب « ملك العالم القوي العظيم وملك بابل وسومر واكد والجهات الاربع » .

«١» مقدمة في الحضارات القديمة ج ١ ص ٢٠٣ وما بعدها .

«٢» نفس المصدر .

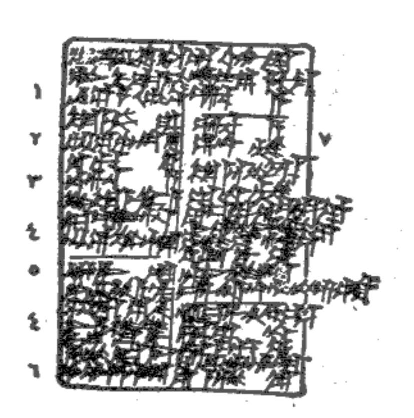
«٣» ذكرنا هذا نقلا عن تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج٢ص ٣٣٥–٣٣٦ في الجزء الاول . وجواد علي يستند في ذلك الى النقوش .

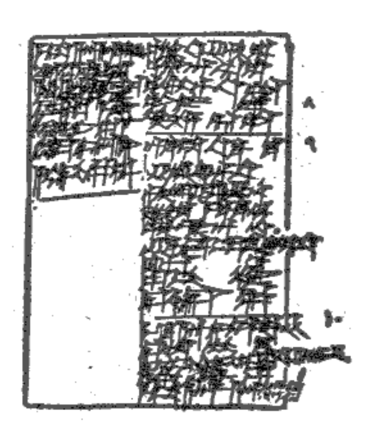
وبانتهاء عهد الدولة البابلية الثانية هذه انتهى عهد سلطان الجنس العربي قبل دور العروبة الصريحة في العراق بعد ان امتد امتداداً عظيماً وبرز فيه هذا الجنس بروزاً قوياً، وسجل مآثر عظيمة حربية وعمرانية وفنية خلال مدة لا تقل عن خمسة وثلاثين قرناً قبل المسيح ، ظلت موجاتها فيها تتعاقب على العراق وتقيم فيه الدول تارة في الجنوب واخرى في الشمال .

على ان ابناء هذه الموجات الذين غدوا اهل المدن والريف والبادية في شمال العراق وجنوبه ظلوا يؤلفون جمهرة السكان وينسكب الأولون في بودقة التالين ؛ ولم تكن موجات الجزيرة لتنقطع بعد قيام دولة الفرس وخروج السلطان من الجنس العربي حيث ظلت تتحرك وتنساح الى مختلف انحاء العراق كما كان شأنها قبل ، وتغذي المستقرين بدم جديد وينسبك بعضها مع بعض ؛ ولم يستطع الفرس ثم اليونان ثم الفرس الساسانيون الذين سيطروا على العراق قرابة الفعام اي من سنة ٥١٩ ق م الى ٦٤٠ ب م ان يؤثروا عروبة هذه البلاد ويطبعوها بطابعهم الآري .

ولقد كانت الصبغة العربية الصريحة قد بدت في الجزيرة وصار يأتي موجات منها مصطبغة بهذه الصبغة في خلال حكم الفرس قبل الميلاد المسيحي ثم بعده فلم تلبث صبغتهم ان تعم بني عمومتهم السابقين ، ولم تلبث اللهجات والشخصيات العربية المختلفة قليلا او كثيراً ان اخذت تتوارى وتنصهر في بودقة العروبة الصريحة ، وأن صار لهذه العروبة سلطان في العراق وان كان تحت ظلال السلطان الساساني حتى اذا جاءت الموجة العربية الكبرى تحت راية الاسلام غدت العروبة الصريحة طابع العراق الخالد المقدس مما سوف يجيء الكلام بتفصيله في البابين الثاني والثالث ، ومما فيه دلالة حاسمة على وحدة الارومة والجنس .

وإذا كان بعض سكان العراق تأخروا عن الانسباك في بودقة العروبة الصريحة الى مدة ما بعد الفتح ، او اذا كان بعضهم ظل ينتمي الى الكلدانية والأشورية والآرامية ويتكلم الآرامية ــ السوريانية ــ ويؤدي طقوسه بها الى مدة ما بعد الفتح ــ وقد يكون من هؤلاء من يفعل هذا اليوم ــ مع ان لغتهم غدت اللغة العربية فان هؤلاء قلة ليس من شأنها ان تخل بما قررناه آنفاً اولا ومرد ما بقيت محافظة عليه الى الاعتبارات الدينية اكثر منها الى معنى التميز الجنسي ثانياً ، ولقد كانت ترجمة اسفار العهد القديم والاناجيل الى السوريانية التي كانت لغة الطقوس الدينية المسيحية قبل الاسلام مما ساعد على هذا المظهر .





فهرست لأحدى المكتبات

لمحة عامة
في الماثر الحضارية المتنوعه

لمحة عامة في المآثر الحضارية المتنوعة

\- ١ -

لقد اوردنا في ثنايا الفصول كثيراً من الصور الحضارية والعمرانية والفنية والثقافية لموجات ودول الجنس العربي في العراق . غير ان ما اوردناه ليس كل ما يمكن ان يورد منها وفي ما يلي لمحة عامة عن ذلك مبتدئة بلمحة عن العقائد الدينية .

ومعولنا في هذه اللمحة في الدرجة الاولى على كتاب طه باقر (مقدمة في الحضارات القديمة)الذي خصص القسم الثاني من جزئه الاول للمآثر الحضارية المتنوعة.

١ ـ العقائد [1]

كانت الآلهة العراقية كثيرة جداً حتى انها تؤلف مجموعة كبرى . منها الرئيسي ومنها الثانوي ، ومن الثانوي ماكان حامياً لبلد او منطقة او شعب ، او مختصاً بمطالب ورغبات الافراد والجماعات المختلفة مما فيه دفع ضرر او جلب نفع ، وكانت آلهتهم الثانوية بمثابة شفعاء لدى الالهة الرئيسية التي كانت تمثل قوى الكون العظمى وتدبير شؤونه .

وكانوا يصنعون لالهتهم الرئيسية والثانوية تماثيل حجرية ومعدنية يضعونها في المعابد والبيوت ويقومون عندها بطقوسهم وادعيتهم ويقربون اليها قرابينهم ، وكانت هذه التماثيل تمثل صوراً بشرية وحيوانية وكونية مما تخيلوا التشارك فيه بين هذه الصور وبين آلهتهم .

وكانت التطورات السياسية تؤثر في مركز الآلهة علواً وهبوطاً حيث كان اله الدولة المتفوقة يغدو الهاً رئيسياً او محلياً شاملاً لما تكون الدولة قد اخضعته لسلطانها من اقاليم ومتفوقاً على آلهتها .

ولم تكن هذه الظاهرة مع ذلك تؤدي الى اهمال الآلهة التي نزلت عن مركزها السامي

«١» مقدمة في الحضارات القديمة ج١ ص ٢٢٤ — ٢٧٩

نتيجة لعلو منزلة اله السلالة المتفوقة بل كانت تبقى في عداد الآلهة امـــا نتيجة لتمسك عابديها الأولين او لما شغلته في الأذهان من مكانة دينية . ففي نقش لاسرحدون ذكرت اسماء الآلهة اشور وشمش ومردوخ ونبو وعشتار وسين بوصفها آلهة بلاد آشور مثلا .

وكانوا يعتقدون بخلود الروح ولكن لا على ان يكون بعث بعد الموت ولكن على ان تعيش الارواح ابدياً بعد انفصالها عن الجسد في عالم الارواح مع بقاء صلة ما بينها وبـــين الجسد الذي انفصلت عنه . وبسبب هذا كانوا يعتقدون ان الروح تتأثر راحة وتعبـ وسعادة وشقاء في عالمها حسب طريقة دفن الجسد وتزويد قبره بالزاد والأثاث ، وانها قد تنقلب الى شبح هائم يصيب الأحياء بالأذى اذا لم يكن صاحبه قد دفن على الطريقة الدينية المعينة او اذا نبش قـــبره او اذا لم يزود بمـــا يلزمه مـــن لـــوازم الغـــذاء والاثاث . وكانوا يعتقدون الى هذا ان الروح تتأثر راحة وتعباً وسعادة وشقاء بمـــا يكون لصاحبها في الحياة من اعمال حسنة ونافعة او سيئة وضارة ، وقد تصوروا موطن عالم الارواح على هيئة مدينة في باطن الأرض مسورة بسبعة اسوار يحرسها الشياطين وتحكمها الاهة شديدة قاسية لقبها ملكة العالم الأسفل واسمها كيجال ويساعدها عدد كبير من الآلهة والشياطين . وقد كان من تصوراتهم ان الكون على هيئة دولة اومملكة تتحكم فيها الآلهة وتدير شؤونها وتتدرج السلطة فيما بينها وتتوزع الأعمال ويكون مبدأ الطاعة اقوى تجلياتها التي تحفظها من الخلل والارتباك ؛ فكان كل هذا بمثابة ناظم لسلوك الناس واخلاقهم .

وقد كانت الآلهة الرئيسية والمحلية تشغل اعظم حيز في نفوس الناس جميعاً وتؤثر في سلوكهم تأثيراً كبيراً وتعتبر ناظمة لحياتهم من مختلف وجوهها ، وهذا ما يفسر شيوع الأسماء المضافة الى الآلهة حتى لا يكاد اسم يخلو من اسم اله ؛ ومما يفسر كذلك كثرة المعابد التي كانت تنشأ باسماء الآلهة على اختلاف صنوفها وكثرة التماثيل التي تصنع لها .

وفي قصة الخليقة البابلية التي سوف نعود الى ذكرها في مبحث الادب العراقي القديم ان اول ما كان من الآلهة الهان زوجان هما ابسو الذي يمثله الماء العذب والإلهة يتامة التي يمثلها الماء الملح . كانا قبل ان يكون شيء في العلى ولا في الدنى (في السماء والأرض) ثم تولد منهما الهان زوجان هما انشار وكيشار اللذان ولدا بعد دهر طويـــل الاله آنو ، وقد صار هذا غريماً لآبائه الآلهة العتيقة .

ثم جاء الاله ايا ثم الاله انليل وغيرهم من الآلهة الحديثة الذين ارادوا ان يستبدوا بشؤون الكون وتنظيمه دون الآلهة العتيقة فنشب بين الفريقين نزاع انتصر فيه الآلهة الحديثة على العتيقة .

ثم صار البابليون يعتبرون آنو أبا الآلهة وملكها ويعتقدون ان مقره اعلى نقطة في السماء وانه حاكمها ، ويلمح في هذا كما هو المتبادر فكرة اله اعظم فوق جميع الآلهة .

ويأتي بعد آنو في المرتبة انليل الذي كان اله الجو والهواء في عقيدة البابليين ثم الاله ايا الذي هو حاكم الأرض .

وصار الآلهة الثلاثة يؤلفون ثالوثاً . وقد عبد آنو في جميع انحاء العراق الشمالية والجنوبية في مختلف ادوار التاريخ ، ومعنى هذا ان الفكرة التي كان يمثلها اي الإله الاعظم فوق جميع الآلهة قد استمرت وعمت [1]

وكان مردوخ اله بابل المحلي الاعظم وهو ابن الاله ايا اله الأرض وبالتالي هو متفرع عن الثالوث الرئيسي . وحينما غدت بابل عاصمة امبراطورية كبرى التي كان مؤسس سلالتها ساموابيم ومن ملوكها حمورابي ارتفع شأن هذا الاله حتى صار مقدماً في جميع البلاد [2] . وفي قصة الخليقة البابلية ذكر ان مردوخ ابن ايا وانه كان على اتم ما يكون

«١» يقول ادي شير ان الكلدان القدماء كانوا يعتقدون ان لكل من السماء والارض والهاوية التي تستقر عليها الارض الهاً عظيماً واسم اله السماء « زى انا » والـه الارض « زي كيا » واله الهاوية « انليل » وانه بعد ان غلب العنصر الارامي على سكان كلدو القدماء صارت المعبودات الثلاثة العظمى « آنو » و « بيل » و« حيا » والاول ابو الالهة ورب العالم والظلمات والكنوز الخفية ، ويرمز اليه بانسان ذي لحية طويلة وله ذنب كذنب النسر ورأسه مغطى برأس سمكة ساقطة على كتفه وظهره . وبيل رب العالم المتسلط على الاقاليم والارواح ، ويرمز اليه بملك جليل جالس على العرش . وكان « حيا » الدليل العاقل وسيد العالم المنظور ورب العلوم والشرع والحياة . ويرمز اليه باربعة اجنحة مبسوطة ومن عقائدهم انه انبثق من كل هذه الالهة العظام الثلاثة او الثانوية الاهة شريكة ورفيقة له فشريكة آنو « انات » وشريكة بيل « بيلتي » وشريكة حيا « دوكينا » (تأريخ كلدو وآثور ج ١ ص ٦ — ٧) .

«٢» ذكرنا في سياق سيرة ملوك بابل واشور ان تغلات نينيب ١٢٤٠—١٢٦٠ حينما فتح بابل دخل هيكل بيل ومسك بيدي تمثال هذا الاله ونادى بنفسه ملكاً على بابل ، وان تغلات بلاسر الثالث ٧٤٥ — ٤٢٧ وشمشوكين اخو اسور بانيبال ٦٦٨—٧٢٧ فعلا مثله وقد روينا ان اهل بابل كانوا يحبون ان يستلم ملوكها التاج من الاله بيل ، ثم ان كورش الفارسي فعل مثل ذلك ايضا حينما زحف على بابل وقوض الدولة البابلية العظمى الاخيرة ، حيث يدل هذا على ان بيل صار هو الاله المحلي الاعظم لبابل بعد سلالة حمورابي بمدة ما وظل كذلك الى نهاية الملك البابلي مع بقاء مردوخ في عداد آلهة بابل المهمة في الوقت نفسه .

من كمال الخلق والقوة وان الآلهة اختارته قائداً ورئيساً في النضال الذي نشب بين الآلهة العتيقة والحديثة ؛ وكان انتصار هؤلاء على اولئك تحت رايته .

وكان نبو عند البابليين اله الكتابة والقلم والحكمة والمعرفة وكاتب الآلهة العظــام في مجالسها المقدسة . وهو ابن مردوخ البكر (١) .

ويأتي بعد الثالوث الأول ثالوث ثان يتألف من الاله القمر والاله الشمس والاله ادد . وقد عبدت الآلهة الثلاثة في مختلف انحاء العراق . ويسمى القمر سين ويرمز اليــه بهلال وحده او بهلال مع صورة على هيئة البشر وكان له في دور من الأدوار اهمية رئيسية بالغة . ويسمى الاله الشمس شمشا وشمش . وهو يلي القمر في الأهميــة ويعتقد البابليون انها تولدت منه ، ويرمز اليها بقرص ذي اربعة خطوط تنبعث منها حزم الأشعة وبصورة انسان عليه تاج باربعة قرون وله لحية طويلة . ويلي الشمس في المنزلة الاله ادد وهــو اله المناخ والأمطار والرعد والفيضان (٢) .

ومن الآلهة التي كان لها مكانة مرموقة في الديانة العراقية القديمة عشتار . وكانت تعتبر بنت الاله أنو اله السماء الاكبر ، وهناك اله آخر اسمه تموز كان يعتبر بعل عشتار . وقد مات قبلها فكانت تظل تندبه ، وهو اله الربيع وما يأتي به مــن خضرة ونبات . وكانت الكواكب الأخرى من آلهة العراقيين ايضاً وكانوا يعتبرونها ذات علاقة بالحياة واحداثها . ومن هنا جاء علم الفلك والتنجيم الذي ولعوا واشتهروا به (٣)

«١» كان نبو من آلهة الاراميين في بلاد الشام ومن المحتمل ان يكون اتى الى بابل مع الاراميين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وصار ابن مردوخ البكر اله بابل الرئيسي حينئذ .

«٢» يقول ادى شير ان البابليين كانوا يلقبون القمر بالنير والسيد والقدير واللامع ورب ايام الشهر وان الشمس كانت في عقيدتهم محركة السماء والارض ومدبرتها وان ادد كان موزع الخصوبة ورب القنوات ورئيس العواصف والفيضان والبرق (ص ٧)

«٣» يقول ادي شير ان الكواكب السيارة كانت من آلهة العراقيين القديمةالتي تاتي بعد القمر والشمس وادد في المنزلة ، واسماؤها عندهــم « نينيب » ومردوخ » و« تركال » واستارا و « نبو » ويصورون نينيب على صورة جبار يخنق اسداً ويلقبونه بالمخيف وسيد الابسال وصاحب القوة ومبدد الاعــداء والعصاة ورب الحديد . ورفع البابليون مردوخ الى درجة بيل وسموا تركال البطل الكبير وملك المعارك ورب القتال وحامل سلاح الالهة وكان تمثاله مركباً من رأس انسان وجسم اسد وكانوا يعتقدون في نبو انه قائد العالم ومرتب امور الطبيعة والقائم على الشمس في غروبها وطلوعها ومثال على ما هو حسن على وجه الارض أما استارا فانهم عنوا بها الطبيعة الهيولية . وكانت الاهة الحرب ايضاً وسلطانــة الظفر والاهة اللذات والتناسل ويصورونها في وظيفتها الاولى راكبة اسداً او ثوراً رأسها مكلل بتاج مرصع بنجوم وبيديها قوس وجعبة . اما في وظيفتها الثانية فانها سميت زربانيت اي المثمرة ويصورونها على صورة امرأة عريضة الوجه واضعة يديها على صدرها (تاريخ كلدو واثور ج ٢ ص ٧-٨) .

وكان آشور هو الاله القومي للآشوريين ويمثل بانسان يطير بجناحين وبيده القوس والسهم ؛ ولما عظمت المملكة الأشورية ارتفع شأنه حتى صار على رأس الآلهة البابليـــة والأشورية .

وهناك الى هذا آلهة كانت تعد بمثابة حراس وتسمى لاما وتوضع تماثيلها في مداخل المعابد والقصور وتصنع هذه التماثيل على صور مخلوقات مركبة مـــن الانسان والحيوان والطير . ومن اشهرها الثيران المجنحة الأشورية التي تتألف من رأس انسان وجسم ثور واجنحة . .

وكان للعراقيين شعائر وطقوس كثيرة متنوعة من صلوات وقرابين واعياد وتعويذات وتراتيل . ومن الشعائر الدينية العامة التي كانت تقام في المدن اعياد سنوية لتمجيد اله المدينة ، وقد اشتهر عيد اله بابل الذي كان يستغرق اثني عشر يوماً وتسير فيه المواكب المهيبة تحمل تماثيل الاله وتنشد فيه الأناشيد . وكان ميعاده الربيع او اوائل شهر نيسان بالتعيين يرمز به الى انتصار العناصر الخالقة المولدة التي يمثلها ما يعج به الربيع من حياة جديدة .

وقد كان للكهان مركز عظيم في المجتمع العراقي القديم يتمتعون نتيجة له بنفوذ كبير في الدولة وحق التدخل في شؤون الناس الخاصة والعامة . وكان للمعابد اوقاف عظيمة يتصرفون هم بمواردها فتكون وسيلة الى ذلك ، وكثيراً ما تقلـــد الحكام والامراء والأميرات منصب الكاهن الأعلى لاله معين . وكان الملوك يتلقبون بكهان الآلهـــة .

وقد صنفوا حسب اختصاصهم فهناك الكهان الأعلون الذين يشرفون على شؤون المعابد والكهان الذين يتولون التطهير الديني ، والكهان الذين يمسحون المقدسين والكهان الذين يتولون احصاء موارد المعابد وخزانتها ، والكهان الذين يقومون باعمال السحر والعرافة والرقى والتعويذات وطرد الشياطين ؛ وكان لهذه الأعمال خاصة انتشار واسع . وكان لكل صنف من صنوف الكهـــان والكاهنات ثياب وازياء خاصة ولا سيما ابان المراسم والشعائر الدينية .

وكانت المعابد على الأغلب تتألف من قسمين الأول المعبد العالي الذي تمثله الزقورة او البرج والثاني المعبد الافقي الذي يقوم قربهـــا على ارض مستوية . وفكرة الزقورة جاءت من فكرة اقامة معبد الاله فوق مرتفع صناعي ليرمز به الى السمو والعلو ، وكانت الزقورة تتألف من طبقات سريعة او مستطيلة مدرجة السعة وكانت الطبقات تتراوح بين

ثلاث وسبع ثم يقام فوقها المزار او المعبد الذي يوضع فيه تمثال الاله ، ويرقى الى المزار بثلاثة سلالم ويكون قرب القاعدة السفلى حجرات مرافق وتحاط بسور مقدس . وقد وجدت آثار في انقاض بعض الزقورات تشير الى احتمال تلوين الطبقات بالوان مختلفة .

٢ ـ التشريع والتقنين (١)

لقد عثر على وثائق اثرية كثيرة فيها نصوص تشريعية وتقنينية وتنظيمية تمثل ما كان للعراق في هذه الناحية من مآثر عظمى . ومن اول ما عرف من ذلك خبر شريعة اصلاحية اجتماعية وضعها ملك لجش اورجانينا لازالة الظلم من الطبقات الفقيرة وتأمين العدالة بين الناس . وخير نظم للادارة والجباية سنها هذا الملك وان لم يعثر على نصوصها . وتاريخ هذا الملك في تقدير طه باقر في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وفي تقدير ادي شير في القرن الثاني والثلاثين ، وقد ذكر ادي شير هذا الملك في عداد الأسر الكلدانية .

ثم عرف ان سرجون الاكدي ، ويأتي بعد ذاك في التسلسل الزمني ، وضع قوانين ادارية وتنظيمية عديدة لمملكته الواسعة وانه ادخل نظام القسم باسم الملك من جانب الأطراف المتعاقدة .

ويأتي بعده في التسلسل الزمني اورنمو احد ملوك اور في عهد سلالتها الثالثة وقد عثر على بعض الواح فيها مواد قانونية غير كاملة ، ومن احكام ما عثر عليه من المواد الاخذ بمبدأ الدية والتعويض بدلا من القصاص .

ويأتي بعده في التسلسل مملكة اشنونا التي عثر على نصوص قانونية من وضع احد ملوكها تقع في ٦١ مادة . ويظن ان لها تتمة لم يعثر عليها ، والمواد التي عثر عليها في صدد تحديد الأسعار والاجور والسرقات والاعتداآت والآضرار الواقعة على اعضاء الجسم ودياتها وجنايات الحيوانات والديون والبيع والشراء والزواج والارث والطلاق والزنا . وهي مدونة بالبابلية ومصوغة صياغة فنية كما يستبان من هذين النموذجين :

المادة ١٢ ـ اذا قبض على رجل في حقل شخص من طبقة المشكينم ـ وهي الطبقة الوسطى ـ نهاراً فانه يدفع عشرة شقلات فضة غرامة ومن قبض عليه في الليل فانه يموت ولا يحيا .

---

(١) ص ٢٨٠–٣٠٦

المادة ٢٧ ــ اذا دخل رجل بابنة آخر بدون اذن ابيها وامها ولم يعقد معهما عقداً بالزواج فلا تكون زوجة شرعية ولو عاشت في بيته سنة .

ويأتي بعد اشنونا في التسلسل لبت عشتار احد ملوك مدينة ايسن ؛ وقد عثر على قانون من وضعه مؤلف من مقدمة وخاتمة و٣٥ مادة ،ويرجح ان المواد اكثر من ذلك. وبين المواد ومواد اشنونا واورنمو بعض التطابق في الاحكام والترتيب حيث يدل هذا على ان اللاحقين كانوا يقبسون من السابقين .

ثم يأتي في التسلسل حورابي الذي اشتهر بتشريعاته . ولقد جمع هذا الملك ونسق القوانين السابقة وزاد عليها ورتبها ترتيباً فنياً متقناً حتى غدت انظم واكمل شريعة في تاريخ الحضارات القديمة ، وقد توخى في عمله توحيد التشريع في جميع انحاء مملكته التي اتسعت اتساعاً عظيماً .

وهي مدونة بالاكدية على ما يقول طه باقر [1] على حجر من البازيلت على هيئة مسلة .وقد نحت في اعلاها صورة تمثل الاله شمس اله العدل على عرشه وحورابي يقف في حضرته وقفة الخاشع ويتسلم منه الشريعة او يسلمها اليه .

وقد جعل حورابي لتشريعاته مقدمة ذكر فيها اسباب وضعها وهي انتداب الآلهة له لنشر العدل بين الناس كما جعل لها خاتمة سرد فيها القابه واعماله ونصح الأجيال الآتية بتدبر احكام شرائعه والسير بموجبها ودعا على من يحرفها ويمحوها .

وهي مؤلفة من ٢٨٢ مادة ومصوغة صياغة فنية ومبوبة حسب المواضيع ، وقد شملت كل شيء ؛ ومواضيعها حسب التسلسل هي احكام المخالفات والجرائم والتهم الباطلة وشهادة الزور والجرائم الخاصه بالاموال وخطف الاولاد وايواء الآبقين من الارقاء والسطو على الدور والسرقات ونهب البيت المحترق والأراضي والعقارات وواجبات الزراع والديون الخاصة بالفلاحين والجرائم والمخالفات الخاصة بالري والأضرار المسببة عن الماشية وجرائم قطع الاشجار وشؤون بساتين النخيل والمعاملات التجارية وتنظيم الفنادق والخانات ووسائل المواصلات والرهونات والودائع والامانات والزنا والقذف والزواج والطلاق القسري والوراثة والتبني والاعتداء على الآباء وغيرهم وتنظيم المهن الطبية وغيرها والجراحين والبياطرة والحلاقين والواسمين والمعمارين وبنائي

«١» اسرة حورابي عمورية على ما شرحناه في فصل سابق وهذا ما يسلم به باقر ، فاذا صح ان شريعته مدونة بالاكدية فتكون الاكدية والعمورية لغة واحدة او متماثلة .

السفن والشؤون الزراعية المنوعة والأجور والاسعار والرق .
وهذه نماذج من المواد :

المادة ٥ — اذا قضى قاض في حكم وقرر فيه واصدر بذلك وثيقة ثم رجع عن حكمه فيحاكم ذلك القاضي في الدعوى التي حكم فيها ويدان بذلك التغيير ويغرم غرامة تعادل اثني عشر مثلا مما في الدعوى ويطرد علناً من منصبه ولن يرجع اليه ولا يجلس في مجلس قضاء مع القضاة .

المادة ٤٨ — اذا كان على شخص دين ثم اغرق الاله ادد حقله واتلف حاصله او لم ينتج الحقل غلة لانتفاء الماء فسوف يعفى ذلك الشخص في تلك السنة من تسليم حبوب الى صاحب دين عليه وسوف يغير عقده ولن يدفع ربا تلك السنة .

المادة ١٢٨ — اذا اخذ رجل امرأة ولكنه لم يكتب بذلك عقداً فلا تعد المرأة زوجة شرعية .

المادة ١٩٦ — اذا اتلف رجل حر عين رجل آخر حر فتتلف عينه واذا كسر عظمه فيكسر عظمه .

وبين احكام بعض شرائع حمورابي وبعض الشرائع اليهودية والاسلامية والحديثة تطابق يجعل المرء يندهش من نضج التفكير الذي وصل اليه ذلك الزمن وما كان عليه واضعو هذه الشرائع من نفوذ ذهن وواسع افق .

هذا في العراق الجنوبي ، وفي العراق الشمالي اي آشور عثر على الواح كثيرة تحتوي قوانين تعود الى ازمنة مختلفة من العهود الأشورية ؛ ويمكن تقسيمها حسب زمنها الى مجموعتين تشتمل الاولى على ما يمكن ان يسمى بالقوانين القديمة وترجع الى العهد الأشوري القديم اي اواخر الألف الثالث قبل الميلاد .

واكثر ما عثر عليه منها يتعلق بنظام المحاكم واصول المرافعات وتنظيم الشؤون التجارية اما المجموعة الثانية فترجع بوجه التقريب الى ما بين القرن الخامس عشر والثالث عشر وهي غفل من اي اشارة او دلالة على مشرعيها . وكل ما امكن الاستنتاج منها انها كانت سارية في مدينة آشور وما جاورها من المدن . وتشبه لغتها لغة السجلات الملكية التاريخية . ولا تؤلف وحدة ما . ومعظمها خاص بالمرأة والأحوال الشخصية والجنايات

والعقوبات المتصلة بذلك . وبعض الباحثين يظنون انهـا في اصلها اقضية او قرارات في قضايا معينة صيغت بصيغة مواد قانونية ، ويلحظ شيء غير يسير من التشابه في احكام القوانين البابلية والأشورية كما يلحظ بعض الاختلاف . وتمتاز الأشورية بالقسوة والشدة في العقوبات . وتدل على ان الاشوريين لم يعنوا عناية البابليين بأمور التشريع والقوانين المدونة .

٣ ـ القضاء والمحاكم (١)

ليس هناك ما يساعد على رسم صورة كاملة عن الأحوال القضائية ، وبوجه عـام يمكن ان يقال ان الملك في العراق القديم كان يعتبر ينبوع العدالة والشريعة . وهو الذي يحيل المجرمين والقضايا المتنوعة الى المحاكم . وكان لكل انسان ان يقدم استدعاء للملك للنظر بشكواه ولا سيما في حالة انعدام العدالة ورفض المحاكمة . وكان هناك محاكم خاصة ومحاكم اقليمية وكان القضاة محترفين اكثر منهم موظفين ، وتشير النقوش البابلية التي يستفاد منها ما تقدم الى انه كان يوجد جملة اصناف من القضاة ، منها صنف يطلق عليه قضاة معبد الاله شمس وآخر يطلق عليه الأديرة الخاصة بالكهان والكاهنات ، والى هذا فهناك قضاة مدنيون يطلق عليهم اسماء مدنهم فيقال قضاة بابل وقضاة سيبار ، وهناك قضاة ينتسبون الى الملك ويسمون « ديانو شاريم » .

ومن المحتمل ان تكون طبقة القضاة نشأت في البدء من طبقة الكهان ومن المحتمل ان تكون المعابد هي محل القضاء . غير ان هناك آثاراً تدل على ان مجالس القضاء كانت تعقد ايضاً في القصور وفي اماكن اخرى من المدن والعاصمة حيث يتولى القضاء الملك وينوب الولاة عنه في الأقاليم . وقد جاء في نقش عبارة « بيت دنيم » وفي نقش عبارة « بيت دين ماتم » والأولى تعني بيت القضاء والثانية بيت قضاء البـلاد . وهناك نقش يفيد ان القضاة كانوا يجلسون في بوابة المدينة للقضاء ونقش آخر يفيد ان شيوخ المدينة وكانوا يسمون « شيبوت آلم » كانوا يجلسون مع القضاة ونقش آخر يفيدان شيوخ المدينة كانوا يعقدون مجلس قضاء وحدهم او مع عمدة المدينة الذي كان يسمى « رابيانوم » ونقش آخر يفيد ان نقابة التجار التي كانت تسمى «كاروم » كانت تعقد مجلساً قضائياً او تجلس مع قضاة خصوصيين .

«١» ص ٣٠١ — ٣٠٦

وقد كان للمحاكم سعاة ومبلغون وحلاقون لجز الشعر وكتاب ضبط وجراحون لوسم العبيد ، وكان هناك موظف يطلق عليه « ريدوم » يظن انـه كان لجلب المجرمين او الاشراف على تنفيذ العقوبات .

٤ ـ العلوم والمعارف (١)

في الآثار العراقية اشارات الى انه كان نظام ما للتعليم المدرسي ، وانـه كان للتعليم ابنية خاصة كما ان المعابد كانت تتخذ امكنة للتعليم ايضاً وهذه الاشارات قديمة يرجـع بعضها الى عصر السلالات الاولى ، وقد وجد في خرائب مدينتي نغر وسيبار وغيرهما نماذج لمدارس كان يدرس فيها الطلاب كما وجد في خرائب مـدن عديدة قديمة آلاف مؤلفة من الالواح التي يرجح انها كانت الواحاً مدرسية لتعليم الطلاب .

وكانت المدارس تعلم فى الدرجة الاولى على ما يظن الكتابة المسمارية التي كانت في طورها الأول تصويرية ثم صارت صوتية ورمزية وكان الطلاب يتعلمون لغتهم ثم اللغة السومرية التي كانت الكتابة السومرية كتابتها الاولى ، والتي كانت المدونات تدون بها في بدء الأمر ؛ ولم يكن التعليم قاصراً على ذلك وكان متدرجاً ابتدائياً ثم عالياً وكان العالي يشمل المعارف الرياضية والموسيقى والفلك والطب والقانون . وكانت المدارس العالية تسمى « بيت مومي » اي دار العلم او الحكمة . وكان هناك خزائن كتب تسمى «اي دبا» ومعناها بيت الالواح لحفظ الواح العلوم وسجلات الملوك . واشهر هذه الخزائن مكتبة سور بانيبال التي عثر عليها في قصر هذا الملك في نينوى والتي بلغ عدد الالواح التي عثر عليها منها ...ات آلاف الألواح (٢) تحتوي جميع اصناف المعرفـة والسجلات والوثائق التاريخ... ...اليها يعود فضل كشف نواح مهمة من حضارة العراق القديم وتاريخـه . وقد جمع هذا الملك ما وجدة في المدن البابلية من الواح وزاد عليها ما تيسر به هذا العدد الضخم من الالواح .

وبالاضافة الي هذه المكتبة فقد اكتشفت مديرية الآثار العراقية في المكان المعروف بتل جرمل زهاء (٣٠٠٠) لوح فيها شتى صنوف المعرفة من جداول باسماء النباتات

«١» ص ٣٠٧

«٢» هذا الرقم عظيم جدا بالنسبة للرقم الذي ذكره ادبي شير في كتابه تاريخ كلدو واثور ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٥ ه و عشرون الفاً على ما شرحناه في سياق سيرة اسور بانيبال .

والحيوانات والمعادن ومن جداول رياضية ومن جداول لغوية مما يسوغ القول ان هـذا المكان كان بمثابة مدرسة عاليـة او مجمع علمي مأهول بالكتاب المتضلعين بالعلـوم والمعارف .

ولقد كانت عناية العراقيين القدماء كبيرة بالمؤلفات اللغوية بسبب صعوبة الخـط المسماري واللغات المدونة به .

ومن أقدم المؤلفات في ذالك الجداول اللغوية التي عثر عليها في المكان الذي يعرف اليوم باسم حميدة نصر قرب مدينة كيش القديمة ؛ وهي عائدة الى فجر عهد السلالات الاولى الذي كان حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد في تقدير طه باقر ؛ والذي يقدره ادى شير في القرن الاربعين على ما مرّ ذكره .

ثم اخذت المؤلفات اللغوية تكثر حينما انفرد الساميون بالسيطرة لان الحاجة اشتدت الى فهم اللغة السومرية والاقتباس من مدوناتها ، وقـد وجدت الواح فيها العلامات المسمارية وبجانبها الأيسر لفظ العلامات وبجانبها الأيمن اسمها ، ووجدت الواح فيها معاني العلامات عندما تستخدم بصورة رمزية بالسومرية وما يقابلها بالبابلية ، وهناك الواح فيها شرح التعابير والمصطلحات الفقهية المستعملة في الوثائق والعقود والواح فيها اسماء مواد مختلفة من حيوان ونبات ومصنوعات خشبية ومعدنيـة ونباتية واسماء الأشجار المثمرة واجزائها .

وهناك الواح تفيد ان البابليين والأشوريين وضعوا معاجم ومؤلفات فيها تعريف المفردات ومرادفاتها وتراكيبهـا . وان البابليين استعملوا طريقة الشروح والهوامش ووضع التفاسير للنقاط الغامضة بين السطور بخط دقيق .

٥ ـ التدوين التاريخي (١)

ومما عني به العراقيون القدماء التدوين التاريخي حيث الف كتابهم مدونات أحتوت اسماء الملوك واحداثهم على ما عرف من النماذج الكثيرة التي وصلت الينا اخبارها ، وقد كانوا في البدء يؤرخون الأحداث بالنسبة الى حادث مشهور . ثم صاروا يؤرخونهـا بالنسبة لعهود الملوك او اعاظم الرجال .

ويرجع اول التدوين التاريخي العراقي الى بداية الألف الثالث قبل الميلاد ؛ حيث

«١» ص ٣١٩-٣٢٥

دونوا سني الملوك واحداثهم الهامة في جداول . ولم يقتصر هذا العمل على الكتاب بل شارك الملوك فيه وان كانت المشاركة شخصية من حيث تدوين كل ملك اخباره . وكان الذين يدونون احداث التاريخ وخاصة الملوك ينقشون ذلك على جدران قصورهم او على الواح يعرضونها للانظار في اماكن بارزة من القصور ليقرأها المعاصرون واللاحقون ويمجدوا اصحابها لأعمالهم المجيدة .

ومن الكتاب العراقيين المتأخرين من كتب تاريخاً بمعناه العلمي اليوم اي تاريخ العصور الماضية لمدة طويلة ، وقد كتب كتاب القرن السادس اخبار الدولة الاكدية واخبار العلاقات بين بابل وآشور وعيلام . ومن هذا القبيل برحوشا الذي يسميه اليونانيون بروسوس والذي ذكرنا خبره في مطلع الجزء .

٦ ـ الجغرافية وعلم البلدان (١)

ولقد اهتم العراقيون القدماء بالعلوم الجغرافية وعلم البلدان ومما عرف من الآثار ان البابليين تصوروا الأرض وما فيها نسخة لما في السماء . وتصوروا الأرض في هيئة كرة مقلوبة والسماء فوقها في ثلاث طبقات حيناً وفي سبع حيناً . وقد قسموا الأرض الى ثلاث مناطق او طبقات . الظاهرة لسكنى البشر والوسطى مقر المياه والهها والثالثة السفلى لارواح الموتى . وقد وضعوا اثباتاً مطولة باسماء البلدان والمدن والانهار في العراق والاقطار المجاورة على ما يستفاد من النماذج التي وصلت الينا من العهد البابلي القديم والتي عثر عليها في تل حرمل ، وهناك نماذج من العهد الآشوري المتأخر ومن العهد البابلي المتأخر ايضاً.

ومما وصل الينا قوائم نظمت لأغراض ادارية كتعداد المدن والمواقع مما يدخل في المعارف الجغرافية ، ومن هذا القبيل قوائم احتوت اسماء الاقاليم والمواقع المهمة وعينت المسافات فيما بينها فيها .

وقد عرف من الآثار انهم كانوا يرسمون الخرائط ، وقد عثر على خريطة لمدينة نفر يرجع عهدها الى الالف الثاني قبل الميلاد وهي مضبوطة حتى انها ساعدت المنقبين على تعيين المواقع المهمة في المدينة ، وعثر كذلك على خريطة لمدينة سيبار واخرى لمدينة بابل وتجاوزوا هذا النطاق الى رسم خرائط للاقاليم حيث عثر على خريطة للعالم المعروف لديهم وضعت في العهد البابلي القديم ويرجح انها نسخة عن اصل اقدم منها ، وتصور هذه

---

(١) ص ٣٢٥-٣٢٩

الخريطة الارض مدورة مسطحة في وسطها نهر الفرات آتياً من الجبال الشمالية ويصب في منطقة الاهواز في الجنوب . ووضع في مركزها بابل وفي جانب منهـــا بلاد آشور . وعلمت فيها المدن بدوائر في وسطها الأسماء كما يفعل الخطاطون اليوم ، وفي الخريطة مثلثات خارجة عن منطقة المركز تشير الى الاقاليم الأجنبية ويحيط بالقارة النهـــر او البحر ، ويمكن ان يقال ان خرائطهم فاقت خرائط الاغريق القديمة اتقاناً .

٧ ـ العلوم الرياضية والطبيعية (١)

يقول طه باقر ان كتابة الارقام والحساب بالأرقام بدأت منذ نشوء الكتابة لاول مرة في تاريخ البشر في وادي الرافدين ويحدد ذلك في حدود ٣٥٠٠ ق.م ؛ وتدل الآثار على ان عملية الجمع والطرح في العراق كانت معروفة منذ عهد مبكر ، وانهم عرفوا بعدها عملية الضرب ووضعوا لها جداول مطولة ؛ وان استعمال الموازين والمكاييل وغيرها من الاقية كان جارياً في العهد الأكدي ؛ وانه كان مدونات رياضية منذ منتصف الألف الثالث ونضجت وكثرت في بداية العهد البابلي القديم الـــذي يتميز بنضج العلـــوم والمعارف والبحث والتدوين بصورة عامة .

وقد عثر في تل حرمل على الواح فيها قضية هندسية جبرية تقوم على مبـــدأ تشابه المثلثات لعلها اقدم قضايا رياضية .

ومن الممكن تصنيف النصوص والمؤلفات الرياضيةالبابلية الى صنفين الاول الاثبات الرياضية مثل جداول الضرب وجداول معكوس الأعداد ورفعها وجذورهـــا والثاني قضايا رياضية وضعت لتحل بموجب الاثبات والقواعد . والاول هو الأقدم حيث كانت الحاجة اليه اشد كما هو المتبادر . وكان هو العملي دون القضايا التي كانت تمثـــل الطور العلمي النظري . وقد بلغ عدد الواح القضايا التي عثر عليها نحو مئة وعدد الواح الجداول نحو مئتين .

ولقد عرف الرياضيون العراقيون القدماء علم الجبر حيث عثر على الواح وضعت فيها القضايا الرياضية وحلت بالطرق والمعادلات الجبرية ويقول طه باقر ان الجبر في الرياضيات البابلية بلغ مرتبة اعلى بكثير مما بلغته الهندسة وارقى مما بلغه اليونان فيه وبكلمة اخرى

«١» ٣٣٠ ـ ٢٥٥

ان الجبر بلغ عند البابليين طور العلم الصحيح تقريباً .

٨ ــ الفلك (١)

ويقول طه باقر ان من الامور المجمع عليها في تاريخ المعارف البشرية ان البابليين هم الذين اسسوا علم الفلك . وقد اشتهر الفلك البابلي شهرة عظيمة بين الاغريق حتى انهم عرفوا اسماء عدد من مشاهير الفلكيين البابليين وترجموا مؤلفاتهم منهم نبو ريانوس وكيد نبو من اهل القرن الرابع قبل الميلاد .

ولقد عني العراقيون بملاحظة الأجرام السماوية منذ اقدم الأزمنة وبدأوا يدونون ملاحظاتهم وارصادهم وحساباتهم منذ العهد الاكدي والعهد البابلي القديم فانتقلوا بذلك من طرق المعرفة العملية الى طور علم الفلك الحقيقي ، ونشأت عنايتهم بالفلك من حاجتهم الى ضبط الفصول والتقويم . والقول ان منشأ علم الفلك البابلي من عقيدة تأثير النجوم في طبائع البشر ومصائرهم والرغبة في رصدها لمعرفة ذلك وهو ما عرف بالتنجيم خطأ شائع .

ولقد كانت براعتهم في الرياضيات سبباً لتقدمهم في الفلك وكثيراً ما استبدلوا الملاحظة المباشرة والرصد بالحساب وقد فعلوا هذا خاصة في العهود المتأخرة فغدا علم الفلك علماً رياضياً ، وقد بلغوا في هذا المضمار مبلغاً عظيماً حتى ان الفلكيين في العهد الحاضر لم يبلغوا شأن البابليين في كثرة الارصاد وطول زمنها حيث استغرقت ارصادهم قروناً طويلة منذ اقدم العهود وكانت الأساس الذي استندت اليه القواعد العامة لعلم الفلك وقد استعملوا في ارصادهم طرقاً فنية . من ذلك ان توكلتي نتورتا الاول استعمل آلة فلكية تسمى اليوم بالترانزيت عند بناء قصره في آشور وقد كانوا يستفيدون من الابراج ــ الزقورات التي كانت تبنى لاغراض دينية في رصد الاجرام السماوية والاغراض الفلكية وقد قسم البابليون اليوم الفلكي الى ١٢ قسما كل قسماً يساوي ساعه مضاعفة من ساعتنا والساعة الى ٣٠ جزءاً . وكان حسابهم قمرياً وايام سنتهم ٣٥٤ معاقبين ايام الاشهر بين ٢٩ و٣٠ يوماً فكانوا يكسبون في كل دورة معينة شهراً ليضمنوا الانسجام بين الدورة القمرية والدورة الشمسية . وقد صار التقويم البابلي نموذجاً ومقتبساً للشعوب الاخرى وقام على اساسه التقويم اليهودي والتقويم اليوناني والتقويم الروماني الى التقويم الجولياني .

---

(١) ص ٥٥٦ – ٣٦١

ولقد استعمل البابليون في فلكهم اقصى ما وصلوا اليه من المعلومات الرياضية حتى انهم استخدموا المتواليات الهندسية والحسابية في تعيين مدة اليوم والنهار واطوالها بالنسبة للفصول الاربعة واستعملوا المتواليات الحسابية المتصاعدة والمتنازلة في معرفة ازمان طلوع القمر وغروبه وفي رصد بعض الكواكب كالزهرة .

ولقد وصل الينا ارصاد مطولة لكوكب الزهرة من زمن سلالة بابل الاولى ، ولقد اشتدت الحركة العلمية في الارصاد الفلكية منذ العهد البابلي القديم حتى وصل الفلكيون إلى ارصاد مضبوطة عن ظهور النجوم الثوابت وغروبها في كل عام . ولقد الفوا الاسطرلابات وحسبوا ابعاد النجوم بالدرجات ؛ وقد عثر على بعض هذه الاسطرلابات على هيئة قرص دائري رتبت الكواكب فيه في ثلاث دوائر ذات مركز واحد وقسم القرص الى اثني عشر قطاعاً لكل شهر قطاع وخصص لكل قطاع الكواكب الثلاثة التي تظهر فيه .

ومن الارصاد البابلية الخاصة بالزهرة التي عثر على الواحها الارصاد التي جمعت في ايام الملك امي صادوقا . وقد استعمل البابليون آلات خاصة لقياس الزمن وهي الساعات المائية لقياس اجزاء الليل والساعات الشمسية او المزاول لقياس ساعات النهار .

٩ ـ العلوم الطبيعية والكيمياء والمعارف الصناعية (١)

لقد بدأت معارف العراقيين القدماء عن الكون والطبيعة في بداية الالف الثالث حينما اخذت الحضارة تنضج . غير ان مما لا شك فيه ان بذور هذه المعارف قد سبقت هذا الدور . ويصدق هذا القول على العلوم التي تتناول الحيوان والنبات معاً . ولقد خلفوا جداول مهمة في الحيوان والنبات والحجارة منها ما يعود الى نهاية الالف الثالث اي بداية العهد البابلي القديم ، وكان من اعمالهم تصنيف الحيوان والنبات على ما تفيده تلك الجداول ، واهمية هذا الأمر في كونهم ساروا على منهج علمي منذ عهد متقدم جداً . وقد كانوا يرمزون لكل صنف باسم عام او رمز فاذا ارادوا التعبير عن فرد من صنف علموه برمز الصنف ، وميزوا في النبات انواعاً واجناساً من الاشجار والخضروات والاعشاب والحبوب وصنفوها في مجامع متشابهة .

ولقد ابتدأت معرفتهم العملية الناضجة في الكيمياء منذ ان عرفوا التعدين ، وقد سبق ذلك صنع الفخار الذي تعلموا منه اشياء مهمة عن خواص المواد وتأثير الحرارة وخواص الطين . وعندما بدأوا يزوقون اواني الفخار زادت معرفتهم ببعض المواد الكيماوية .

«١» ص ٣٦١–٣٦٥

وفي الالف الثالث عرفوا طريقة التزجيج وصنع الخرز من العجائن الكيماوية وعرفوا بطريق ذلك قابلية السلكات القلوية للانصهار كما هي الحال في المعادن .

ولقد عرف العراقيون القدماء خصائص معادن كثيرة قبل فجر السلالات الاولى ثم ازدادت معرفتهم وقد صنعوا البرنز واتقنوه في فجر السلالات الاولى كما اتقنوا مزج المعادن وصنعوا معدناً مزيجاً من الذهب والفضة وبرعوا في فن السبك والصب وصنع التماثيل الى درجة كبيرة ، وصنعوا سبائك قوية من النحاس بخلطه بالرصاص والأثمد والقصدير ، ولم يستعملوا الحديد بكثرة الا منذ الالف الاول قبل الميلاد وشاع خاصة في العهد الأشوري الحديث .

وقد جرب البابليون تحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة ووصلوا من ذلك الى معلومات مهمة عن خواص المعادن والطرق الكيماوية ، ولم تقتصر محاولاتهم على المعادن بل تناولوا بعض الأحجار الكريمة وحصلوا بطريق التمويه والتقليد على نتائج هامة . ويمكن ان يسلك في هذا ما وصلوا اليه من صناعات الأصباغ والعقاقير والصابون والعطور والميناء المزججة واستخدام هذا في الصباغ والرسم وتزجيج الآجر والفخار

ومع ان معظم هذه الصناعات عملية فانه عثر في خزانة اشور بانيبال على مؤلفات مهمة في صنع الزجاج والتزجيج اقدمها من القرن السابع عشر قبل الميلاد . ومما عثر عليه وصفة كيماوية في عمل حجر اللازورد اي تقليد الطبيعة ، ووصفة في عمل الزجاج والتزجيج والميناء .

ومع انهم كانوا يحصلون على النار بطريق القدح بالصوان فان هناك آثاراً تفيد انهم عرفوا خواص الكبريت الطبيعي بل ان بعض الباحثين يرجحون انهم صنعوا نوعاً من الثقاب . وقد عرفوا بعض طرق الكيمياء التصعيدية واستخرجوا بها ما يسمى بالسلياني المصعد والزئبق والآمونيا من السماد المحروق بالاضافة الى اكتشافهم الزئبق واستخراجهم اياه من الزنجفر ، وعرفوا واستخرجوا الرصاص الأبيض الناتج عن تفاعل الخل من الرصاص كما عرفوا واستخرجوا الرصاص الاحمر . وقد عثر على وصفة بابلية لاستعمال الذهب في الزجاج وصنع الزجاج الارجواني . ولا يستبعد ان يكونوا عرفوا الماء الملكي الذي يذيب الذهب ، وهو ما قد استخرجه جابر بن حيان الكيماوي العربي . وقد استخدموا معارفهم الكيماوية في استخراج الادوية المعدنية وسجلوا ما لا يقل عن ١٢٠ نوعاً من انواع هذه المواد المستعملة في الطب .

١ ـ الطب [١]

لقد كانت معارف العراقيين القدماء الطبية مهمة مـــن حيث تشخيص الامراض ومعرفة العقاقير وتركيبها والجسم الانساني والجراحة ، غير انه كثيراً مـــا كان يخالط الاعمال الطبية السحر والرقى والتعازيم ؛ لانهم كانوا يعتقدون بصورة عامة ان الشياطين والارواح هي التي تسبب الامراض ؛ وقدكان هذا امراً عاماً لا تزال آثاره موجودة في كل مكان وان كان اكتشاف الميكروب قد اضعفه .

وكان للطب عندهم اله وهو الحكيم ايا الذي كان يسمى ايضاً سيد الماء ؛ ومن هنا جاءت تسمية الطبيب عندهم كلمة معناها العارف بالمـــاء وهي آسور البابلية وآزو السومرية [٢] .

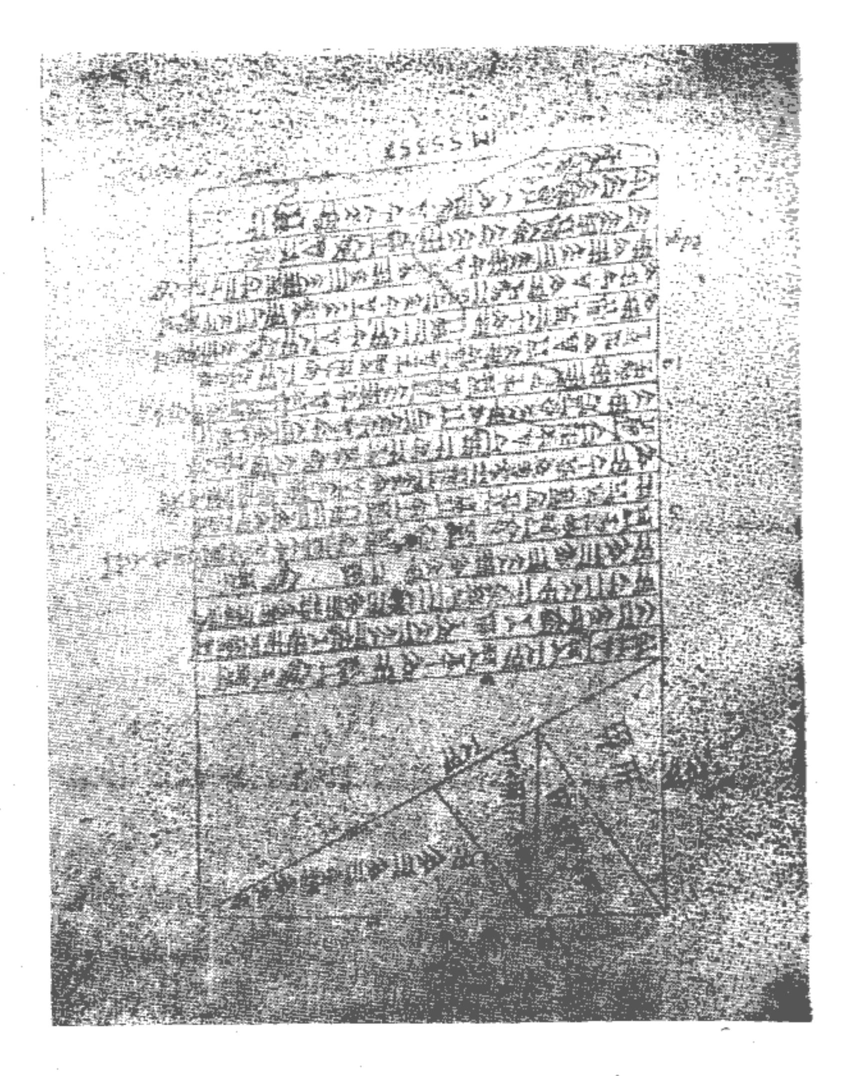
وكانت طرق المعالجة عندهم ثلاثاً : (١) العلاج الطبي وما يتصل به مـــن عقاقير وتمريض (٢) العمليات الجراحية (٣) الرقى والتعازيم لطرد الارواح والشياطين الـــتي تسبب الامراض ، والاصل مرتكز على المعارف الطبيـــة بدليل ان السحرة لم يكونوا يقتصرون على الرقى والتعازيم بل كانوا يستعملون العقاقير ولو كان ذلك على اعتبار انها تقتل الشياطين او تضطرهم للخروج من الجسم .

وكان من عقائدهم ان الآلهة خالقة كل شيء ومنها الارواح وخالقة العلاج والشفاء تبعاً لذلك ؛ وان عليهم في الدرجة الاولى ترضية الآلهة وتسكين غضبهم؛ وان العلاجات انما تفيد في تسكين الداء وتخفيف شدته وقد كان معظم الاطباء وخاصة في العهود المتقدمة كهاناً نتيجة لذلك .

ويستدل من الآثار على انه كان عندهم اصناف من الاطباء ، منهم المختصون بمعالجة الامراض بالعقاقير ، ومنهم الجراحون ، ومنهم البياطرة ، وقد خصت شريعة حمورابي الطب بمواد كثيرة مما يدل على ما كان له من حيز ومكانة في المجتمـــع بعضها في صدد تحديد الاجور وبعضها في صدد العقوبات الخاصة باساءة الاطباء استعمال المهنة، ومن ذلك مثلا هذه المادة « ان الجراح الـــذي ينجح في شفاء العـــين بعملية جراحية فاجرتـــه

«١» ص ٣٦٥-٣٧٤

«٢» يلحظ التماثل القوي في المعنى والمبنى بين كلمة اسو القديمة وبين كلمة آسي الفصحى التي تعني الطبيب.



لوح شرح عليه قضية هندسية جبرية



لوح مدرسي في النبات والحيوان

عشرة شيقلات فضة اذا كان المريض حراً وخمسة اذا كان عبداً . اما اذا اخفق فسبّب موت المريض او فقدان عينه فتقطع يده اذا كان المريض حراً ويعوض صاحبه عبداً ان كان عبداً ويدفع نصف ثمنه اذا فقدت عينه .

وتشير الكتابات البابلية الى ان عدد الأطباء المحترفين لم يكن قليلا والى ان هناك اطباء رسميين بعضهم خاص بالملوك واطباء يتنقلون من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر وكان طلب الأطباء من قطر الى قطر شائعاً .

ولقد عرف الاطباء البابليون جملة من الامراض والاوبئة وصنفوها وذكروا بعض الامراض التي تنشأ من عوامل نفسية وبعض الأمراض المستعصية عليهم مثل السرطان والسل والامراض الجلدية وعرفوا بعض الامراض التناسلية وامراض الرأس والقلب والعيون والحنجرة والصدر واعراض التسمم الناشيء عن لدغ العقرب والحية . ولقد عثر في مكتبة اشور بانيبال على مؤلفات طبية كثيرة منها ما يدل على انه منسوخ عن كتب قديمة ، ومما عثر عليه نص طبي عائد الى عهد سلالة اور الثلاثة وبذلك يمكن ان يكون اقدم نص طبي ، ويعود الى حدود القرن الواحد والعشرين ، وفيه جملة وصفات طبية وعقاقيرية مثل القاشيا والحلتيت والزعتر والعسل ونترات البوتاسيوم وكلوريد الصوديوم الخ .

ولقد كان التشخيص ذا خطورة عظيمة عندهم ، وطريقتهم انهم يصفون الأعراض التي يشاهدها الطبيب ثم يصفون ما يفعله ونوع الدواء الذي يعطى ، وقد عثر على الواح عديدة من ذلك ؛ واغلب ما عثر عليه لا يحتوي اسم المرض .

وكانت مصادر الأدوية ثلاثة وهي النبات والحيوان والازهار والمواد الحيوانية والمعدنية وكيفية تحضيرها واستعمالها من قطف وسحق وخلط وتركيب بنسب معينة وتسخين وشرب ودهن ومسح الخ .

١١ ــ الزراعة والري (١)

لقد سمى كتاب الاغريق والرومان بلاد ما بين النهرين بانها الدرادو اي بلاد الذهب والجوهر مما فيه شهادة على ما كانت للزراعة فيها من حيز وخير ، ولقد خلف العراقيون وثائق كثيرة في شؤونهم الاقتصادية وخاصة في شؤون الفلاحة . وقد اعارت الشرائع

---

(١) ص ٤١٥ – ٤٣٥

هذه الشؤون عناية كبيرة ؛ وفي شريعة حمورابي جملة مواد لتنظيمها وفيها معلومات مفيدة عن كيفية فلح الارض والآلات المستعملة وحقوق الزراع واجور الفلاحين وقسمة الغلة بين صاحب الارض والفلاحين الخ . وقد عثر في تل حرمل على الواح كثيرة في شؤون الزراعة وتنظيمها ايضاً كما عثر على اساطير دينية وادبية عن الزراعة والفلاحة . وفي كل ذلك دلالة على شدة العناية بهذه الشؤون مما هو متسق مع طبيعة العراق الجغرافية ،ومما فيه الدلالة على ذلك تلقيب نبوخذ نصر نفسه براوي الحقول وفلاح بابل ، وتخصيص العراقيين آلهة كثيرة لهذه الشؤون .

ولقد عثر في خرائب تغر على الواح عرف انها مؤلف زراعي لارشاد الزراع منذ بذر الحبوب الى جنيها . وقد وجدت صور للمحراث العراقي القديم لا تكاد تختلف عن محراث اليوم ؛ ومن هذه الصور صورة من جملة اجزائها آلة او انبوب على هيئة القُمع لبذر البذور اثناء الحرث ، وقد عثر على نماذج متنوعة للمناجل وهي تشبه في الاجمال منجل اليوم ، وعثر على الواح فيها مصطلحات زراعية في صدد النخيل واسماء التمر وطرق الانضاج الصناعي وكانت النخلة اقدم واهم شجرة عراقية ، وكانوا يزرعون الفراغات بالاشجار المثمرة كالتين والعنب والرمان والتفاح والفستق واللوز ، وقدجلب ملوك آشور الزيتون وزرعوه ويرجح انهم جلبوا القطن وزرعوه ايضاً ، فقد جاء في نقش لسنحاريب انه غرس في حدائقه اشجاراً غريبة من اقطار الدنيا من جملتها شجرة تحمل الصوف ؛ حيث فسر الباحثون ذلك بالقطن .

والدراسات تفيد ان زراعة النخيل لم تكن مقتصرة على الجنوب بل امتدت الى الشمال ووصلت الى تكريت وعانة بل والى ما فوقها ، وكانت عنايتهم بالنخيل عظيمة حتى ان البابليين وضعوا قصيدة فيه ذكروا فيها ٣٦٥ فائدة له . وقد خصص حمورابي مواد كثيرة لشؤونه المتنوعة ؛ من جملة ذلك عقوبة على من يقص نخلة بدون اذن صاحبها . وفي الجداول العراقية اصناف عديدة للنخيل مما يدل على ما كان من عنايتهم به وتفننهم فيه .

والمستفاد من الآثار ان الملكية الارضية كانت في العراق فردية وليست للملك . وكان للمعابد والقصور الملكية اراض اسوة بالافراد ، ويستفاد منها انها كانت نوعين ملكية مستندة الى سندات فردية نتيجة لهبة من ملك او حاكم ، وهذه لا تباع ولا ترهن ولا توهب ويشترط على وارثها ان يقوم بواجبه باستغلالها والعناية بها .

ولقد كانت عناية ملوك العراق بالري عظيمة ؛ على اعتبار انه الدعامة الاساسية لحياة العراق الاقتصادية وقد تجلت عبقرية العراقيين القدماء في منظمات الري وما انشأوه من سدود وحفروه من انهار وجداول وما جففوه من مستنقعات وبكلمة واحدة لقد انشأوا اوسع طرق للري عرفها العالم القديم مما لا تزال آثاره المنتشرة في جميع انحاء العراق شاهدة على ذلك وشاهدة على ما كان من استبحار العمران في مناطقها تبعاً لذلك . ولقد ورد في الألواح والنقوش العراقية من اسماء آلاف الأنهار والجداول ما يملأ مجلداً ضخماً . وقد خصصت شريعة حمورابي مواد عديدة لتنظيم شؤون الري تجاوباً مع الخطورة التي كانت له .

١٢ ـ التجارة (١)

يقول طه باقر ان شهرة العراق القديم ولا سيما بلاد بابل في التجارة لا تقل عن شهرته في الزراعة وان كتاب اليونان والرومان قد نوهوا بذلك كثيراً ؛ وان كثيراً من مصطلحات البيع والشراء ومن المعاملات الأساسية في التجارة كالقبض والتسلم والعقود واسماء المكاييل والموازين قد اقتبسها عنهم الشعوب المعاصرة لهم ومنهم الآراميون والعبرانيون .

ولقد خصص حمورابي ١٢٠ مادة من شرائعه للمعاملات والشؤون التجارية وما يدخل في نطاقها مما فيه دلالة على ما كان لها من حيز وتأثير . ومثل هذا يقال في التشريعات التي عثر على الواحها في تل حرمل . ومما احتوته مواد حمورابي مواد في صدد الشركات وما يتعلق بنقل البضائع والصيرفة وايداع الأموال . ومن الشركات التي ذكرت فيها ما ينطبق وصفه على ما يعرف اليوم بشركات المضاربة او العمولة . وقد اشير في مواد شريعة حمورابي التجارية الى نصيب المرأة وحريتها في الأعمال التجارية .

ولم يعثر على نقود بابلية وآشورية ، والآثار تدل على ان البابليين والاشوريين استعملوا كوسيلة للتعامل وقياس لقيم السلع الفضة على هيئة صفائح او حلقات أو اقراص مثقوبة ذات اوزان معينة ، ويظن انهم كانوا يدمغونها ضماناً لنوعها ووزنها ؛ وهذا الاسلوب هو صفة النقد المعدني وحقيقة مداه كما هو واضح .

ولقد كان ملوك العراق يهتمون كثيراً بطرق المواصلات وضمان امنها وهذا يمت بصلة وثيقة الى التجارة كما هو المتبادر وقد انشأوا نظاماً للبريد او بكلمة اخرى لنقل الاخبار

«١» ص ٤٣٥ ـ ٤٤٢

والرسائل ، وكان من وسائل مواصلاتهم الغربة التي يمكن ان يقال انها نشأت في العراق في عصور ما قبل التاريخ او في منتصف الالف الرابع قبل الميلاد على ما تدل عليه الآثار .

ولقد اكتشف حديثاً في الاناضول مركز تجاري ثبت انه من تأسيس الاشوريين في بداية الالف الثاني ، وقد عثر فيه على الواح كثيرة عليها نقوش مسمارية واختام اسطوانية مما يستعمل في المعاملات التجارية ، وعرف من الالواح انـه كان لهذا المركز مراكز اخرى تابعة له ، وقد كشف عن بعض الاماكن التجارية التي كانت تدار منها شؤون هذا المركز وفيها من الوثائق التجارية المتنوعة ما يمدنا بمعلومات ثمينة عن القوافل التجارية وتمويلها وتنظيم تسلم البضائع وطرق السفر الخ مما اثار دهشة العالم بما وصل اليه العراقيون القدماء في مضمار النشاط التجاري من مدى بعيد .

ومن الشؤون المتصلة بالنشاط التجاري وسائل النقل المائية ؛ وقد عني بها العراقيون منذ القديم لان ذلك متسق مع طبيعة بلادهم الجغرافية ، ولقد وجد في خرائب مدينـة اريدو القديمة من مدينة ابـي شهرين بقايا قارب قد يكون اقدم ما صنعه الانسان اذ يرجع الى حدود القرن الاربعين قبل الميلاد على ما يُخمن . وعثر على نماذج من وسائل الملاحة النهرية يشبه بعضها ما لا يزال يستعمل في الانهار كالقفة والجلود المنفوخة . ومن بـين المواد المتصلة بشؤون التجارة والاعمال الاقتصادية في شريعة حمورابي جملة مواد في تنظيم شؤون الملاحة وتحديد اجور السفن ، وفي الالواح اللغوية اسماء انواع مختلفة من السفن والعربات ، وفي الالواح الرياضية حسابات وقضايا متصلة بالسفن وحمولتها وسعتها وقد وجدت الواح فيها وصفات لصنع السفن ؛ حيث يدل كل هذا على عناية العراق القديم بهذه الشؤون .

١٣ ـ الأدب (١)

كان للعراقيين القدماء حظ غير يسير في الأدب على ما تدل عليه الآثار الكثيرة التي خلفوها .

فقد ساهموا في الشعر ، ولقد عرف من النماذج الشعرية التي خلفوها ان شعرهم كان يتألف من ابيات قوام كل بيت مصراعان يتكون كل منهما من مقاطع لا تقاس بالتفعيلات كما هي الحالة بالشعر العربي الفصيح وتشبه الشعر الافرنجي اكثر من هـذه الناحية .

«١» ص٤٤٣-٤٧٦

لوحتان كتب عليها قصيدة غزلية في الملك شوسين تماثلان في محتوياتهما

بعض مقاطع نشيد الانشاد لسليمان بن داود

وشعرهم موزون ولكنه غير مقفى ، ويؤلف كل بيتين وحدة في المعنى . وقد تؤلف كل اربعة ابيات وحدة وحينئذ تكون القصيدة مجموعة من الرباعيات ، وكان كتاب الشعر يضعون فواصل وعلامات بين مصراعي البيت ثم بين كل بيت وبيت ، ولقــد تفنن الشعراء في الازمنة المتأخرة في الصياغة ومن ذلك نوع من القصائد تؤلف اوائل مقاطع كل بيت منها بعد جمعها جملة ذات معنى خاص .

ولقد اثر الدين في الادب البابلي سواء في اشراك الآلهة في حوادث الملاحم والقصص والاساطير أم في المواضيع والأغراض الدينية كالصلوات والتراتيل والأدعية ؛ بل كان الأثر الديني هو الغالب في شعرهم واديهم .

وكان لهم نثر يخضع لاصول خاصة من التأليف والتركيب ، وكانوا يستعملونه في تدوين الأحداث والحكم والمواعظ والأمثال ورسائل الملوك وتخليد اعمالهم .
ولقد عثر على مجموعات هامة من الأدب العراقي القديم منها مجموعة قصصية تدور على نشأة الخليقة واصل الأشياء والاكوان والعمران ، ومن اهمها قصيدة طويلة عرفت بقصيدة الخليقة البابلية ، ومنها مجموعة اخرى تدور على خبر طوفان عظيم ، ومن اهمها ما عرف بملحمة جليجامش ، ومنها مجموعة ثالثة تدور على اعمال البطولة والابطــال ؛ ومجموعة رابعة تدور على مسائل العالم الآخر وعالم الاموات او العالم السفلي .

ومع ان معظم الالواح التي عثر عليها لا يتجاوز عهد تدوينها بداية الألف الثاني قبل الميلاد الا ان كثيراً منها منقول عن اصل اقدم يعود الى منتصف الالف الثالث على ما ادت اليه الدراسات .

وقصة الخليقة البابلية شعرية ، وهي اكمل واطول قصة في موضوع الخليقة واسمها في البابلية « اينوما ايليش » وباللهجة العربية الفصحى « حين ما في العلى » وقد دونت على سبعة الواح وبلغ مجموع ابياتها نحــو الف ، وقد عثر عليها في مكتبة اسور بانيبال ومضمونها يدل على انها الفت في عهد سلالة بابل الاولى وبكلمة ادق في عهد حمورابي وقد استدل على ذلك من تمجيدها الاله مردوخ اله بابل وذكرها السبب الذي احتل من اجله مكانة سامية بين الآلهة حتى صار سيدها وملكها .

وبين مضمونها ومضمون قصة الخليقة في سفر التكوين تشابه وتناظر واضحان ، وكلمة الماء المظلم استعملت في القصتين ، وهنــاك بعض اختلاف بينهما ايضاً ، فأصل الاشياء في القصة البابلية مؤلف من عنصرين من الماء العذب وهو عنصر مذكر ومــن

الماء الملح وهو عنصر مؤنث ، وقد جسم البابليون هذين العنصرين فجعلوهما الهاً والاهة وهما ابسو وتيامة وعدوهما اصل الآلهة الاخرى واصل جميع الاشياء ، وهكـــذا تكون المادة الاولى عندهم ذات صفة ثنائية اي مادة والهاً في الوقت نفسه ؛ وتكون المادة تبعاً لذلك ازلية كالإله .

ومما جاء في القصة البابلية ملخصاً إنه في البدء لم يكن في العـــلى للسماء اسم ولم يكن في الدنى ارض ولم يكن غير ابسو « الماء العذب او ماء الانهار » و « تيامة » اي المـــاء الملح ، وكانت مياههما مختلطة ، ولم يكن قد ولد اي من الآلهة ولا ذكرت اسماؤهم ، ثم تولد منهما الآلهة الأخرى بأجيال متعاقبة وفي فترات دهور طويلة .

وبعد حين تخرب جيل الآلهة الحديثة واساؤا الى آبائهم الآلهة العتيقة ؛ لان الحديثة ارادت ان تستبد بشؤون الكون وتنظمه وفق هواها . واراد ابسو ان يبيدهم ويعيـــد الكون الى سابق عهده ولكن « ايا » احد الآلهـــة الحديثين الذي كان متحلياً بالقوة والحكمة التجأ الى السحر وقرأ على ابسو رقية جعلته في سبات ثم كبله وقتله وسكن هو وزوجته في بيت ابتناه في جسمه ، وولد لهما ابن هو مردوخ وقد جاء على اتم ما يكون من كمال الخلق فسر به ابوه وفضله على غيره وبذلك علا قدره على سواه مـــن الآلهة ، وغضبت تيامة لما حدث لزوجها وثارت ثائرتها وارادت الانتقام واخذت تستعدله وتعد الانصار من العفاريت والشياطين والافاعي ، واجتمع الآلهة الحديثون في مجلس الشورى المقدس وانتخبوا مردوخ ملكاً عليهم وقائداً للنزال . وقـــد استطاع ان يصطاد تيامة ويذبحها ويصطاد جموعها وانصارها ويهلكهم ، ثم قسم جسم تيامة الى قسمين فجعل من النصف الاعلى السماء ومن النصف الاسفل الارض ، وجعل في السماء بروجاً ومواضع للآلهة والكواكب ووقت الاوقات والفصول ، ثم رأى ان يخلق الانسان ليعبد الآلهة . واشار عليه ايا ان يضحي احد الآلهة لكي يخلق البشر ووقع رأي الآلهة على تضحية كنكو الذي حرض تيامـــة على الثأر فاهدر دمه وخلق من دمه الانسان .

وجلجامش صاحب ملحمة الطوفان من ملوك الوركاءا—آركاو اوروكالقديمة— وقد اشتهر في آداب العراق القديمة وصار موضوعاً لعدة ملاجم وقصص سومرية وبابليـــة تدور حول اعماله ومغامراته حتى صار اشبه بابطال اساطير اليونان في عهد الاشعار الهومرية .

واشهر هذه القصص قصة الطوفان او ملحمة الطوفان وهي اطول ملحمة شعرية في الادب البابلي ، وقد كتبت على ١٢ لوحاً وبلغ مجموع سطورها ٣٥٠٠ ، وقـــد وجدت

عدة نسخ منها في مكتبة اشور بانيبال منها ما يعود الى عصر اقدم من العهد البابلي القديم وقد عثر عليها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحظيت باهتمام عالمي عظيم ؛ وفيها نقاط عديدة متشابهة مع قصة طوفان نوح .

وتبدأ القصة بوصف جلجامش وحكمته وخبرته باحداث الازمان الغابرة قبل الطوفان واسفاره البعيدة واعماله في الوركاء وبنائه سورها ومعبدها المقدس ؛ ثم تذكر ما كان من خلقته وقوته وكون ثلثيه الهاً وثلثه بشراً وما كان من اضطهاده لاهل الوركاء واستغاثة هؤلاء بالآلهة وخلقهم له غريماً وقيامه مع غريمه باسفار ومغامرات وموت غريمه ووصوله الى حكيم لا يموت اسمه اوتو نبشتم تقيم في ساحل البحر وسؤاله اياه عن سر خلوده وقصه عليه قصة الطوفان الذي حصل من بعده على الحياة الخالدة ، وقال له فيما قال اني كنت اعيش في شروباك المدينة الواقعة على الفرات فاخبره الاله ايا ان الآلهة قررت احداث طوفان عظيم [1] وامره ببناء سفينة واخذ بذرة كل مخلوق حي معه فيها ، فشرع بصنع السفينة وقسمها الى سبع طبقات وكل طبقة الى تسعة اقسام وجهزها بالمؤن وادخل فيها اهله وذوي قرباه وبذرة كل حي وحيوان البر ووحوشه وجميع الصناع ، ولما جاء الوقت المعين ارعدت الآلهة واشتدت العواصف وانهمر المطر ودام ستة ايام بلياليها وانقلب النور الى ظلمة من شدة الغيوم وانكسرت السدود وغطى الطوفان الأرض وصار البشر طيناً حتى ذعر الآلهة من الهول ، وفي اليوم السابع خفت العاصفة وسكن البحر واستوت السفينة على جبل نصير وفتح كوة منها واطلق حمامة فذهبت ثم عادت لانها لم تجد موضعاً تحط عليه ثم اطلق السنونو فذهب وعاد ثم اطلق غراباً فذهب ولم يعد لان المياه كانت قد انحسرت . وحينئذ اطلق كل شيء وقرب قرباناً وجاء انليل الاله الاعظم الى السفينة فاخذ بيده واخرجه مع زوجته فسجدا له ثم وقف بينهما ولمس ناصيتهما وباركهما بقوله لم يكن اوتونبشتم حتى الآن سوى انسان ولكن ليكن الآن وزوجته الهين مثلنا ثم اخذه واسكنه في الموضع الذي هو فيه ، وطلب منه جلجامش ان يجعله خالداً مثله فامتحنه بعدم النوم ستة ايام وسبع ليال فلم يستطع واستغرق في نوم عميق فلما استيقظ عاد فتوسل اليه بان يدله على ما يفعل فدله على نبات شوكي في غور البحر يرزق آكله الخلود فغاص في اعماق البحر ووجد النبات ولكنه

«١» يقول المؤلف ان هناك قصصاً اخرى عن الطوفان ورد فيها ان الالهة احدثته بسبب آثام البشر .

تلهى عنه فاختطفته منه الحية ، وحينئذ عاد حزيناً مخفقاً واخذ يشغل نفسه بتجديد بناء مدينته واقامة اسوارها العالية . .

وهناك الواح نقش عليها قصص مهمة اخرى مثل اسطورة « ادايا » التي تعد على قدر عظيم من الاهمية بالنسبة الى آراء اهل زمانها باصل الشر وطبيعة الانسان ، ومثل اسطورة « اتيانا » ، وهذا اسم احد ملوك كيش الذي رغب في انجاب خليقة له فدل على نبات في السماء ، فركب ظهر نسر طار به الى حيث حصل على النبات وتمكن من الانجاب في سياق اسطوري طريف .

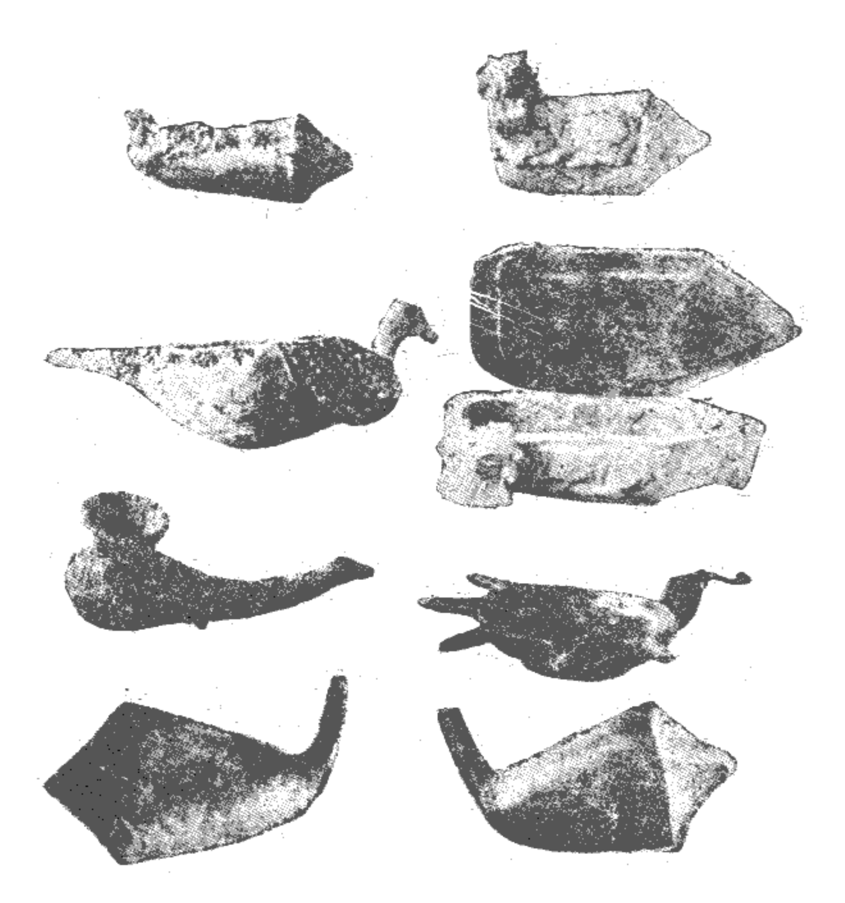
١٤ – الفنون (١)

لقد ضرب العراقيون في الفنون بسهم وافر منذ اقدم الازمنة ايضا ، وقد شوهدت زخارف ورسوم حيوانية ونباتية على اواني الفخار العائدة الى فجر السلالات الاولى ، والآثار العمرانية المتخلفة عن هذا الزمن تدل كذلك على ان فن العمارة كان على درجة غير يسيرة من التقدم منذ الازمنة القديمة ايضاً ، وكان في البدء يتمثل في المعابـــد بنوع خاص حتى لقد جعل الباحثون اثر المعبد في ارتقاء فن العمارة اهم العوامل ، ولقد كان اللبن قوام العمارة العراقية في مختلف الادوار مما فسره الباحثون بانه المتسق مع الاحوال الطبيعية .

والصرح المدرج او البرج او الزاقورة مما اختصت به حضارة العراق العمرانية في مختلف ادوارها . وقد بدأ هذا في عصر السلالات الاولى وكان يقام ليكون معبداً ، وقد عثر على اطلال معبد صغير في العقير فوق مصطبتين واحدة اصغر من الاولى ويرقى الى العليا بدرجات ؛ وهو عائد الى ذلك العصر ، وقد زينت جدران المعبد العالي برسوم حيوانية وبشرية ملونة تعد اقدم رسوم جدارية في تاريخ الفن .

ولقد كانت عادة تزويق الجدران بالرسوم والاصباغ تهدف الى تجميل مادة البناء الفقيرة ؛ وظل الأمر كذلك الى العهود الأشورية الاولى ؛ ثم صارت الجـــدران تزين بالمنحوتات والأجر المموه بالمينا والتزجيج ولقد وجد في معبد الوركاء آثار اعمدة مـــن اللبن مزينة بالفسيفساء وهي مكونة من انصاف اسطوانات واتخذت للتسقيف والزينة في آن واحد .

«١» ص ٤٧٦ – ٥٠٥



مجموعة من مسارج فخارية ومعدنية من ادوار مختلفة

من تاريخ العراق القديم

ومما عثر عليه واجهات معبد قديم مزين بصفوف من المخاريط والمسامير الطينية الملونة باصباغ مختلفة والمثبتة في الجدران باشكال متنوعة كالمربعات والمثلثات مما يمكن ان يعد اقدم نماذج لفن الفسيفساء في العالم .

ومن الفنون التي تكاد تكون خاصة بالعراق الختوم الاسطوانية التي استعملت بكثرة في جميع ادوار التاريخ العراقي ، وقد اخذت تظهر منذ النصف الثاني من عصر الوركاء ؛ ثم برعوا في نقشها بصور ورسوم متنوعة براعة مدهشة ، وكان يستعمل قبلها ختوم منبسطة عبارة عن اقراص من الحجر دائرية ومستطيلة وتنقش برسوم متنوعة ، وكانت تستعمل في دمغ افواه الجرار المسدودة بمثابة ضمان للمحتويات ثم استعملت لغايات سحرية ودينية . اما الاسطوانية فكانت تستعمل لختم العقود والواح الطين ، وقد اتخذوا من الحجارة الثمينة كاللازورد واليشب والعقيق ختوماً ، وتدل طريقة نقشها بصور معكوسة واتقان تلك الصور على مهارة فنية بالغة ، وكان ينقش على الختوم جمل قصيرة مع اسم اصحابها والقابهم لانها كانت بمثابة تواقيعهم ، وكانوا يدحرجون الختم الاسطواني على لوح الطين بعد كتابة الرسائل او العقود عليها فيترك طبعة نقوشه عليه ، وفي المتحف العراقي مجموعة تربو على اربعة آلاف ختم اسطواني من مختلف الادوار والاشكال شاهدة على ما وصل اليه هذا الفن من درجة رفيعة .

ولقد عثر على عدد من الحجارة عليها مشاهد منحوتة متنوعة تدل على ان فن النحت في العراق القديم كان كذلك على درجة كبيرة من التقدم ؛ وان هذا الفن كان منذ عهد مبكر جداً . فمما عثر عليه في تل حجدة نصر قرب مدينة كيش القديمة حجر من البازيلت نحت عليه مشهد يمثل صيد الاسود وحجر من المرمر طوله نحو اربعة اقدام عليه نحت بارز يمثل موكباً من الكهنة العراة وهم يحملون سلال القرابين الى معبد « اي انا » ولوحظ مهارة فنية في النحت ، وهذا الحجر من آثار الوركاء القديمة ، ومن آثار الوركاء ايضاً رأس من الرخام يمثل فتاة وقد لوحظ في نحته جمال فني ودقة تعبير للملامح البشرية . وربما كان اقدم نحت مجسم في تاريخ الفن . ولقد بلغ فن النحت في عهد الملك نارام سين ذروته في الابداع على ما دلت عليه الآثار المتخلفة عنه ، وهذا التقدم والقوة التعبيرية تشاهد في الاختام الاكدية ايضاً ، وفي نصب النصر الذي اقامه نارام سين مشاهد يلاحظ عليها نزعة تمثيل قوي حيوي ، وفي مخلفات سلالة اور الثالثة استمرار على الروعة والابداع والقوة يتمثل في مشهد ديني منحوت على حجر كبير يمثل الملك اورنمو

مؤسس السلالة وهو يقدم الماء المقدس الى اله القمر سين الخاص بمدينـــة اور ويتسلم من الاله الاوامر المقدسة . ومسلة حمورابي التي نقش عليها شرائعه ونحتت عليها صورته امام الاله نموذج رائع من فن النحت في العهد البابلي القديم والفـــن الأشوري القديم ثم بدأ يتميز بشخصيته منذ القرن الرابع عشر قبل الميـــلاد ولا سيما في المواضع الدنيوية وشؤون الدولة والملوك على ما يشاهد من منحوتات عثر عليها من عهد الملك نينورتا الأول تمثل الملك مع جنوده وعرباته الحربية ؛ ثم اخذ طابعه الخاص يستقر في العهد الاشوري الحديث حيث يشاهد في مخلفات هذا العهد مشاهد كان يزين بها قصور الملوك فيها تفصيلات عن غزواتهم وصيدهم ودكهم للمدن والحصون وتهجيرهم للسكان وسوق الأسرى الخ. وقد اغرم الآشوريون بنحت التماثيل الضخمة من الحجر التي يمثل بعضها الملوك وغيرهم من البشر وبعضها الحيوانات الضخمة ولا سيما الثيران المجنحة التي يبلغ زنة بعضها اربعين طناً . وقد شوهد في قصر سرجون نماذج من الفنون الأشورية الخاصة منها الآجر المزين بالميناء الملونة التي عليها رسوم اشخاص مما يعد تحفاً ممتازة . وقد ذكر سرجون في احد نقوشه انه استعمل في تزيين قصره الذهب والفضة والنحاس وحجر الرمل الاحمر وحجر البريجة والرخام والعاج وخشب السندان والبقس والارز والسرو والصنوبر والزيتـــون والبلوط وزينه من الداخل بالمينا الزاهية المموهة بها الواح الآجر المزججة ، وطلا سقفه بطلاء ابيض ، ونصب قرب الأبواب تماثيل ضخمة من المرمر والعاج تمثل بقراً تحمل ما يشبه كؤوس الأزهار ، وقد سكبت تماثيل آشورية كثيرة من الاسود والثيران من البرونز وفي منحوتات قصر سنحاريب مشاهد الوف العمال وهم يقطعون الطين لعمل ملايين اللبن؛ وفي هذا القصر منحوتات بارزة يعد بعضها من القطع الخالدة في تاريخ الفن مثل الاسد الجريح واللبؤة المحتضرة ومشاهد صيد الخيل الوحشية .

١٥ ـ شكل الحكومة وادارتها (١)

هناك بعض قصص قديمة تدور حول خلاف بين كيش والوركاء تفيد انه كان في عهد السلالات الاولى نوع من الديموقراطية او الشورى ، وقد سبقت الاشارة اليهـــا ، وملخصها انه كان لجلجامش ملك الوركاء مجلس شورى مكون من اعيان المملكة وشيوخها ومجلس آخر يشترك فيه جميع القادرين على حمل السلاح .

«١» ص ٣٧٤-٤٠٣

والاشارات والروايات تفيد ان هذين المجلسين كانا يهيمنان على الشؤون المهمة حتى انتخاب الملك ، وليس ما يمنع ان يكون هذا في غير الوركاء (اروك) من حكومات السلالات الأولى .

ولقد كان العراقيون القدماء يتصورون آلهتهم كالبشر وكانوا يتصورون اجتماعاتهم في مجالس شورى مقدسة في السماء للبت في شؤون البشر الهامة وتقرير القرارات المقتضبة. وكانت الالاهات يشتركن في هذه المجالس مما فيه فكرة للحكم الديموقراطي .

على ان سير الاحوال السياسية وتطور العراق كان يتجه من دويلات المـــدن ذات النظام الديموقراطي الى عهد الممالك الموحدة والامبراطوريات ؛ وكان شكل الحكم يتجه معه الى الملكية الاوتوقراطية التي تتمركز فيها السلطات في يد الملك وحكومته التي يكونها هو اتساقاً مع طبيعة الظروف التي تكونت فيها هذه الممالك والامبراطوريات والتي كانت تجنح الى التوسع والفتوحات .

على ان مجالس الشورى والديموقراطية الاولى لم تمت بالمرة بل تحولت على ما يستفاد من البحث من مجالس تهيمن على شؤون الدولة الى مجالس قضائية وتشريعية على ما مر شرحه في نبذة القضاء .

وقد كان اتجاه نظام الحكم الى حصر السلطات بيد الملك منبعثاً من نظرية الحـــق الإلهي للملوك والحكام الذي استند اليه الاقدمون على اعتبار ان البلاد ملك للآلهة وان الآلهة فوضت الملوك لينوبوا عنها والمأثور من ان الملوكية قد هبطت من السماء من بعد الطوفان مما يعد سنداً او مفسراً لذلك . وهناك نظرية الاصطفاء الذي تلعب دورها في هذا الباب فالاله الاعلى يصطفي اله المدينة واله المدينـــة يصطفي ملك المدينة ، وكان التسلسل الوراثي متصلا بذلك ايضاً ، فاذا اغتصب العرش مغتصب اصطنع كل وسيلة لجعل ملكه مشروعاً بان يدعي مثلا ان الاله اوالآلهة احبته واختارته او يدعى له بذلك . وهذا ما فعله سرجون الذي لم يكن من صلب الملوك ؛ حيث ادعى ان الالاهـــة عشتار احبته وقلدته حكم البشر، وكان الملوك يعتبرون انفسهم ذوي واجبات كثيرة متنوعة ، فهم حماة الناس والبلاد ، والذين يقودون الجيش وقت الحرب وينشرون العدل ويقومون بالمشاريع العامة كحفر الأقنية واقامة المعابد والتماثيل والشعائر الدينية، وهـــم وان كانوا مطلقي التصرف ازاء الناس فانهم مسؤولون تجاه الآلهة .

وكان يساعد الملك في ادارة شؤون الدولة جملـــة وزراء على رأسهم رئيس وكان

منصب وزير المالية اخطر المناصب لان بيده تنظيم التجارة والحياة الاقتصادية وجمع الضرائب وخزن الغلات والايرادات .

والملك هو الذي يعين الوزراء والحكام والولاة وقواد الجيش ، وكان الحكام في البدء اشبه بامراء اقطاع ، ولما اجتمعت السلطة وتركزت بايدي الملوك صاروا ولاة نظاميين .

وكان هناك طبقة من الموظفين خاصة بالبلاط مثل ناظر القصر ورئيس السقاة ورئيس الخبازين ورئيس الحصيان الخ وكان للملك سفراء خاصون يسمون مارشفري يرسلهم الى الدول الاخرى وهم مربوطون بالبلاد ، ويصحبهم عادة مترجمون «ترجمانو» وكتبة وقضاة ، والى جانب هؤلاء كانت القصور تغص بالاطباء والكتبة والمغنين والعرافين والكهنة والنساخ والموسيقيين والسقاة الخ .

وقد خلف ملوك بابل وآشور وثائق ورسائل كثيرة في صدد ادارة الدولة ، ويستفاد من رسائل حمورابي انه كان يسيطر حتى على غير الكبار من الموظفين في مدن الامبراطورية ويبت في كثير من القضايا . ومما عثر عليه من الرسائل يستفاد بالاجمال ان ملوك العراق كانوا يبذلون جهوداً كبيرة في شؤون الارواء وتطهير الأنهار وكريها وادارة الشعائر والاحتفالات الدينية ؛ وقد وجد فيما وجد رسائل طريفة من الملوك الأشوريين معنونة الى الاله آشور عند الشروع بحملاتهم ومشاريعهم الحربية .

وقد كان الملوك يعتبرون بناء المعابد وتجديدها واعالتها وتأثيثها ووضع التماثيل والادوات اللازمة فيها من واجباتهم ازاء الآلهة وكان ذلك في نظرهم اهم مظهر لعلاقتهم بالآلهة . وكانوا يباشرون كل ما يتصل بذلك باحتفالات دينية ويعدون حسن السير في الأعمال من دلائل رضاء الالهة عنها ، وقد وجدت صورة منحوتة للملك لجش اورنانشة وهو يحمل على رأسه سلة تحتوي طيناً لصنع اول آجرة للمعبد وقد صور اغلب ملوك العراق القديم الى العهد الأشوري مناظر على انصابهم المنحوتة او المعدنية البرونزية تضاهي صورة اورنانشة هذه . لان العادة استمرت بالنسبة للملوك بانهم يقومون بصنع اللبنة الاولى للمعابد .

ولقد عرف من سيرة ملوك آشور انهم كانوا يعينون ولاة لعهدهم ويحتمل ان يكون هذا جارياً في بابل واكد وعصر السلالات وان لم يكن هناك ما يؤيده اثرياً ، ولم يكن من الضروري ان يكون ولي العهد هو الاكبر . ومما سجله اسرحدون في نقوشه

في صدد تعيينه ولياً للعهد في زمن ابيه « كنت اصغر اخوتي ولكن ابي الذي ولدني كرمني في مجلس اخوتي بامر الآلهة آشور وشمش ومردوخ ونبو وعشتار نينوى وعشتار اربيلا مصرحاً بقوله هذا هو خليفتي ، لقد سأل الالهين شمش وادد بطريق الفأل فاجابا انه هو الذي يكون خليفتك ، وانصاح الى هذا فجمع اهـل بلاد اشور واخـوتي وجعلهم يقسمون على الاعتراف باولويتي امام الآلهة اشور وسين وشمش ونبو ومردوخ الساكنين في السماء والأرض » .

وكانت المراسيم الخاصة بالتتويج مهمة حيث يتم فيها تسلم الملك الجديد شارات الملك المقدسة من الآلهة . والعادة ان يتسلم الملك الجديد الشارات الملكية في المعبد الرئيسي لاله المدينة ،وقد عثر على نص آشوري يصف حفلة تتويجية لأحد الملوك وصفاً شائقاً .

ولقد كان الجيش من الانظمة المهمة منذ فجر السلالات وان كان نظام الجيش الدائم لم يقم الا في زمن السلالة الاكدية ؛ حيث كان هذا من مقتضيات ما اتجهت همة الملوك الأكديين اليه من مطامح امبراطورية ، وصار هذا النظام اساسياً في نظام الدول البابلية والآشورية ، وهو الذي ساعد على ما كان من توسع امبراطوري عظيم .

وكانت اسلحتهم تصنع من البرونز ثم صنعوها من الحديد ، وقد خلف ملوك العراق منحوتات متنوعة منذ عصر السلالات الأولى تصور نظام الحرب ، وفي النصب المسمى بنصب النسور الذي اقامه ملك لجش اياناتم تخليداً لانتصاره الحربي على اومـا يشاهد الملك مصوراً على رأس الجيش وهو يقوده وقد تدرع بدرع خاص وعلى رأسه بيضة ويحمل رمحاً وسيفاً قصيراً مقوساً والجيش خلفه قد صف في هيئة نظام الصف والجنود يلبسون بيضات مخروطية يرجح انها من النحاس وقد امسك كل جندي برمح في يـد ومجن في يد اخرى ، وقد استعمل العراقيون العربات في حروبهم منذ عصر السلالات الاولى في المواصلات والمعارك ، وقد ذكر سرجون الاكدي في نقش له ان جيشه الخاص الذي كان قوامه ٥٤٠٠٠ رجل كان يتناول الطعام من الملك نفسه ، وفي المسلة التي اقامها نارام سين المشهورة بمسلة النصر لتخليد احد انتصاراته يشاهد صور الأسلحة الحربيـة كالرماح الطويله والقسي والسهام والملك على رأس جيشه قاهراً للاعداء . وقد عرف عن الاكديين انهم ادخلوا تعديلات وتحسينات على نظام الحرب وخاصة على اساليب القتال والتعبئة والهجوم والدفاع واحدثوا طريقة المبارزة رجلا مع رجل ، وهناك آثار تفيد انه نشأ في عهد بابل طبقة من القواد العسكريين والفرسان من الطبقة الحاكمة العليا

وانه كان يفرض في العهد البابلي الأخير ضرائب خاصة لضمان الجيش الدائم، اما في الامبراطورية الأشورية فقد كان الجيش على رأس المنظمات حتى لقد كان الشعب الأشوري كله جيشاً قائماً . وقد طغت الحياة الحربية على الحضارة الأشورية وكان الملوك قــواد حرب في الدرجة الأولى اكثر منهم رجال دولة سياسيين ، وحركات الحروب والفتوح التي كانوا يقومون بها في كل عام كانت تطغى على اخبارهم الأخرى ، وقد صنعوا من الحــديد آلات لدك الحصون المنيعة في هيئة برج من الحديد مصفح يكمن فيه رماة السهام وفي مقدمته عمود كبير من الحديد لنقض الجدران ، وهي التي سميت الدبابة او الكبش ، وقد خلد الملوك الأشوريون مشاهد حروبهم منحوته على الواح حجرية كبــيرة وكثيرة في قصورهم وعليها مشاهد الأسلحة والمعارك والحصار وسلخ جــلود الثائرين واحراق المدن العاصية ووضع المتمردين فوق الخوازيق الخ .

ونكرر هذا ما قلناه في سياق ذكر ملوك مصر من انه يلحظ ان الاقوياء من ملوك بابل وآشور كانوا عظيمي المطامــح والنشاط في سبيل الفتوح والسيطرة على الشعوب المجاورة وكانوا لا يتورعون عن الشدة والقسوة في سبيل تحقيق مطامحهم والتنكيل بالمناوئين لهم والمتمردين عليهم من الملوك والشعوب كلما امكنهم ذلك ؛ وكانوا يجنون من وراء ذلك عظيم المنافع لهم ولرعاياهم مما كان يساعدهم على الرفاه وانشاء المنشآت العظمى ، وكانوا يسجلون اعمالهم هذه بالفخر ويعتبرونها من الأمجاد التي يحق لهم ولمن بعدهم ان يزهوا بها ، ومهما يكن من امر ذلك من الوجهة الأدبية فان ذلك لا يفقد هذه الأعمال صفة المجد القومي لأنها كانت متسقة مع طبيعة الزمان بل وظلت كذلك مدى الأحقاب.

١٦ ـ المجتمع (١)

كان للملوك والكهان مركز خاص ، وكان المجتمع البابلي مؤلفاً بالاضافة الى هاتين الطبقتين من ثلاث طبقات اخرى وهي الأحرار المطلقون وتتألف منهم الطبقة العليا ، والأحرار المقيدون وهم يمثلون الطبقة الوسطى ، والأرقــاء ، وكانت الأولى تسمى « الاويلم » ـ لعلها نواة الأولى او العليا ـ ويرمز الاسم الى علو الطبقة مركزاً او ولادة . والفرق بين الطبقة الاولى والثانية ان للاولى امتيازات قضائية وغير قضائية لا تتمتع بها الثانية ، فعقوبات الجرائم التي يرتكبها افراد الوسطى اشد ؛ والحكام والقواد وكبــار

---

(١) ص ٤٠٣-٤١٢

الموظفين من الأولى ، أما الثالثة فهم الأرقاء المملوكون ، ولم يكن البابليون ينظرون اليهم كبشر ذوي شخصية بل يعدونهم مواد مملوكة فيسجلون باسم مالكيهم ، وكانوا يميزون عن بقية المجتمع بقص شعر رؤوسهم ودمغ اجسامهم ، وقــد نصت شريعة حمورابي على عقاب من يمحو العلامة عن اجساد الأرقاء حيث يدل ذلك على انها شيء قانوني ؛ وكانوا يحملون في رقابهم الواحاً صغيرة من الطين معلقة بخيط ومكتوب عليهــا اسماء مالكيهم ، وكان منهم صنف يلحق باملاك القصور الملكية لخدمة البلاط والحكام فيكون مركزهم احسن من غيرهم ، وهناك صنف من العبيد وهم الملحقون بخدمة المعابد،وكان معظمهم من اسرى الحرب الذين كان الملوك يدرونهم للمعابد بعد انتصاراتهم ، وكان مصدر الرق اما من ايلولة افراد الطبقة الوسطى الى الرق في حالة عجزهم عن وفــاء ديونهم او بيع المدينين منهم ابناءهم وزوجاتهم لدائنيهم او رهنهم عندهم لقاء الدين ، وهذا المصدر ضئيل المورد ، والمصدر الغزير هو الأسر والسبي .

وكانت السيادة في البيت للرجل ، وسلطته على زوجته واولاده غير محدودة ، وكان الذين لا ينجبون اولاداً يتبنون اولاداً بموجب عقد ويغدو المتبــنى كالولد الطبيعي في الأسرة والحقوق ، وقد نظمت الشرائع احوال الاسرة ، ونال هذا الأمر في شريعــة حمورابي عناية وحيزاً كبيرين ، وكان حق الارث معترفاً به ، وكان للوالد ان يحرم احد اولاده اذا اثبت اساءة معاملته له او اعتداءه عليه ، وكانت الزوجية غير متعددة ،وكان نظام التسرّي جارياً في الوقت نفسه ،ولا يعتبر الزواج شرعياً الا اذا وثق بعقدوشهود ، وكذلك امر الطلاق على شرط ان يدفع الزوج لمطلقته مبلغاً من المال ، وكان هناك ثلاث دفعات تدفع في الزواج ، ؛ واحدة تسمى ترخانو يدفعها الزوج لأسرة الزوجة وهوالمهر وتكون ملك الزوجة ، وثانية تسمى شيرتقو وهي هدية من اسرة الزوجة للزوج ، وهي ايضاً ملك الزوجة وان كان يسمح للزوج بالتصرف بها على ان يرجعها الى الزوجة في حالة الطلاق ، والثالثة تسمى نودنو وهي هدية من الزوج للزوجة ، ولا يتم الزواج الا برضاء الابوين ، وقد وجد على نقوش بابلية عبارات تحدد المهر من شقل الى نصف منا من الفضة ، والمنا نصف كيلو غرام ، والشقل واحد من ستين من المنا .

وقد عنيت الشرائع بحقوق المرأة ووضعها ، ففي الطــلاق الزمت الزوج بدفــع مبلغ الى مطلقته ولا سيما اذا لم يكن هناك اسباب مبررة للطلاق ، ومنحت المرأة حريتها الاقتصادية في ما يختص باموالها واعمالها التجارية ، ونصّت على عدم مسؤولية احــد الزوجين عن ديون والتزامات الآخر قبل الزواج ،اما بعدالزواج فجعلت كلامنهمـا مسؤولا .

وقد تصل هذه المسؤولية الى تحويل الزوج رهن زوجته او جعلها رقيقة للدائن ، ونصت على عقوبة صارمة للزنا حيث يلقى الزاني والزانية في الماء في حالة التلبس ؛ وكان البغاء معترفاً به ومنظماً تنظيماً قانونياً ، وكان منه نوع مقدس متصل بالشعائر الدينية الخاصة بالإلاهة عشتار .

وكان طراز البيوت يشبه كثيراً طراز البيوت العراقية الحاضرة من حيث انها كانت ساحات مكشوفة محاطة بالحجرات التي تسقف بجذوع النخل او اعمدة خشبية . وغالبها طبقة واحدة ، وكان منها ما هو بطابقين او اكثر . وكانت جدران البيوت تُطلى عادة من الخارج والداخل . وقد وجدت مخلفات متنوعة من الأثاث المنزلي كالأواني الفخارية والمعدنية وسرج الاضاءة بالزيت والنفط الذي كانوا يسمونه نفط الحجر . والنفط من الألفاظ البابلية .

وقد ذكرت النقوش انواعاً كثيرة من الاسرّة والكراسي والثياب المصنوعة من الصوف والقطن والكتان والقنّب . وقد عثر على نماذج كثيرة مصنوعة من ادوات الزينة كالمرايا والحلى المختلفة الذهبية والفضية التي يوجد في المتحف العراقي الكثير منها .

لمحة عن الحكم في العراق
بعد الدولة البابلية العظمى الثانية

لمحة عن الحكم في العراق بعد الدولة البابلية العظمى الثانية

ليس من منهاج الكتاب ايراد تاريخ الحكومات التي حكمت العراق من غير الجنس العربي غير اننا لا نرى بأساً من ايراد نبذة وجيزة عن الحكومات التي قامت بعد الدولة البابلية الثانية في العراق طيلة المدة التي سبقت تحريره من قبل موجة الفتح الاسلامية العظمى لاتصال ذلك بتاريخ الجنس العربي الذي ظل يؤلف الكثرة الساحقة من اهل العراق سواء بما كان فيه من انسال الموجات السابقة او بما ظل يأتي اليه في طور العروبة الصريحة من موجات جديدة .

ولقد دخل العراق بعد زوال الدولة البابلية تحت حكم اربع دول او سلطات .

الاولى : الدولة الفارسية التي كان كورش الذي قضى على هذه الدولة منها ، وقد استمر حكمها من سنة ٥٣٨ الى سنة ٣٣٣ ق م حيث قوضها الاسكندر المكدوني .

وقد مدت هذه الدولة سلطانها الى بلاد الشام ومصر وظل هذا السلطان منبسطاً على هذه البلاد بالاضافة الى العراق باستثناء بعض فترات كانت تتمرد فيها وتتمكن من ممارسة استقلالها على نحو ما شرحناه بالنسبة الى مصر في الجزء السابق شرحاً يغني عن التكرار .

وملوك هذه الدولة على ما جاء في تاريخ كلده وآثور [1] :كورش – قمبيز – غوماتا – درياش (دارا) الأول – احشويريش الأول – ارتحششتا الأول – احشويريش الثاني – سغديان – درياش الثاني (دارا) ارتحششتا الثاني – ارتحششتا الثالث – ارسيس – درياش الثالث (دارا) .

وفي زمن درياش الأول كانت حركة تمرد بابل التي تزعمها نبوخذ ناصر الجليل والتي ذكرناها قبل وقلنا ان الفرس تمكنوا من قمعها ، ولقد تحصن الجليل مقاوماً في بابل مدة سنتين

«١» ج١ ص ١٥٣ – ١٦١

حتى استطاع الفرس ان يدخلوها ويقمعوا حركة التمرد التي تزعمها

ولم ينفض البابليون يدهم حتى خرج شخص آخر تسمى بنفس الاسم ولكن الوالي الفارسي استطاع ان يظفر به ويقتله ويقمع حركته .

وفي زمن احشويريش الاول ثارت بلاد الكلدان مرة اخرى وكان ذلك عام ٤٨٢ ق م ، وقد تمكن الفرس من قمع ثورتهم ايضاً ونكاوا بهم بشدة حيث قتلوا واسترقوا خلقاً كثيراً من اهل البلاد ونهبوا هيكل بيل واخذوا تمثاله وقتلوا كاهنه ودنسوا قبور الملوك .

ولقد نشب نزاع بين ملوك هذه الدولة واليونان منذ عهد دارا الاول واستمر بقية مدة الدولة ، وتعددت الوقائع بينهم ، واكثر ما كان الزحف والهجوم من الجانب الفارسي على بلاد اليونان براً وبحراً وكانت الانتصارات والهزائم تتساجل بينهم .

والتمردات التي كانت تحدث في بلاد الشام ومصر ضد السلطات الفارسية كانت تقع في ظروف هذا النزاع واغتناماً لفرصته وبتحريض من اليونان ومساعدتهم احياناً .

وفي اواخر عهد هذه الدولة اخذ ينشب نزاع بين امرائها فكان ذلك مما هيأ السبيل للانتصار الساحق الذي انتصره الاسكندر المكدوني عليها وكان به نهايتها .

ولقد كان الاسكندر يوناني الجنس وابن ملك مكدونيا ؛ فلما صار اليه الملك بسط سيطرته على بقية بلاد اليونان وورث النزاع الذي كان ناشباً بين اليونان وبين الفرس ؛ وكان زحفه امتداداً لهذا النزاع وخاتمة له ، وقد استولى في زحفه على بلاد الشام ومصر اولا ثم كر على بلاد العراق وفارس واشتبك مع دارا الثالث في معركة طاحنة سجل فيها ذلك الانتصار الساحق وكان ذلك في الثلث الاخير من القرن الرابع قبل الميلاد .

ولما مات الاسكندر وتقاسم قواده الامبراطورية العظمى التي انشأها كان العراق وبلاد الفرس من نصيب قائده سلوقوس مع سورية ، وقد انشأ هذا القائد الدولة اليونانية التي سميت باسمه والتي شملت في بدء الأمر بلاد العراق وفارس وسورية فكانت هي السلطة او الدولة الثانية التي حكمت العراق ، وقد انشأ مدينة في العراق سماها باسمه كذلك « ساليق » وجعلها عاصمة عراقية لدولته .

وقد امتد حكم هذه الدولة في العراق نحو ست وستين سنة ، وكان ملوك الدولة فيها عدا سلوقوس انطيوخوس الأول وانطيوخوس الثاني وسلوقوس الثاني على ما جاء في كتاب تاريخ كلدو وآثور .

وفي هذه الأثناء تمكن الفرثيون الذين كانوا يقطنون في شرق مادي من التفلت مــن السلطان السلوقي وممارسة استقلالهم بقيادة زعيم اسمه اوشاق ؛ ثم نمت قوتهم حتى تمكنوا من اخضاع بلاد فارس ومادي والعراق سنة ٢٥٠ ق م فكان ذلك نهاية الحكم السلوقي في العراق وبداية الحكم الفرثي الارشاقي وهو السلطة او الدولة **الثالثة** الــتي حكمت العراق .

وقد اتخذوا مدينة ساليق عاصمة عراقية لهم ، ثم بنوا مدينة حذاءها سموها طيتسون واندمجت المدينتان فصارت المدينة الكبرى التي عرفت في الكتب العربية باسم المدائن .

وقد امتد عمر هذه الدولة نحو ٤٧٠ سنة اي من سنة ٢٥٠ ق م الى سنة ٢٢٦ ب م وتولى عرشها اربعة وثلاثون ملكاً وهم على ما جاء في تاريخ كلده وآثور [١] :

ارشاق الاول ــ تيريدات الاول ــ ارشاق الثاني ــ ابراهــاط ــ الأول ــ مثريدات الأول ــ ابراهاط الثاني ــ ارطبان الاول ــ مثيريدات الثاني ــ ارطبان الثاني ــ سيناطروق ــ ابراهاط الثالث ــ مثريدات الثالث ــ اورود ــ باقور الأول ــ ابراهاط الرابع ــ ابراهاطاس ــ اورود الثاني ــ اونون ــ ارطبان الثالث ــ تيريدات ــ ارطبان الرابع ــ وردان ــ كوتارز ــ اولغاش الاول ــ ياقور الثاني ــ حسرو ــ برنانسباط ــ اولغاش الثاني ــ اولغاش الثالث ــ اولغاش الرابع ــ ارطبــان الخامس وهو آخرهم وكان حكمه سنة ٢٠٨ ــ ٢٢٦ ب م .

ولقد حاول السلوقيون استرداد سلطانهم في العراق وبلادفارس فنشب صراع طويل بينهم وبين هذه الدولة ، وكانت الانتصارات والهزائم تتساجل بينهم ، غير ان الفرث كانوا يتفوقون على الأغلب ويحتفظون بسلطانهم واستقلالهم .

وممن اشتهر منهم مثريدات الأول ١٧١ــ١٣٨ ق م حيث استطاع توسيع ملكه من دجلة الى بلاد الهند ومن بحر قزوين الى الخليج العربي الذي سماه المؤرخ خليج العجم .

ولما زحف الرومان واستولوا على بلاد الشام سنة ٦٥ ق م وحلوا محل السلوقيين فيها ورثوا هذا النزاع وحاولوا بدورهم مد سلطانهم الى اجزاء المملكة الأرشاقية ، غير ان هذه المملكة استطاعت ان تصمد في المراحل الاولى بل وان تسجل انتصارات عديدة على الرومان فيها ، ومن ذلك ان كراسوس القائد الروماني اغار على ما بــين النهرين والعراق سنة ٥٣ ق م فخرج الى لقائه اورود وقهره قرب حران حتى كان هو من جملة القتلى ، ثم عبر الفرثيون الفرات متعقبين الجيوش الرومانية وحاصروا انطاكية ،وبسطوا

---

(١) ج١ ص١٦٣ ــ ١٦٩

سلطانهم على المنطقة التي بينها لفترة من الوقت . وفي سنة ٤٠ ق م اتصل السوريون بباقور ابن اورود الملك الفرثي واتفقوا معه على الرومان استثقالا لنيرهم فزحف هذا نتيجة لذلك وتمكن من بسط سلطانه على سورية وصيدا واورشليم ثم اغار على آسية الصغرى ولكن الرومان صدوه وقتلوه في غارته هذه . وفي هذه الظروف هاجم انطونيوس القائد الروماني المملكة الفرثية بجيش عظيم وتوغل فيها غير انه انكسر وهلك اكثر جيشه.

على ان الرومان تمكنوا في النهاية من مد ايديهم وبسط نفوذهم على هذه الدولة بسبب ما صار ينشب بين امرائها من تنافس حتى صارت روما مرجعاً لهـا وصارت تنصب وتقصي من تشاء من ملوكها .

وفي اوائل القرن الثالث بعد الميلاد ظهر زعيم من اصطخر اسمه اردشير بن بابك من آل ساسان تمكن من فرض سلطانه على بلاده ثم على المملكة الأرشاقية والعراق وبين النهرين ، وتلقب بلقب شاهنشاه اي ملك الملوك ، فكان ذلك بدية **الدولة الرابعة** التي حكمت العراق والتي ظل العراق تحت سيادتها وهيمنتها الى ان حررته الموجة العربية الكبرى التي جاءت الى العراق تحت راية الاسلام في الثلث الاول من القرن السابع الميلادي .

وملوك هذه الدولة على ما جاء في تاريخ الطبري هم : ارد شير ـ سابور ـ هرمز ـ بهرام ـ نرسي ـ هرمز ـ سابور ذو الاكتاف ـ ارد شير ـ سابور ـ يزد جرد ـ بهرام جور ـ يزد جرد ـ فيروز ـ بلاش ـ قباذ ـ انو شروان ـ هرمز ـ ابرويز ـ قباذ ـ اردشير ـ بوران ـ بنمهر ـ خرذاد ـ فيروز ـ يزد جرد .

ولما كان قيام هذه الدولة مترافقاً مع قيام سلطان عربي في العراق في دور العروبة الصريحة فنرجىء الكلام عنها الى الجزء الذي يبحث في تاريخ الموجات العربية في العراق في الدور المذكور .

«١» ج ١ ص ٤٧٦ - ٦٣٥

مراجع هذا الجزء

العصور القديمة لبريستيد ـ تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ـ معالم الحضارات في الشرق والغرب للرفاعي ورفقاه ـ تاريخ الشرق القديم لعياد ورفقاه ـ تاريخ سورية الكبير للدبس ـ مجلد العبرانيين للدبس ـ كتاب لبنان ـ تاريخ العرب المطول لحتي ـ تاريخ كلدو وآشور لادي شير رئيس اساقفة سعرد ـ تاريخ بابل وآشور لجميل المدور ـ تاريخ المشرق لماسبرو ـ الجزء الأول من التاريخ الكبير التركي لاحمد رفيق ومراجعة في فصل العراق ـ التاريخ العام لشامار بالألماني وتاريخ والكلدانيين والآشوريين لمورتاد بالالماني وتاريخ الأشوريين والبابليين لهرمل بالالماني وتاريخ الأقوام الشرقية القديمة لسينوبوس بالافرنسي وتاريخ بابل والتوراة بالالماني لألينخ وتاريخ الأقوام القديمة بالالماني وتاريخ الأقوام القديمة بالألماني لماكس دونكر ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ليعقوب ولتتفسن ـ تاريخ ابن العبري ـ معجم البلدان لياقوت ـ تاريخ مصر من اقدم العصور لبزيستيد ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة القسم الاول ـ تاريخ العراق القديم لطه باقر .